

# سيرة رسول الله ﷺ

صفوة السير

مكتبة  
العلماء  
العلماء  
العلماء

إعداد الدكتور  
محمد الحبيب

دار الفيل

صفوة السير  
سيرة رسول الله

قدم لها  
سمّاحة المفتي العام  
العلامة الشيخ أحمد كفتارو

إعداد الدكتور  
محمد الحبش

دار أفنان  
ساحة شمدین-دمشق  
5129392-هاتف: 7775493  
2020-الطبعة الاربعون

تقديم سماحة الشيخ أحمد كفتارو  
المفتي العام للجمهورية العربية السورية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

وبعد: فإنّ سيرة النبي ﷺ خير زاد يهدي لطالب العلم، نوراً يستضيء به في سائر  
شؤون حياته وهو صلّى الله عليه وآله وسلم. الأسوة الحسنة لكلّ مسلم وأيامه التي  
عاشها بين أصحابه وهي التي غيرت حياة العرب وروعتهم بروح الإيمان. لينطلقوا  
في الأمصار، دعاة وهداة مصلحين وليقدموا للمجتمع الإسلامي والإنساني أروع  
مجتمع فاضل، لا نظرياً كما تصوره الفلاسفة، بل حقيقة وواقعاً، حتى قامت في  
الأرض أول دولة في التاريخ بلا محاكم ولا سجون.

وقد اطلعت على بعض ما كتبه ولدنا الموفق الأستاذ محمد الحبش ومما انتقاه من  
محاضراتنا في السيرة النبوية المباركة فسرتني ما رأيت فيه من تبويب وتصنيف وأعجبني  
ما دون من حكم بالغة هي خلاصة السيرة النبوية أسأل الله أن ينفع بها طلاب  
العلم وأن تكون للأمة باباً يهتدون به إلى سلوك النبي الأعظم محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد كفتارو

## مقدمة الطبعة الأربعين

يسعدني أن أقدم للقراء الكرام هذه الطبعة الجديدة الموفية أربعين، لكتابي سيرة رسول الله، صفوة السير، وأرجو أن يكون خيراً نبتغي أجره عند الله.

ويأتي صدور هذه الطبعة الجديدة لكتاب سيرة رسول الله بعد ثلاثين عاماً من الطبعة الأولى، مرت خلالها الأمة الإسلامية بأحداث جسام، وتغير المشهد تغيراً هائلاً، والتهبت الحواضر الإسلامية بالصراعات العسكرية المسلحة، وتصاعدت في الغرب ظاهرة الإسلاموفوبيا، وظهرت مشاريع مباشرة لتشويه صورة الرسالة والرسول، وللأسف فقد قام كثير من المسلمين بإذكاء هذه العداوة عن جهل وظنون، وأسأؤوا إلى رسالته صلى الله عليه وسلم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وبات الكفاح من أجل الدفاع عن القيم النبيلة التي بشر بها رسول الله أهم المسؤوليات التي يقوم بها المسلم في هذا الزمان.

وفي اعتقادي فإن هذا الكتاب يسهم في هذا الواجب من زاويتين اثنتين: السلم والعلم.

**السلم:** إظهار الجانب السلمي في حياة الرسول، والتأكيد على نجاحه في وقف الحرب وصناعة السلام، ويكشف ان الغزوات المنسوبة إلى الرسول في كتب السير تحت اسم المغازي النبوية ليست دقيقة ولا واقعية، فالرسول لم يغز 28 غزوة كما تقدم كتب السير، بل الصواب أن نقول إنه غُزي 28 مرة، وأنه لم يغم بغزو أحد، ونجح في تحويل 23 منها إلى مصالحات وسلم، وأن سائر الحروب التي وقعت عليه كانت اعتداءً مباشراً على المدينة، أو مكة بعد فتحها، ووقعت في الجغرافيا التي كان يسيطر عليها ولم يذهب إلى أي عدو في جغرافيا خارج محيط المدينة، إلا يوم خيبر وخروجه إلى تبوك بلا حرب، فقد وقعت غزوة بدر في بدر قرب المدينة قريباً من البحر فيما قصدها المشركون من مسافة 350 كم، أما غزوتنا أحد والخنديق فقد وقعتا داخل المدينة تقريباً في حين أن المشركين قطعوا أكثر من 420 كم وهم يقصدون إشعال الحرب، وكذلك سائر الأيام التي خاض فيها رسول الله دفاعه عن الرسالة.

ويجب القول ان كلمة غزوة لم ترد أبداً في القرآن الكريم، وفي القرآن الكريم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فقال ببدر ولم يقل بغزوة بدر، وقال: ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم، وقال يوم حنين ولم يقل غزوة حنين.

وفي متابعة دقيقة فإن الرسول الكريم خاض خمس محاولات شجاعة لإقامة الدولة، كانت الأولى في مكة وقد جابهها أعداء الرسول بضراوة، أما المحاولة الثانية فكانت يوم أرسل النبي أصحابه لاستطلاع الحبشة وتبين أنها أرض لجوء ولا تصلح أرض رسالة، وكانت الثالثة حين توجه بنفسه إلى الطائف ولم ينجح في إقناع زعمائهم بالإسلام وقاموا بمحاربتة وظلمه، أما المحاولة الرابعة فكانت حين تفاوض مع أهل الحيرة من المناذرة بهدف الهجرة إليها وبدء الرسالة فيها، ولكن الأمر لم يتم، أما المحاولة الخامسة في يثرب فقد تكللت بالنجاح ووصل النبي الكريم إلى المدينة بعد أن توفرت أغلبية معقولة من أهل المدينة وهناك بدأ مشوار الرسالة في حفل سلمي جميل ضاحك، وأنشدت فتيات الأنصار طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.

إن ما يجب بيانه هنا هو أن المؤرخين جميعاً الذين تطرقوا للسيرة النبوية مسلمين وغير مسلمين أجمعوا أن هذه المحاولات الخمس جرت دون إراقة قطرة دم واحدة، وأن رسول الله لم يستخدم أي نوع من السلاح ولا حتى سكين مطبخ، ويمكننا القول بثقة ويقين ان الإسلام في قيامه وانتصاره لم يتم بإراقة قطرة دم، بإجماع كل من كتب في السيرة النبوية.

بالطبع بعد ان قامت الدولة فإنها باتت مطالبة أن تؤسس جيشاً لحماية الناس، وفي هذا السياق وقعت المعارك التي تجرد تفصيلها في الكتاب بين يديك، ويمكن القول بيقين إن الدولة هي من أسست الجيش وليس الجيش هو من أسس الدولة.

**العلم:** ونقصد به إظهار الجانب العلمي في هدي الرسول وبرنامجه التربوي والرسالي، فقد كان يخضع للعلم ويقيس الأمور بمعايير علمية وموضوعية دقيقة، وفي هذا السبيل فقد قام بنسخ عدد كبير من الأحاديث النبوية حين تغير الزمن وظهرت ظروف موضوعية جديدة، ومن ذلك قوله كنت قد نهيتمكم عن زيارة القبور ألا فروروها، وكنت قد نهيتمكم عند عقد السلم فمن أسلم فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم، وقوله: كنت نهيتمكم عن ادخار لحوم

الأصاحي من أجل الداففة فكلوا وادخروا، وهو نهج حكيم أظهر فيه رسول الله احتراماً بالغاً للحقيقة العلمية، وقد عبر عنها بوضوح في الحديث المشهور: إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أجد غيرها خيراً منه إلا فعلت الذي هو خير وكفرت عن يميني. وفي شرح هذه الحقائق فقد بسطنا القول تفصيلاً في كتابنا التالي النبي الديمقراطي، ورددنا فيه مواقف الرسول العظيمة في الشورى ورجوعه إلى ما اختارته الشورى الحكيمة من تحقيق مصلحة الأمة والخضوع للعلم الموضوعي، مصداق قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم. إنني سعيد ان أقدم للقراء هذه الطبعة الأربعين وهو نجاح قلما يتوفر لكتاب عربي في هذه الأيام الصعبة، وأرجو أن لا ينساني من يقرأ هذا الكتاب من دعوة صالحة.

وما من كاتب إلا سيفنى      ويبقى الدهر ما كتبت يداه  
فلا تكتب بخطك غير شيء      يسرك في القيامة أن تراه

## توضيح حول منهج الكتاب

لقد جهدت دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون في الغرب وكذلك ما صدر لهم من أعمال متفرقة في رسم صورة النبي ﷺ كزعيم قبلي جاء امتداداً لمطامع قومه، وأنه أسس حكماً ودولة بالحرب والسيف، وفرض آراءه على الناس بقوة السلاح.

وهذه المزاعم - وإن تكن غير ذات أثر في الشرق الإسلامي - إلا أنها ليست كذلك في الغرب، فالقوم متأثرون بها بدرجات متفاوتة، وثمة رعايا فكريون لمدارسهم لهم جلد عربي ولسان عربي، ولكن ثقافتهم ومعارفهم مستأجرة ومستوردة، يمكنون زائع القلب من آذائهم، ويحتكمون إليه في تفكيرهم واختيارهم. وقد ساعد على تقديم الأدلة على هذا التصور شغف كتاب السيرة الأولين بأخبار الملاحم والمغازي حتى تظن وأنت تقرأ بعض ما كتبه أن النبي ﷺ كان لا يغمد سيفه ولا ينزل عن حصانه، وثمة قصور كبير في إضاءة الجوانب الأخرى من حياته ﷺ في العمل والدعوة والحوار والبناء.

وكذلك فإن المظالم التي اقترفتها حكام ظلمة في البلاد الإسلامية بحق شعوبهم أفرزت تيارات غاضبة ناقمة، تلتمس جذور غضبها وثورتها من أصول تاريخية تتصرف في تأويلها على وفق ما تتصوره لها انتصافاً وقصاصاً، فتستبيح الأموال وتريق الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا الركام من ردود الأفعال المتعاكسة أين يمكنك أن تلمس إشراقة وجه النبي محمد ﷺ في رسالة الحب والخير والرحمة التي ظل بها العالمين؟ وأين يمكنك أن تقف على جوانب الحكمة والأعمار والبناء في رسالته العظيمة ﷺ؟ .

وليس المطلوب هنا أن نتنكر لرسالة الجهاد التي قادها النبي ﷺ بنفسه سبع مرات دفاعاً عن الأمة الإسلامية وحرية عقيدتها، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر، وليس من الصواب أن نتصور أن الأرض تخلو من الأشرار والفجار، وأنها مسرح للملائكة، وأنه يمكن كف الأطماع المستبدين بالكلمة والقلم!، بل المطلوب أن نلتزم جانب الاعتدال والإنصاف في تحرير سيرة النبي ﷺ، فلا يطغى جانب على جانب، فلغة الحوار لا تكفي للنصر في بدر، كما أن مضاء السيف لا فائدة منه يوم المرحمة.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى وأحسب أن كتابي هذا قد أدى- بحمد الله- جزءاً من هذه الرسالة، وقدم صورة صحيحة لجهاد النبي ﷺ في الحرب والسلام، وفي تحقيق غاية رسالته من إقامة الخلق مقام العبادة الصادقة لله سبحانه.

وقد راعينا أن يكون هذا الكتاب منهجياً مدرسياً تعتمده إن شاء الله كل المعاهد الشرعية وحلقات العلم والذكر، وقد اجتهدنا في إعداد هذه السيرة أن نراعي عدداً من الملاحظات وهي:

أولاً: إن الإسلام انتشر في جزيرة العرب عن طريق الدعاة العاملين من أصحاب النبي ﷺ، وهذه حقيقة لا تزال غامضة في بطون كتب الرواية مع أنها التفسير



المنطقي الوحيد لتحول جزيرة العرب كلها إلى الإسلام وبداية توحيد الأمة العربية سيما وأن المعارك التي خاضها النبي ﷺ جغرافياً لم تتجاوز حدود الحجاز.

**ثانياً:** إن سيرة النبي ﷺ سيرة حب ورحمة وليست سيرة فتح وملاحم فقط وهذا جانب لا يزال غير واضح لدى كتاب السير حيث يؤرخون سيرة النبي ﷺ وكأنه لا يغمد سيفه ولا ينزل عن حصانه، ولا يظهر في سير المؤرخين دور الكلمة والحوار الذي كان أكبر من دور الرمح والسيف، مع أن من تتبع غزوات النبي ﷺ يُكشف له أنها لم تكن في الحقيقة إلا عملاً مشروعاً في رد العدوان عن الجماعة المسلمة أو إزالة لعة خبيثة كانت تنخر في كيان الأمة.

**ثالثاً:** كان النبي ﷺ رجل دين ودولة وكان تألفه لقلوب خصومه يوجه قناعاتهم الفكرية ويلاحظ طموحهم الدنيوي والاجتماعي ويستخدم كل الوسائل الشريفة في تألفهم وهدايتهم.

**رابعاً:** إن كثيراً من الأخبار التي أقيمت في سيرة النبي ﷺ لاحظ لها من الإسناد الصحيح وإنما جادت بها قرائح المحبين للنبي ﷺ، وإسنادها في أحسن الأحوال لا يرقى فوق رتبة الضعيف، وقد رسمت بمجموعها صورة غير واقعية للسيرة النبوية، وظهر النبي ﷺ وكأنه أسطورة واهمة، وكأنه ليس بشراً يوحى إليه وتتعلم منه الأجيال سيرة الكفاح والجهاد، وقد عرضنا في كتابة السيرة عن إيراد كل معجزة لا تثبت للمعصوم ﷺ بالإسناد الصحيح المتصل الذي تحَّصه علماء الاصطلاح.

والجديد الذي قمنا بإعداده في هذه السيرة:

**1- السرد التاريخي للسيرة:** سردنا أحداث السيرة النبوية تاريخياً منسجماً بحسب ترتيب الحوادث حيث يشعر القارئ بأنه يتابع حياة النبي ﷺ يوماً فيوماً. وبذلك نكون قد تجاوزنا ما وقع فيه كتاب السير من قبل من اختلاط في سرد الأحداث وتداخل بين السنين، وحين يختلف الرواة في تأريخ أمر ما فإننا نختار الأقرب إلى المنطق والأكثر انسجاماً مع الحوادث شريطة أن نلتزم قول واحد من رجال الرواية.

## **2- الحكم والإشارات:**

أفردنا أهم مقاصد الحدث من فصول السيرة على شكل -لوحة معترضة- ضمن متن الكتاب بحروف مميزة خاصة فلو قرأها قارئ من غير قراءة النص التاريخي لوقف على حكمة الهدي النبوي ومقاصده العالية وغاية النبيلة.

**3- الجداول الشارحة:** أفردنا فصلاً خاصاً في نهاية السيرة للجداول والخرائط الشارحة التي تتناول جوانب هامة في دعوة النبي ﷺ وهي:

**1- يوميات السيرة النبوية:** وهو جدول على شكل روزنامة شهرية منسقة فيها تأريخ كامل لكل حوادث السيرة النبوية.

**2- جداول أعلام الدعاة:** أوردنا فيه اسم 19 من أعلام الدعاة من الصحابة وعرفنا بكل واحد منهم وماذا فتح الله على يديه من هداية وإصلاح.

**3- جداول أعيان العرب:** وفيه أوردنا ذكر نحو 18 من وجهاء العرب وساداتهم وترجمنا لهم وأوردنا خبر تحولهم إلى الإسلام وأسماء الدعاة الذين قاموا بدعوتهم وهدايتهم.

**4- جداول أعلام العلماء:** وفيه أوردنا ذكر نحو 17 من علماء الصحابة وترجمنا لهم وبيّنا مناهج اجتهادهم ونشاطهم العلمي.

**5- جداول أعلام النساء:** وفيه أوردنا ذكر نحو 33 من نساء الصحابة وترجمنا لهن وبيّنا مساهمتهم في بناء الدعوة الإسلامية.

**6- جداول زوجات النبي ﷺ:** أوردنا فيه أسماء زوجات النبي ﷺ وحكمة اقترانه بكل واحدة منهن ودور كل منهن في العلم والدعوة.

**7- جداول أشبال الصحابة:** اخترنا فيه نحو عشرين فتى من فتيان الصحابة وأشرفنا إلى بطولاتهم وأعمالهم وكشفنا عن الدور الذي فسخ لهم في بناء صرح الدعوة الإسلامية.

**8- جدول غزوات النبي ﷺ:** وفيه ذكرنا غزوات النبي ﷺ ونتائجها على مستوى الدعوة والإصلاح واعتمدنا فيه على كتاب المفكر الإسلامي اللواء الركن محمود شيت خطاب.

**9- شجرات الأنساب:** أوردنا ست شجرات للأنساب.

**10- خريطة الشرق الأوسط عشية ظهور الإسلام.**

**11- خريطة وقائع السيرة النبوية.**

**12- خريطة منازل القبائل في الجزيرة العربية.**

\* \* \* \*

## قبائل العرب

### أنساب العرب

ترجع أصول العرب كما أوردها علماء الأنساب إلى خمسة أصول ويسميتها النسابون: شعوب- وتلتقي جميعاً عند سام بن نوح عليه السلام.

وهذه الشعوب الخمسة هي:

بنو عاد، وبنو ثمود، وبنو مدين، وبنو قحطان، وبنو عدنان.

وقد أرفقنا لك شجرة أنسابهم كما أوردها علماء الأنساب.

فأما عاد فقد كانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعمان وقد أرسل الله فيهم

أخاهم هوداً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَحُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِيرٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الشعراء: 120-140.

وأما ثمود فقد كانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وقد أرسل الله فيهم أخاهم صالحاً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (2).

وأما مدين فقد كانت منازلهم تجاور أرض معان بالأردن من أطراف الشام مماليكي الحجاز وقد أرسل الله فيهم أخاهم شعيباً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } (3).

وكما أخبر القرآن الكريم فقد بادت هذه الشعوب الثلاثة ولم يبق لها عقب ويسمى هؤلاء: العرب العاربة أو العرب البائدة.

أما العرب الباقية فهم جميعاً من قحطان وعدنان.

فأما عدنان فإنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

(2) سورة الشعراء: 141-159.

(3) سورة العنكبوت: 35-37.

وأما قحطان فإنه يلتقي مع إبراهيم عليه السلام في جده السادس: عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.  
وما قيل من أن قحطان من ولد إسماعيل فهو قول شاذ مخالف لجمهور علماء النسب.

ومنازل العدنانيين عموماً في وسط الجزيرة العربية وشمالها.  
ومنازل القحطانيين عموماً في جنوب الجزيرة العربية.  
والأنساب إلى قحطان وعدنان محققة ثابتة كانت العرب تعرفها وتحفظها،  
ونسب النبي ﷺ إلى عدنان متصل صحيح لا يشك فيه أحد.  
وأما الأنساب من بعد قحطان وعدنان فهي ظنون مختلف فيها، وقد ورد عن النبي ﷺ النهي عن الجزم بها<sup>(1)</sup>.

---

(1) اعتمدنا في تحقيق سائر الأنساب الواردة في كتابنا على كتاب: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي البغدادي، وكتاب نهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير.

## بِلَادُ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

في مطلع القرن السَّابع الميلادي حيث بعث النبي محمد ﷺ كانت تسيطر على العالم القديم قوتان عظيمتان وهما: إمبراطورية الروم في أوربا وعاصمتها القسطنطينية، وإمبراطورية الفرس في آسيا وعاصمتها المدائن، وكانت بلاد الشام تقع في ساحة الصراع بين هاتين القوتين العظيمتين. وكان الرومان على ساحل البحر المتوسط وجزء من سورية ومصر، ولهم مركز نفوذ كبير في دمشق والإسكندرية، وكانوا يدينون ظاهراً بالمسيحية غير أنهم لم يكونوا يلتزمون أحكامها في شيء. وكان الذي يحكم الإمبراطورية الرومانية ملك بيزنطي ولقبه القيصر، وله ولايات متناثرة أشهرها في الحبشة واليمن.

أما الفرس فقد كانوا يسيطرون على بلاد أوسط آسيا وإيران والعراق وجزء من سورية، وكانوا يدينون بالمجوسية؛ وفيها عبادة النار وتقديسها. وكان لقب الإمبراطور الفارسي (كسرى).

أما العرب فلم يكن لهم آنئذٍ شيء يذكر، فقد كانوا قبائل متفرقة ضائعة في الصحراء ليس لهم صلة بأسباب المدينة والحضارة، وقد انقطع عنهم الأنبياء منذ عدة قرون.

وكان للعرب في الأصل خصال محمودة كريمة، فاشتهروا بخلق الكرم والمروءة والصدق والوفاء واشتهروا بفصاحتهم وأدبهم وبلاغتهم وخطابتهم. وكل ذلك من بقايا دين إبراهيم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من غير تحقق وتفصيل، حيث ضاع منه الكثير، ووصل ما وصل منه مشوهاً محرفاً مغيراً.

ولكنهم في مقابل ذلك انخرفت بهم جاهليتهم إلى أخطاء عظيمة، فظهر فيهم الجهل والثأر والعصبية وحمية الجاهلية، وظهرت فيهم عبادة الأوثان من أحجار وخشب، وظهر فيهم قطع الرحم وواد البنات خشية الفقر أو العار.

وبحث العرب عن قوى تساندهم، فحالف بعضهم الروم (كالغساسنة في جنوب الشام) وحالف بعضهم الفرس (كالمناذرة في جنوب العراق)، ولكن هذه التحالفات لم تكن في صالح العرب، بل استخدمهم الروم والفرس كواجهة في خلافاتهم، فكلما اختلف الروم والفرس رموا بهذه القبائل في ساحات القتال فكانوا العوبة في يد الروم والفرس.

ولم يظهر للعرب إحساس قومي إلا في موقعة ذي قار حيث غضب كسرى على النعمان بن المنذر فقتله، وأرسل جيشاً من ألفي مقاتل ليستأصل القوم، فهبت قبائل بكر وحلفائها لنجدة بني شيبان وقائدهم هاني بن مسعود الشيباني في رد عدوان الفرس عليهم ومن والاهم من قبائل العرب كبنو تغلب وبنو إياد، فحقق البكريون والشيبانيون نصراً مؤزرًا قال عنه رسول الله ﷺ: "هذا يوم انتصف العرب فيه من العجم".

غير أنهم لم يستفيدوا من هذا الدرس الرائع فعادوا بعد المعركة إلى تفرقهم وتناحرهم.

وكانت معركة ذي قار على الأصح في السنين الأولى من مبعث النبي ﷺ وقيل كانت بعد هجرته.



## الْبَيْتُ الْحَرَامُ

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }<sup>(1)</sup>.

يبدأ تاريخ البيت الحرام عند النبي الكريم إبراهيم خليل الله "أبو الأنبياء" وخبر ذلك أن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يحمل زوجته هاجر وطفله الصغير الوحيد إسماعيل إلى واد غير ذي زرع عند البيت الحرام في مكة المكرمة، ويتركهما هناك. ومضى إبراهيم عليه السلام بزوجه وولده فتركهما في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا نماء، ولا شجر ولا بشر.

ورفع يديه إلى السماء فقال: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَّا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }<sup>(1)</sup>.

(1) سورة آل عمران: 96-97.

(1) سورة إبراهيم: 34-41.

المؤمن الحق لا يتردد في طاعة الله وغيابة  
آماله وأمانيه. . رضى مولاه.

ولما فعل إبراهيم ما أمره ربه وبقيت هاجر وولدها وحيدين عند جبل الصفا في مكة، أدرك إسماعيل العطش، فجعل يبكي بين ذراعي أمه، وهي تضمه وتحنو عليه فلما اشتد بكاؤه قامت هاجر تضرب في الصحراء المقفرة تبحث عن ماء تدفع به ظمأ وحيدها، فبصرت بالسراب قرب جبل المروة فحسبته ماء، فركضت إليه، فلما بلغته وجدته سراباً خادعاً، ثم التفتت إلى ولدها إسماعيل عند الصفا فبصرت بالسراب فحسبته ماء فركضت إليه، فإذا به سراب كالأول، فعادت إلى المروة، وكانت كلما وقفت على الصفا، رأت السراب على المروة، وكلما وقفت على المروة رأت السراب على الصفا، حتى ركضت بينهما سبعة أشواط. وعلا بكاء إسماعيل ونحيبه، وجعل يضرب الأرض برجليه الصغيرتين، حتى أدركته رحمة الله، ففجر الله الماء من بين قدميه، وركضت هاجر، تحوط الماء وتقول: "زم زم" وسمي النبع من بعد ذلك "نبع زمزم". وقد أمر الله الحجاج جميعاً من بعد ذلك أن يطوفوا بين الصفا والمروة ليتذكروا صبر هاجر وسعيها في البحث عن الماء لولدها الوحيد.

وذلك قول الله عز وجل:

{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (1).

ولما نبع ماء زمزم في مكة صارت القوافل التجارية تتخذه محطة راحة وسقاية، ثم جاءت قبيلة (جرهم) فأقامت عنده، وتزوج إسماعيل منهم وأنجب أولاداً فكان منهم "عدنان" جد العرب العدنانيين.

كانت جائزة إبراهيم أن جعل الله في مكة:  
قبلة للعالمين.

ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن يبني (الكعبة) البيت الحرام بمكة، وكان قد تخدم بالطوفان بعد أن بناه أولاً شيث ابن آدم عليه السلام كما يروى.  
وحضر إبراهيم إلى مكة وقام ببناء الكعبة البيت الحرام يساعده في ذلك ولده إسماعيل.

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (2).

ودعا إبراهيم ربه بثلاث دعوات:

- أن يجعل الكعبة في مكة مركزاً لعبادة الله.

- أن يرزق ولده إسماعيل الذرية الطيبة الصالحة.

- أن يبعث في أولاد إسماعيل في مكة نبياً يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم و {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} (1).

ورزق ولده إسماعيل الذرية الطيبة الصالحة، وكان منهم العرب {حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (2)، وبعث من أولاده خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ.

وهكذا فقد صارت مكة مدينة دينية هامة تطبق فيها شريعة إبراهيم وتأتي العرب من كل مكان في موسم الحج كما في شريعة إبراهيم {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

هَمْ { (3)، ثم تقام أسواق الأدب والتجارة في عكاظ والمجنة وذوي المجاز فيتبادلون فيها السلع ويلقون القصائد العصماء ويحققون أغراضاً اجتماعية متنوعة.

ولكن انقطاع الرسل عن مكة منذ إسماعيل أدى إلى وجود انحرافات خطيرة عن شريعة إبراهيم عليه السلام، فقد بدأ الناس يعبدون الأوثان يتقربون بها زلفى إلى الله ويعبثون بالبلد الحرام ويقطعون الرحم ويفعلون الفاحشة ويغيرون الحج والأشهر الحرم كما يشاؤون.

واشتدت تلك الانحرافات وتفاقت، وراح الحكماء في الأرض يتطلعون إلى السماء ويتقربون نبي آخر الزمان، دعوة إبراهيم { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (4).

## مَكَّةُ الْمُكْرَمَةِ

مكة المكرمة هي عاصمة العرب الدينية منذ أن كان العرب.

وكانت أول قبيلة تنزل في مكة هي "جرهم" وهي من عرب اليمن القحطانيين، حيث تزوج منهم إسماعيل عليه السلام، ونشر فيهم ملة أبيه إبراهيم، فكانوا عليها زمناً يُرزقون ويشكرون، حتى خلف من بعدهم خلف بدلوا الشكر بالكفر فأهلكهم الله عز وجل.

ونزلت كذلك قبيلة "خزاعة" وهم مثل جرهم من عرب اليمن القحطانيين، من سباً وقد اتبعوا شريعة إبراهيم في عبادة الله وتوحيده غير أنهم أشركوا به الأوثان فيما بعد. وكان أول من أدخل الأوثان إلى مكة "عمرو بن لحي" جد خزاعة وكان أولاده هم الذين يقومون بأمر الكعبة فأدخلوا الأصنام فيها ونصبوها حول البيت الحرام.

ثم إن خزاعة فرطوا في شأن البيت الحرام، فانتقلت سيادة مكة عنهم إلى "قصي بن كلاب" وهو الجد الخامس للنبي ﷺ. وهو أول زعيم يتولى أمر مكة من بني إسماعيل.

وهكذا فقد انتقلت سيادة مكة من القحطانيين إلى العدنانيين.

وقد كان قصي بن كلاب رجلاً حكيماً، وقد اجتمعت له كل مفاخر مكة، فكان في يده مفتاح الكعبة، ولواء الحرب، وكان يعقد ندوة قريش في داره، فلا يرد له أمر، ولا يقضى دونه أمر، وكان يقوم بأمر الحجيج من سقاية ورفادة-ضيافة-ولم

تجتمع مفاخر مكة الستة-الحجاجة والسدانة والسقاية والرفادة واللواء والندوة-لأحد إلا لقصي بن كلاب.

وبعد موت قصي بن كلاب توارث أبناؤه من بعده مفاخره الستة فكانت السقاية والرفادة من نصيب ولده عبد مناف ثم انتقلت إلى ولده هاشم والد عبد المطلب جد النبي ﷺ. وكان هاشم رجلاً كريماً جواداً، أحبه قومه حتى صاروا لا يقطعون دونه أمراً.

ولما مات هاشم انتقلت زعامة مكة إلى ولده عبد المطلب، وكثر الحجيج من العرب حتى ما يجد عبد المطلب ما يسبقهم، حيث كانت زمزم قد خربت ودرمت وضاع أثرها خلال فترة زعامة "جرهم".

فأخبر الله عبد المطلب بمكان "زمزم" في رؤيا حق. فاحتفرها ففاضت ماء زمزم من جديد، وعادت سقيا للحجيج جميعاً إلى الأبد يوماً هذا، ولعلها تبقى كذلك إلى آخر الدهر إن شاء الله.

وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً هم: الحارث والغيدق وقثم والزبير وضرار والمقوم وحجل وأبو طال وأبو لهب وعبد الله وهو والد النبي ﷺ وحزمة والعباس. ومات قبل الإسلام ثمانية منهم، ولم يدرك الإسلام منهم إلا أبو طالب وأبو لهب وحزمة والعباس.

وبعد موت عبد المطلب خلفه في الزعامة ولده: "أبو طالب" عم النبي ﷺ وظلَّ سيد مكة في اثنتين من مفاخرها-السقاية والرفادة-إلى أن بعث النبي ﷺ.

## من الولادة إلى المبعث

في يوم الاثنين 16 / آيار / 570 ميلادية الموافق 12 / ربيع الأول / 52 قبل الهجرة ولد رسول الله ﷺ وصحَّ عنه أنه قال: "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين ولدتني أنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام"<sup>(1)</sup>. وهناك كثير من القصور يحكيها الناس عن ولادة رسول الله ﷺ لا أصل لها، الحق أنه ﷺ ولد كما يولد الناس ومات كما يموت الناس<sup>(2)</sup>.

(1) رواه الإمام أحمد.

(2) اعتاد الناس أن يقيموا في شهر ربيع الاحتفالات بمولد المصطفى ﷺ، وهم في ذلك بين متمسك بها ومتعصب لها، وبين منكر لها ومعتزض عليها... والحق أن هذه الاحتفالات لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا في العهود القريبة منه من أهل السلف. وإنما هي أمر مستحدث. . وعادة جرى الناس عليها فلا نرفعها إلى مرتبة الفرض والعبادة وإلا لاحتاجت إلى دليل. . فالأصل في العادات الإباحة ما لم يرد فيها نص بالتحريم، والأصل في العبادات البطلان ما لم يرد نص بالبيان.

ولما كان الاحتفال بالمولد عادة فلا حاجة معه إلى دليل، وحكمه حكم ما يجري فيه. . فإن كان للصلاة على رسول الله ﷺ وتدكّر شيء من سيرته وأخلاقه وأحاديثه وهديه أو لمديح له ﷺ من غير غلّو ولا مبالغة. . أو كان اجتماعاً للمسلمين ولقاءً لهم بعلمائهم. . فلا إنكار عليه. . وإن كانت تسمية الاجتماع مولداً عنصر تفريق بين المسلمين، فلنقل إنه مجلس علم للصلاة على رسول الله ﷺ أو غير ذلك، أما إذا خالطته المنكرات والمحرمات من رفع لرسول الله ﷺ إلى: ما ليس له من مقام الألوهية فذلك ليس بدعة فحسب، وإنما هو حرام يجب على المسلمين أن ينكروه. .

وكانت العرب تسمى ذلك العام الذي ولد فيه رسول الله عام الفيل. وسبب ذلك أن أبرهة الحبشي حاكم الحبشة ومستعمر اليمن قد أغاظه ما كان العرب يفعلونه من تعظيم البيت الحرام (الكعبة)، فأراد أن يصرف الناس عنه، فبنى في اليمن بيتاً سماه (القليس). وأمر الناس أن يحجوا إليه بدلاً من الكعبة، ولكن العرب سخروا منه ومن بيته وألقوا فيه الأقدار والأوساخ، فثارت ثائرة أبرهة وأقسم أن يهدم البيت الحرام ويسوق العرب إلى الأذى (القليس) قسراً وجبراً.

وسار إلى مكة بجيش عظيم يتقدمه فيل كبير يرد هدم البيت.

وعندما وصل أبرهة إلى مكة المكرمة، عدا رجاله عن متاع الناس فمزقوا ونهبوا وأفسدوا، ثم وقفوا عند مدخل مكة يتهيؤون لدخول البيت الحرام. وكان سيد مكة في ذلك الوقت (عبد المطلب بن هاشم) جد النبي ﷺ، وكان يعظم البيت الحرام ويقدمه.

فمضى عبد المطلب إلى أبرهة الحبشي، فلما علم أبرهة بذلك أمر رجاله بإظهار عزة الملك، وفرش مطارف الحرير والذهب ليوقع الرعب في نفس عبد المطلب، ثم أذن بالدخول، فلما دخل عليه قال له: يا أبرهة: إن رجالك قد عدوا غنمي وإبلي فأخذوا طائفة منها فأتيتك أطلب ردها إلي.

فتعجب أبرهة وقال: أتيتني من أجل إبلك ولم تأتني من أجل بلدك وكعبتك التي جئت لأهدمها!! فقال له عبد المطلب: أما الإبل فأنا ربها وصاحبها، وأما البيت فإن له رباً يحيمه.



فقال أبرهة لأصحابه: ردوا إليه إبله!! . . ثم صرخ في وجه عبدالمطلب قائلاً:  
خذ إبلك!! . . وقل لربك: إن أبرهة ماضٍ ليهدم بيتك، فليدفع عنه إن  
استطاع! . .

ثم إن عبد المطلب أخذ إبله ومضى بأهل مكة، ووقفوا قبالة بيت الحرام  
ورفعوا أيديهم قائلين:

لا هُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك  
لا يغلبن صليهم ومحالم غدواً محالك  
ثم صعد بقومه الجبل ينظرون من بعيد.

وما كان الله ليغفل عما يعمل الظالمون وكان سميعاً بدعاء عبد المطلب بصيراً  
بالجيش، فأرسل من السماء طيراً أبابيل (جماعات جماعات)، وفي منقار كل  
منها حجر صغير ترميهم بحجارة من سجيل (مشتعلة)، وما هي إلا لحظات  
قصيرة حتى جعلهم كعصف مأكول: (كالطعام الذي قامت الأكلة عنه بعد  
أن لم يبق فيه ما يؤكل).

إذا صح منك القصد وانقطعت عنك  
وسائل الأرض، أعانك الله بوسائل  
السماء.

وفي خبرهم نزل قول الله عز وجل:

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَزْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } (1).

في ذلك العام ولد النبي ﷺ من أبوين شريفين: عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب متصلاً بنسبه إلى إبراهيم عليه السلام (أبو الأنبياء).

### طفولته ورضاعه:

مات عبد الله والد النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام جنين في بطن أمه، وبذلك يكون رسول الله ﷺ وقد ولد يتيماً، وفي هذا حكمة بالغة لله عز وجل مراعاة لخاطر الأيتام، وحتى ينشأ حبيبه محمد ﷺ وليس لأحد من البشر عليه منة أو فضل، وحتى لا يدعي أحد أن تلك الرسالة كانت من إعداد أبيه أو من أحلام أمه.

وكانت عادة العرب أن تسترضع أولادها في البادية، ليتعلموا فصاحة الأعراب وخشونة الحياة في البادية، ويستنشقوا هواءها وعبيرها صافياً بلا كدر. ودفعت آمنة بنت وهب طفلها محمداً ﷺ إلى حليلة السعدية لترضعه في منازل قومها قرب الطائف، وذلك عاى عادة العرب، في تربية أولادهم في البداية لتقوي عزائمهم، وتشتد همهم فكان قدومه ﷺ على بني سعد بركة

(1) سورة الفيل.

كانت حليلة ترعاه فيها أحسن رعاية، وتكرمه أحسن الإكرام كما لو كان واحداً من أولادها.

### حادثة شق الصدر:

وخلال فترة رضاعته عند حليلة وقعت حادثة شق الصدر: وإليك القصة كما رواها ابن عباس قال:

"كانت حليلة تحدث أنه ﷺ لما ترعرع، كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم. فقال لي يوماً، يا أمّاه ما لي لا أرى إخوتي بالنهار؟ يعني إخوته بالرضاع وهم أخوه عبد الله، وأختاه أنيسة والشيماء أولاد الحارث قلت: إنهم يرعون غنماً لنا فيروحون من ليل إلى ليل، قال: إبعثني معهم، فكان عليه السلام يخرج مسوراً ويعود مسروراً. فلما كان يوم من ذلك خرجوا، فلما انتصف النهار أتاني أخوه يعدو فزعاً وجبينه يرشح باكياً ينادي: يا أبت ويا أماه إلحقا أخي محمداً القرشي فما تلحقانه إلا ميتاً، قلت: وما قضيته؟ قال: بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاخطفه من وسطنا، وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به.

فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعياً، فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء يتسم ويضحك، فأكبت عليه وقبلته بين عينيه قلت له: فدتك نفسي مالذي دهاك؟ قال: خيراً".

في مرحلة إعداد الدعوة لا بد من تزكية  
النفس وتطهير الروح.

والروايات التي ذكرت شق صدر النبي ﷺ كثيرة متضافرة وجميعها تدل على  
عناية الله سبحانه وتعالى بالنبي ﷺ منذ طفولته وإعداده إعداداً ربانياً خاصاً  
لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية العظيمة.

### وفاة أمه وجدته:

ولما بلغ عليه السلام ست سنين، أخذته أمه معها في زيارة أخواله بني عدي  
بن النجار في يثرب (المدينة المنورة) ومعها أم أيمن. فأقامت عندهم شهراً  
تعلم خلالها السباحة، وفي طريق عودتها أدركها الموت بالأبواء، فدفنت فيه  
على عين ولدها وحبيبها محمد ﷺ.

وهكذا أصبح رسول الله يتيم الأب والأم وهو ابن ست سنين. وقامت أم  
أيمن بحضانته والعناية به بعد أمه، وكان رسول الله ﷺ يذكر لها ذلك ويقول:  
أمي بعد أمي<sup>(1)</sup>. وأمضى رسول الله ﷺ سنتين عند جده عبد المطلب بن  
هاشم يرعاه ويحبه ويوصي به.

ولما بلغ الثامنة مات جده عبد المطلب أيضاً، فصار رسول الله خالياً من  
عطف الأب وحنان الأم ورعاية الجد.

(1) أورده ابن الأثير في أسد الغابة.

في رعاية عمّه:

عند ذلك ضمّه عمه أبو طالب إلى أولاده الإثني عشر، فكان أحسنهم خلقاً والطفهم معشراً.

ولما كان أبو طالب رجلاً عائلاً حاول النبي ﷺ أن لا يبقى عائلة عليه، فعمل برعاية الغنم - كسائر إخوانه من الأنبياء - ثم عمل بالتجارة على عادة قريش، فخرج معه عمه أبي طالب إلى الشام، وعرف منازل التجار وأسواقهم. وفي بصرى الشام لقبه بحيراً، وكان رجلاً له علم بالكتاب، ومعرفة بما بشر به النبيون الأولون من إشارات نبي آخر الزمان، فلما رأى النبي ﷺ وعرف نسبه ووصفه قال لعمه أبي طالب: "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغته شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم".

### حلف الفضول:

وقد شارك رسول الله ﷺ خلال هذه المرحلة من حياته في الأمور الجليلة مع قومه، فشهد حلف الفضول الذي جرى بعد حرب الفجار، وفيه توثق حكماء قريش وأشرفها على نصرته المظلوم والغريب، ورد الحقوق إلى أصحابها، وقد عقد هذا الحلف في بيت عبد الله بن جدعان بمكة. وكان رسول الله ﷺ فيما بعد يذكر هذا الحلف ويثني عليه خيراً.

## زواجه من خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد أرملة مات زوجها أبو هالة التميمي ولها منه أولاد كانت ترعاهم وتربيهم، وكانت خديجة امرأة شريفة ذات مال وجاه وكان أشرف العرب قد تقدموا لخطوبتها بعد موت أبي هالة فكانت تعرض عنهم رغم مكانتهم وغناهم.

وقد سمعت خديجة بأمانة النبي ﷺ وحسن أخلاقه، فأرسلته في تجارتها ووعدته بأفضل مما تعطي غيره في التجارة، وأرسلت معه غلامها ميسرة، فرأى ميسرة فيه مثال التاجر الصادق الأمين، ورأى من عناية الله به أمراً عجباً، فكان كلما اشتد الحرُّ يظلمه الغمام، وذلك من لطف الله به ورعايته، وأنعم الله عليه فأكثر عليه الربح والخير، وعاد بتجارة وافرة راجحة، أنزلته في نفس خديجة منزلاً كريماً.

وأخبر ميسرة خديجة بأخلاق محمد وشمائله، ورغبت خديجة بمحمد، وأعجبها ما عرفته من طهارة يده وصفاء نفسه، وسرها ما رأت من بركة الله في تجارتها ومالها على يديه، فسعت إليه تحنطه وذلك خلاف عادة العرب في الخطوبة. فأرسلت إليه نفيسة بنت منية فقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال محمد: ما بيدي ما أتزوج به. .

فقالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة؟ ألا تحيب؟ قال: فمن هي؟ قالت: خديجة. قال: ومن لي بذلك؟ قالت: علي. قال: فأنا أفعل.

ومضت نفيسة فأخبرت خديجة الخبر، وتمت إرادة الله، وعقد أنجح وأكرم زواج في الدنيا، بين رسول الله وخديجة بنت خويلد.

وكان الذي تولى زواج النبي ﷺ عمه أبو طالب. أما خديجة فقد تولى زواجها عمها عمرو بن أسد.

وخديجة أكرم نساء النبي ﷺ وأعظمنه وفي الحديث: "خير نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد" ومنها سائر أولاد النبي ﷺ وقد أكرمها النبي ﷺ فلم يتزوج عليها، حتى توفيت، وكان من بعدها يحسن إلى صديقاتها ويكرمهن ويصلهن بالمعروف.

وأكثر يوماً من الثناء عليها، حتى غارت عائشة فقالت: يا رسول الله. ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها. فغضب النبي ﷺ وقال: "ما أبدلني الله خيراً منها. وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وآستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء".

### بناء الكعبة:

عرف النبي ﷺ بأمانته وصدقه في قريش حتى كانوا يسمونه: الصادق الأمين وعرفت قريش ذكاءه وفطنته في سعيه إلى الإصلاح والمعروف. وأشهر ما روي عن نجاحه في فك الخصومات خبر بناء الكعبة.

وذلك أن طوفاناً أصاب البيت الحرام فهدمه، وذلك قبل المبعث بنحو خمس سنين، فعاد رؤساء قريش وحكماؤها يبنون البيت من جديد، فلما أرادوا وضع الحجر الأسود في موضعه من البيت تنازعوا، كل يريد أن يحظى بشرف حمل الحجر إلى مكانه، واشتد جدالهم حتى أوشكوا أن تشتبك أيديهم وسيوفهم، ثم أتفقوا على أن يحكموا في أمرهم أولد داخل عليهم من باب المسجد. فكان محمد ﷺ هو أول الداخلين، فرضي القوم وصاحوا: هذا الأمين رضينا. ثم إن النبي ﷺ لما عرف خبرهم نشر ثوبه ودعا الزعماء الأربعة المختلفين، فأمسك كل واحد منهم بطرف الثوب، ثم رفع رسول الله الحجر الشريف، بين يديه الطاهرتين فجعله في الثوب، ثم سار القوم به إلى ركن البيت الحرام، حيث حمله رسول الله ﷺ مرة أخرى فجعله في موضعه من البيت الحرام. وبذلك دفع رسول الله ﷺ عنهم حرباً كانت وشيكة الوقوع.



## إرهاصات النبوة

الإرهاصات هي كل ما ظهر من بشارات ومعجزات قبل بعثة النبي ﷺ تبشر بظهوره وتذكر صفاته وعلاماته. وكانت أولى هذه الإرهاصات تبشير عيسى المسيح عليه السلام به قبل بعثته بستة قرون.

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (1).

ومنها ما كانت تبشر به يهود من قرب زمان نبي يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً.

ومنها بشارات ورقة بن نوفل بعدما سمع عنه من الناس بأنه سيكون نبيّ هذه الأمة، إضافة إلى أخبار كثيرة وردت عن الكهان تفيد بقرب مبعث هذا النبي.

## بدء الوحي:

على مدى الأربعين سنة التي عاشها رسول الله ﷺ قبل البعثة، أعده الله إعداداً خاصاً. فسان أخلاقه أن تختلط بأخلاق الجاهلين من الضلالة والانحراف والفجور.

(1) سورة الصف: 6.

وصان عقله فلم يشرب خمراً قط.

وصان عقيدته فلم يسجد لصنم ولا وثن.

وصان قلبه فأدخله في مدرسة "حراء".

"وحراء" غار قرب مكة في جبل أبي قبيس، كان رسول الله ﷺ يخلو فيه بربه

فيطيل عبادته وتأمله فيه، ذاكراً متفكراً عابداً لله وحده.

وعلى مدى سنوات كان محمد ﷺ يتعبد في هذا الغار، وخصوصاً في شهر

رمضان، فقد اعتاد أن يمضيه في أروع ساعات العبادة والصفاء.

فكان "حراء" مدرسة أعده الله فيها ليكون داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها: "أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو التعبّد) الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتردد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء"<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup>أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب التفسير وأخرجه كذلك مسلم والترمذي وأحمد.

## السنة الأولى للبعثة "12ق. هـ"

أهم أحداث السنة الأولى:

- 1- بدء الرؤيا الصادقة (من ربيع الأول إلى رمضان).
- 2- نزول الوحي الشريف (شهر رمضان).
- 3- إيمان ورقة بن نوفل والتبشير بالنبي ﷺ.
- 4- إسلام خديجة بنت خويلد.

### الرؤيا الصادقة

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

وقد بدأت الرؤيا الصادقة منذ شهر ربيع الأول عام 40 بعد الفيل (13ق. هـ)، فاستمرت بذلك نحو ستة أشهر.

وكان النبي ﷺ يقول: "الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"<sup>(2)</sup>.

---

(1) تجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ مكث في مكة قبل الهجرة 13 عاماً، اثنا عشر عاماً كاملاً، وجزءاً من عام الهجرة نفسه، حيث هاجر قى شهر ربيع الأول، فهي سنة مشتركة بين مكة والمدينة،

وذلك أن نبوة النبي ﷺ استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، ستة أشهر منها رؤيا صادقة فتكون نسبتها 46/1 من عمر الرسالة.

## نزول الوحي

وفي رمضان من العام نفسه خرج رسول الله ﷺ كعادته إلى غار حراء؛ وقد صفت نفسه وشفت روحانيته وهياه الله عز وجل لما اختاره له من النبوة الخاتمة.

وفي يوم 27/رمضان عام 12/ق. هـ. الموافق 19/آب/610 ميلادية كان أول نزول للوحي على النبي ﷺ في غار حراء، وهي ليلة القدر.

فجاءه الملك فقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقرأ باسم ربك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربك الأكرم (3) الذي علم بالقلم (4) علم الإنسان ما لم يعلم (5) }

---

قل إن شئت إنه أمضى في مكة ثلاثة عشر عاماً وفي المدينة عشرة، أو قل إنه أمضى في مكة اثني عشر عاماً وفي المدينة أحد عشر عاماً، فالجموع في الحالتين: ثلاثة وعشرون عاماً.

## خبر ورقة بن نوفل

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الصنيف وتعين على نوائب الحق". فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان ابن عم خديجة وكان شيخاً كبيراً قد عمي، وكان من الحنفاء (2) ثم تنصّر فصار من علماء الكتاب، فأخبره النبي ﷺ بما رأى في غار حراء فقال له ورقة: "هذا والله الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني أكون فيها جذعاً - شاباً قوياً - ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" فقال رسول الله ﷺ: "أو مخرجي هم؟". قال: "نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا" ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي.

وبذلك فإن خديجة بنت خويلد، كانت أول قلب اطمأن بالإيمان، وصارت تستعد لتحمل مع زوجها العظيم رسالة الهدى والنور.

وعاد رسول الله ﷺ إلى داره حامداً شاكراً، وبدأ يهيئ قلبه وروحه لحمل أعظم مهمة إنسانية قام بها البشر.

وخلال ذلك لم ينقطع رسول الله عن غار حراء، وكان يطيل في عبادته ومناجاته. منتظراً أمر الله عز وجل له بتبليغ الرسالة ودعوة الناس، وراح يقلب

بصره في أهل مكة، يتخير منهم رجال الهدى الذين سيحملون هديه في العالمين.

## السَّنَةُ الثَّانِيَةُ لِلْبَعْتَةِ "11 ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثانية:

1- نزول سورة المدثر وبدء الدعوة.

2- دخول الرعيل الأول في الإسلام.

3- تسامح قريش بخبر الإسلام.

مضت الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام الماضي: شوال وذو القعدة وذو الحجة، ورسول الله ﷺ يتلقى إرهابات الوحي ويشرق في نفسه نور النبوة، ومن حوله زوجته خديجة تؤمن به وتشد أزره وتقوي عزمته.

ومع دخول السنة الثانية للبعثة في شهر المحرم، بدأ رسول الله ﷺ يستعد لتبليغ الرسالة كما يأمره الله عز وجل ويرشده الروح الأمين.

وكان من أول ما نزل عليه:

{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا } (1).

وهذه السورة هي برنامج الاستعداد الروحي والقلبي لمواجهة مصاعب الدعوة ومتاعبها، وبه تعلم أن أي عمل من أعمال الدعوة إلى الله لا يتبدئ من تصفية

(1) سورة المزمل.



القلب وجلال العبادة ونقاء الروح فإنه عمل متبور مجزوم، ما أسرع ما ينهزم ويتحطم أمام تيارات الجاهلية.

أول عمل في إعداد الدعوة هو بناء الصلة  
الراسخة مع الله عز وجل.

ولما اكتمل إعداد الله عز وجل لهذا النبي الكريم وأشرقت نفسه بنور النبوة وظهر استعداده لحمل أعظم رسالة في التاريخ، أنزل الله سبحانه عليه: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) } (1).

ومن فوره قام النبي ﷺ بالدعوة إلى الله عز وجل كما أمره.

### أول الناس إسلاماً:

اختلف الأقوال في أول الناس إسلاماً، ولكن العلماء متفقون على أن:

-أول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي زوجة

النبي ﷺ.

-أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أخص

صديق له ﷺ.

(1) سورة المدثر.

-أول من أسلم من الأطفال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان في كفالته ورعايته ﷺ.

-أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان مولى وخادماً للنبي ﷺ.

وبذلك تعلم أن أسرة النبي ﷺ وأهل بيته بادروا إلى الإسلام من أيامه الأولى.  
إسلام خديجة:

أما خديجة فقد أسلمت منذ اللحظة الأولى لعرض الإسلام عليها. فكانت أول من دخل في الإسلام-بعد رسول الله ﷺ-وسانده في كل مراحل دعوته، تخفف عنه الآلام وتواسيه في المصائب، وتنفق مالها في سبيل دعوته. فلا عجب أن يبقى ذكرها عند رسول الله ﷺ حتى آخر حياته وأن يحفظ مودتها بعد موتها، فكان يكثر الثناء عليها، ويذكر بالإحسان والمودة صديقاتها وأترابها.

كان للمرأة دور بارز في الدعوة الإسلامية  
منذ أيامها الأولى.

إسلام أبي بكر:

أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة كان من أنسب رجال قريش وأشرفهم، وكان محبباً إلى قلوبهم، مألوفاً في مجالسهم.

وكان صاحب الأول لرسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يهتم كثيراً بشأن النبي ﷺ وخلوته في غار حراء وانقطاعه للعبادة، وكان يرى أنه سيكون لمحمد شأن، حتى إذا بلغه أمر الرؤيا الصادقة وكلام ورقة بن نوفل ذهب إلى النبي ﷺ فقال: بلغني أنك تدعو لتوحيد الله وتقول: إنك رسول الله؟ فقال: "نعم يا أبا بكر، إن ربي عز وجل أرسلني بشيراً ونذيراً وجعلني دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعاً". فقال أبو بكر: والله ما جربت عليك كذباً قط، مُدَّ يديك لأبايعك، وبإيعه أبو بكر، فكان أشد الناس ملازمة للنبي ﷺ وأعظمهم تصديقاً واتباعاً.

وكان النبي ﷺ يقول: "ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له نظرة غير أبي بكر، فإنه لم يتلعثم"<sup>(1)</sup>.

وقال: "دعوا لي صويحي، فإني قد بعثت إلى الناس كافة فلم يبق أحد إلا قال: كذبت، إلا أبو بكر الصديق فإنه قال لي: صدقت"<sup>(1)</sup>.

أول الهدى . إن تتجرد من حظوظ  
نفسك وتتبع الحق لأنه حق، لا لأنه  
يوافق هوى نفسك.

(1) أخرجه الديلمي عن ابن سعود.

(1) أخرجه الخطيب.

## إسلام علي بن أبي طالب:

وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وكان النبي قد تكفل برعايته تخفيفاً من أعباء عمه أبي طالب، ولما رأى علي رسول الله يصلي مع خديجة، جعل يسأل النبي ﷺ عن ذلك فعرض عليه الإسلام فقال: أمهلني حتى أسأل أبي، فكره أن ينتشر الخبر فقال له: "إذا لم تسلم فإتكم هذا". وبقي علي في ليلته يفكر ويقارن بين عبادة الله وعبادة الأوثان، فشرح الله صدره للإسلام واعتنقه مكرماً وجهه أن يسجد لصنم أو وثن، وكان عمره إذ ذاك لا يتجاوز ست سنوات على أظهر الأقوال.

الاعتبار في دعوة الحق لنضج العقل لا  
لعمر الجسد.

## إسلام زيد بن حارثة:

وهو مولى رسول الله ﷺ.

وكان يسمى زيد بن محمد، وسبب ذلك أن زيدا كان من قبيلة معن الكلبية. وقد قام بنو القين في الجاهلية بالإغارة على بني معن، وأخذوا زيدا في جملة ما أخذوا وهو طفل صغير، وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام، وأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ فكان يخدمهما.

ثم إن أبا زيد دُلَّ على موضع ولده، فجاء إلى النبي ﷺ في فدائه بما شاء من المال. فقال له النبي ﷺ: "لا آخذ شيئاً ولكن إن رضي زيد فخذوه" فرجع أبو

زيد إلى ولده فرحاً مسروراً فقال: أي بني!.. . قد رضي محمد أن تسير معنا.  
فقم إلى أهلِكَ وعشيرتك.

غير أن زيدا أعرض عن ذلك وقال: "والله لا أترك محمداً"، وذلك لما رأى  
من عظيم خلقه وطيب معشره.

فأكرمه النبي ﷺ وسماه: زيد بن محمد، وظل يسمى بذلك حتى نزلت سورة  
الأحزاب في المدينة بتحريم التبني.

ولما بُعث النبي ﷺ، سارع زيد إلى الإيمان به وذلك لما سبق من حبه له  
وتعظيمه إياه واعتقاده بصدقه وأمانته.

جيل الإسلام الأول  
فيه حنان المرأة، وعقل الرجل، وبراءة  
الطفل، وتجرد الموالي.

ولسنا نعرف تاريخ دخول هؤلاء السابقين في الإسلام على وجه الدقة،  
ولكن من المؤكد أنهم أسلموا فور أن عرض عليهم النبي ﷺ أمر دعوته.

### دعوة أبي بكر:

كان أبو بكر ألمع الدعاة في الإسلام، فقد قام فور إسلامه ينشر الإسلام  
بين أصدقائه وأبناء عشيرته، وهذا هو شأن كل مسلم وصل إلى نجاته بعقيدة  
الحق، وانفك من أسر القلق والشك والاضطراب في وحول الجاهلية إلى أنس  
الهدى والنور.

وكانت مهمة الصديق رضي الله عنه أن يدعو الناس إلى النبي ﷺ، حيث يقوم النبي عليه الصلاة والسلام بشرح الإسلام لهم ودعوتهم إليه.

فأسلم عثمان بن عفان، ثم الزبير بن العوام وعمره 14 سنة، وعبد الرحمن بن عوف وعمره 22 سنة، وطلحة بن عبيد الله وعمره 15 سنة، وسعد بن أبي وقاص وعمره 17 سنة.

وكذلك فقد أسلم أبو عبيدة بن الجراح وعمره 27 سنة، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وعمره 19 سنة، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وقدامة بن مظعون وسعيد بن زيد وعبد الله بن مظعون، وفاطمة بنت الخطاب. ثم بدأ الناس يتسامعون برسالة الإسلام، وسارع الضعفاء والفقراء إلى الدخول فيها.

رعيل الإسلام الأول:

شباب طامحون. . . وفتية آمنوا بربهم فزادهم  
هدى.

وقد كان أبو بكر وخديجة يشترون العبيد الضعفاء المسلمين ويعتقونهم في سبيل الله عز وجل، حتى أنفق أبو بكر قسماً كبيراً من ماله في إعتاق العبيد.

## السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ لِلْبَعْتَةِ "10 ق. هـ"

أهم الحوادث السنة الثالثة:

1- دخول دار الأرقم. أول مدرسة في الإسلام.

2- اجتماع المسلمين على صلاة الغداة والعشي.

3- أول دم في الإسلام.

أخذ المسلمون يتزايدون يوماً بعد يوم، وكانت الحكمة تقتضي منهم أن يخفوا إسلامهم، فكانوا يخرجون إلى شعاب الجبال يتعبدون الله عز وجل ويؤدون الصلاة: ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها على ملة إبراهيم عليه السلام مستقبلين بيت المقدس.

واجتهد النبي ﷺ أن يخفي أمر دعوته عن المشركين من قومه إلا من طمع بهدايته منهم، ولكن اجتماع الأصحاب مع النبي ﷺ حول الكعبة لم يكن يمر دون غمز ولمز من المشركين.

وبينما كان سعد بن أبي وقاص مع بعض أصحابه في شعب من شعاب مكة يصلون، إذ ظهر عليهم بعض المشركين، وجعلوا يستهزؤون بهم وبصلاتهم ودينهم، فصبر الأصحاب، فلم يتركهم المشركون حتى قاتلوهم، فدافع المسلمون عن أنفسهم، وضرب سعد أحد المشركين بعظم بعير فشجّه، فكان هذا أول دم أسيل في الإسلام.

## دار الأرقم بن أبي الأرقم

ولم يرض رسول الله ﷺ أن تتكرر هذه الحادثة، فالمسلمون ليس لهم من القوة ما يواجهون به قريشاً، والحكمة تقتضي أن يبقوا في هدوئهم، فاختار النبي ﷺ دار أحد أشرف مكة: الأرقم بن أبي الأرقم، لتكون مكاناً تلتقي فيه هذه المجموعة المسلمة بمعلمها ومربيها ﷺ، ولتكون داراً للدعوة إلى الله عز وجل.

أول الدعوة إعداد الدعاة  
دار الأرقم أول مدرسة لتخريج الدعاة.

وكان اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه في هذه الدار يقتصر على العبادة والذكر وتلاوة القرآن والتوجيه والتربية، إضافةً إلى استقبال ضيوف الإسلام وعرض الإسلام عليهم<sup>(1)</sup>.

بهذا الإعداد الإيماني والروحي المركز، تهيأ هؤلاء الرجال لمتابعة السير خلف رسول الله ﷺ في طريق الإسلام على صعوبته ووعورته، ودفعهم لتحمل المصائب والمحن المتلاحقة في سبيل حمل رسالة الحق والهدى، فكانت هذه الحلقة نواة الإسلام، وعلى أكتافها قامت الدعوة الإسلامية. وكانت الدعوة خلال هذا العام سرية خفية، وكان شياطين قريش يشعرون بالدعوة الجديدة، ويتسامعون أخبار المؤمنين فيتغامزون ويسخرون من غير أن يباشروا بالأذى والسوء.

<sup>(1)</sup> وكان من فضل الله على الأرقم أن بقيت داره محفوظة إلى يومنا هذا، وصارت اليوم مكتبة من أكبر المكتبات الإسلامية في الحجاز.



## السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لِلْبَعْثَةِ "9ق. هـ"

أهم حوادث السنة الرابعة:

- 1- إعلان الدعوة في قريش.
- 2- بدء الإيذاء والاضطهاد.
- 3- إعلان أبي طالب عن حمايته للنبي ﷺ.
- 4- محاولات قريش احتواء رسالة النبي ﷺ عن طريق المفاوضة.
- 5- وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام على يد أبي جهل بن هشام.
- 6- وفاة ثوية الصابرة.

## الإسرار بالدعوة

استمرت الدعوة السرية ثلاث سنوات، وكانت هي مرحلة التركيز في دعوة الرسول ﷺ، حيث بنى رجالاً يمكن الاعتماد عليهم في حمل رسالة الإسلام. وهم وإن كان عددهم قليلاً-قرابة الأربعين- إلا أنهم كانوا يحملون مبادئ الحق التي غيرت فيما بعد وجه التاريخ. وجاء الأمر الإلهي بتبليغ هذه الرسالة

والإعلان بها، فنزل قوله تعالى: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }<sup>(1)</sup>. ليبين للمسلم أنه مسؤول عن أهله وقرابته في إيصال صوت الإسلام إليهم، ثم نزل قوله تعالى: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }<sup>(2)</sup>.

فصنع النبي ﷺ طعاماً ودعا أقاربه، وأراد أن يتكلم فبدأ عمه أبو لهب بالكلام وصدّه صدّاً قبيحاً، فأثر رسول الله السكوت في هذا المجلس، فالجو العنيف لم يعد مناسباً لعرض الإسلام.

من أصول الدعوة والبلاغ المبين  
اختيار المكان المناسب والزمان المناسب  
والكلمة الحكيمة.

فدعاهم مرة ثانية ووقف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنها للجنة أبدأ أو النار أبدأ"،

فقال عمه أبو طالب: "ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأنفعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب".

(1) الشعراء: 214.

(2) الحجر: 94.

فقام أبو لهب وقال: "امنعوه من دينه قبل أن يمنعه غيركم، فإن أسلمتموه حينئذٍ ذلتم، وإن حميتموه قتلتم". لكن جهد رسول الله ﷺ لم يذهب سدى، فقد آمن من بعض أقاربه، كعمته صفية، وفاطمة بنت أسد زوجة عمه أبي طالب.

وعاد رسول الله ﷺ يبحث عن وسيلة أخرى يبلغ فيها قومه رسالة الله، فصعد جبل الصفا صباح يوم، ونادى في الناس "واصباحاه. . واصباحاه. . فلما اجتمعوا حوله، قال لهم: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟، قالوا ما جربنا عليك كذباً قط. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال له عمه أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ (5) }

المؤمن الحق. . لا يستطيع أن يكتب أساه  
على إعراض الناس عن الحق.

## الاضطهاد

ولم تضع صيحة الصفا، بل ظلّ صداها يتردد في أسماع الناس: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فازداد اهتمام الناس بالإسلام، فقيروهم وغنيهم، عبيدهم وأسيادهم، ضعفاؤهم وأقوياءهم. .

المستضعفون والعبيد والفقراء وجدوا فيه خلاصاً لهم في دنياهم وأخرتهم، وتصحيحاً لعلاقات المجتمع الجاهلي وانحرافاتة، وتصحيحاً لعلاقاتهم بربهم وخالقهم.

أما الأسياد والأغنياء، فقد وجدوا في الإسلام تهديداً لمصالحهم وأهوائهم، وجدوا في عقيدة الحق حرباً على أصنامهم وعاداتهم الجاهلية التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، وجدوا في الإسلام عدالة تهدد سيادتهم، وتحرراً للفكر يهدد خرافاتهم، وعلماً يهدد جاهليتهم، وتركية تهدد أهواءهم ورغباتهم.

وصبّت قريش عذابها على المسلمين، لكن لم يصل الأذى في بداية الأمر إلى رسول الله ﷺ مراعاةً لعمه أبي طالب الذي تكفل بحمايته ورعايته.

فلجأت قريش إلى المفاوضات، فأرسلت وفداً من أشرفها إلى أبي طالب فطلبوا منه أن يكفّ محمداً عن دعوته وبدعته أو أن يسلمه إليهم، فجاء أبو طالب إلى رسول الله ﷺ وقال له: "يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق فردّ عليه رسول الله ﷺ بكلمات تفيض باليقين:

"يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

عندئذ قال أبو طالب: "اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً".

وتابع النبي ﷺ دعوته، وتابعت قريش مكائدها، فأرسلت وفداً إلى أبي طالب، فيهم المطعم بن عدي فعرضوا عليه أن يأخذ أذكي شباب قريش وأجملهم-عمارة بن الوليد بن المغيرة-يتخذه ولداً ويعطيهم محمداً. فقال لهم: بئس ما قلت، تعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيتكم ابني تقتلوناه؟! ورفض تسليمه لهم.

ثم عرضوا على رسول الله ﷺ المال والنساء والملك فلم يكن لكل ذلك محل في قلبه العامر باليقين.

وعرضوا عليه أن يعبد آلهتهم عاماً ويعبدوا إلهه عاماً، كما لو كانت رسالته ودعوته لوناً من ألوان المعاوضات. فأنزل الله عز وجل قوله الفصل:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}

لا مساواة في عقيدة التوحيد

إرضاء لهوى الجاهليين.

وبذلك علمت قريش أنه لم يبقَ مجال للتفاوض مع المسلمين وأنَّ محمداً  
ماضٍ فيما أمره ربه من الحق لا يصده عنه شيء، وتهمياً شياطينها لهذه المرحلة  
وبداً الابتلاء، وأوذي المسلمون في الله، وعُذِّبوا لتركوا دينهم فما تركوه.

وكان ممن أوذي في الله "عمار بن ياسر" وأمه "سمية بنت خياط" وأبوه  
"ياسر"، فكانوا يخرجونهم في حر النهار ويعذبونهم على الرمال المحرقة، وهم  
صابرون متمسكون بدينهم، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم فيقول: "صبراً آل  
ياسر فإن موعدكم الجنة".

ومات ياسر في العذاب، وماتت سمية بطعنة وحشية من أبي جهل، فكانا  
أول شهيدين في الإسلام، وفاضت أرواحهما وهما على أتم حال من اليقين.  
وانقلب أبو جهل على ولدهما عمار يصب عليه ألوان العذاب، وعمار  
صابر موقن، حتى همَّ الطاغية أن يلحقه بالديه الشهيد فنطق لسان عمار  
بكلمات من الكفر، يكف بها أذى أبي جهل ويحفظ بها ريقه من الموت، حتى  
صرف عنه أبو جهل العذاب.

ثم إن عمار مضى إلى رسول الله ﷺ نادماً باكياً يحزنه موت والديه، ويرعبه  
ما نطق به من كلمة الكفر، وأخبر النبي ﷺ خبره في وجل وخوف، فتلقاه النبي  
ﷺ في حنان فسأله: "كيف تجد قلبك؟" فقال عمار: "أجده مطمئناً بالإيمان"  
فقال: "يا عمار، إن عادوا فعُد" ونزل فيه قوله تعالى:

{إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}

الإيمان الحق عمل من أعمال القلب  
ومكائد الطاغوت قد تلوي اللسان كما  
تريد ولكنها لن تبلغ قرار القلب.

وممن أوزي في الله "بلالُ بنُ رباح الحبشي"، وكان عبداً لأمية بن خلف، فكان يلقيه على الرمال في الرمضاء، ويأمر بصخرة فتوضع على ظهره ويقول: لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، وبلال يقول: "أحد. . أحد" لا يتزحزح عن إيمانه ويقينه، ولا زال موقناً صابراً يعذب في سبيل الله حتى أتعب سيده أمية، فاستعان عليه بالسفهاء من أعوانه، وبلال صابر محتسب حتى جاءه أبو بكر فأعطى أمية عبداً أقوى منه وأخذ بلالاً وأعتقه.

وممن أوزي في الله "الزبير بن العوام" أسلم وعمره أربع عشرة سنة، وكان عمه يعلّقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر، والزبير يقول: "لا أكفر أبداً".  
وممن أوزي في الله (خبّابُ بن الأرت)-وهو أول من أظهر إسلامه من العبيد- وكانت مولاته: أم أعمار تضع الحديد المحمّي على ظهره حتى يبرده شحم ظهره وبلغ الأذى بيدنه مبلغاً عظيماً، حتى صار في ظهره مثل الأخاديد من شدة العذاب، فجاء إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد، ببردة في ظل الكعبة وقد لقي المسلمون من المشركين شدة، فقال خبّاب: "يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟"، فقعد النبي ﷺ وهو محمّر الوجه فقال: "وماذا لقيتم يا خباب؟، لقد كان من قبلكم يُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه،

ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقه اثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

لا يقوم الحق إلا على أساس من  
التضحيات الصادقة.

وممن أوزي في الله "أبو فُكَيْهَة" وكان عبداً لصفوان ابن أمية، فكان أبو فكيهة يربط بجبل في رجله ويجر على الرمال في الرمضاء وهو يقول: "الله ربي" وعذب حتى أغمي عليه، فاشتراه أبو بكر وأعتقه.

وممن أوزي في الله "مصعب بن عمير" وكان أنعم شباب مكة وأجملهم وأفضلهم ثياباً، يغدو في حلة ويروح في حلة، ويعيش حياة الرغد والنعيم.

فلما دخل في الإسلام، وأشرقت نفسه وقلبه، عدا عليه أهله يؤذونه ويعذبونه، وهو يزداد إيماناً ويقيناً، حتى أوثقوه بالحبال فبقي في أغلاله حتى هرب من أهله فكان في أول من هاجر إلى الحبشة.

ومات جماعة من المسلمين تحت التعذيب والأذى وقتلت ثوية، وعميت زبيرة تحت العذاب.

وفيهم أنزل الله عز وجل:



{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ  
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا  
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (1).

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفةٍ باعوا إلى الله أرواحاً وأبداناً  
أعطوا ضريريتهم للدين من دمهم والناس تزعم نصر الدين مجاناً  
أعطوا ضريريتهم صبراً على محنٍ صاغت بلالاً وعمّاراً وسلماناً  
إنّ أي تجديد أو إصلاح لا يمكن أن ينهض إلا على أساس من التضحيات  
الصادقة، فكيف برسالة جاءت لإخراج العالم من الظلمات إلى النور؟  
ولم يسلم قائد الركب من الأذى وهو الذي يقول: "أشدّ الناس بلاءً  
الأنبياء" (2) وكان يقول: "أوذيت في الله وما أوذيت بني مثل ما أوذيت" (3).

وكان ممن آذى رسول الله ﷺ عمه أبو لهب، فرغم قرابته له ورغم تزوج  
ولديه عتبة وعتيبة من بنتي رسول الله -رقية وأم كلثوم- إلا أن النسب والقرابة لم  
تغن عنه شيئاً، بل كان من أشد الناس عداوة له، تدفعه إلى ذلك زوجته أم  
جميل -حمالة الحطب-، فكانا يلقيان القدر أمام دار النبي ﷺ وكان يكثر من

---

(1) سورة البقرة: 214.

(2) أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

(3) أخرجه الترمذي وأحمد.

شتمه وسبه وإيذائه. ولم يكن رسول الله يزيد على أن يقول: "يا بني عبد مناف أي جوارٍ هذا؟...".

وكان من أشد الإيذاء الذي قام به أبو لهب أنه قال لولده عتبة: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق رقية بنت محمد، وكان قد تزوجها قبل البعثة وكذلك قال لولده عتيبة قد تزوج بنت النبي ﷺ أم كلثوم، فلم يزل بولديه حتى طلقا بنتي النبي ﷺ من غير ما ذنب.

خصوم الإسلام. . في بطشهم بدعاة  
الحق لا يميزون بين وسيلة دينية ووسيلة  
شريفة.

واحتضن النبي ﷺ بنتيه الطاهرتين في حنان وحب، ومضى في رسالة الدعوة والبلاغ.

أما رقية فقد تزوجها عثمان رضي الله عنه فكانت عنده إلى أن ماتت سنة ثلاث من الهجرة، ولما ماتت تزوج عثمان بأختها أم كلثوم أيضاً فكانت عنده إلى أن ماتت أيضاً فقال النبي ﷺ: "لو كانت عندي ثلاثة لزوجتها عثمان".

## السنة الخامسة للبعثة " 8 ق. هـ "

أهم حوادث السنة الخامسة:

- 1- اشتداد أذى قريش.
- 2- الهجرة الأولى إلى الحبشة وفيها عثمان بن عفان ورقية بنت النبي ﷺ.
- 3- محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم.
- 4- بدء الدعوة في الحبشة.

### الهجرة الأولى إلى الحبشة

في هذه السنة اشتد الإيذاء على أصحاب النبي ﷺ ، وصار طواغيت قريش يتتبعون كل من بلغهم أنه دخل في الإسلام بالتعذيب والتقييل والتشريد، وسفكت دماء طاهرة، وقضت أنفس زكية، وسكبت دموع سخية، وظهر أن مصالح قريش قد اجتمعت على حرب الإسلام بشتى الوسائل، وبدأ التفكير جدياً في البحث عن أرض يهاجر إليها المؤمنون، ويتمكنون فيها من تطبيق شريعة الله وامثال أوامره. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى ما ينزل بهم من البلاء: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق. حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه.

المؤمن بصير حكيم  
لا يخاف من الموت ولكنه لا يسعى إليه.

فخرج بعض المسلمين مهاجرين بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.  
وكانوا خمسة عشر مهاجراً بين رجال ونساء، وكانت في شهر رجب،  
وتتابعت هجرة المسلمين حتى زاد عددهم على الثمانين. واستقبلهم النجاشي  
وأكرمهم وأعطاهم الأمان، وأصبحوا أحراراً في دينهم وعبادتهم.  
ومن أشهر من هاجر في هذه الهجرة "عثمان بن عفان" وزوجته "رقية"  
و"مصعب بن عمير" و"أم سلمة وزوجها" أبو سلمة بن عبد الأسد".  
لكن قريشاً لم تكتف بمحاربتهم في بلادهم، فأرسلت عمرو بن العاص وعبد  
الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي، وحملا معهما هدايا كثيرة قدمها لبطارقة  
النجاشي وحاشيته، ودخلا على النجاشي بالهدايا النفسية وقالوا:  
"أيها الملك إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم  
يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك  
فيهم أشرف قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلم  
بهم".

وأيد البطارقة هذا الكلام، فغضب النجاشي وقال: "لا والله لا أسلم قوماً  
جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما

يقول هذان، فإن كانا صادقين أسلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ما يقول هذان حميتهم وأحسن جوارهم".

مكائد الطاغوت متنوعة ومستمرة ورجل

الحق مستهدف . .

والعاقبة للمتقين.

ولما دعي الصحابة لمقابلة النجاشي، اضطربت قلوبهم وخصوصاً لما علموا بمقدم عمرو بن العاص وصاحبه من مكة، وكان عمرو بن العاص صديقاً للنجاشي وداهية من دهاة العرب، فأمضوا ليلتهم في الضراعة والالتجاء إلى الله عز وجل، وهذا شأن كل مؤمن ماض في سبيل الله آخذٍ في بلاغ رسالته.

ولما صحّ منهم التوكل على الله اختاروا جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ خطيباً باسمهم، ودخلوا على النجاشي ولسان حالهم: "على الله توكلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" ولما دخلوا عليه وبطارقته من حوله، وكذلك عمرو وصاحبه فسألهم عن مقدمهم، تقدّم جعفر بن أبي طالب فقال:

"أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، نأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق

الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك".

الداعية الحق... حكيم في مخاطبة الناس  
يسارع في انتقاء ما يناسب أحوالهم من  
الهدى.

فقال النجاشي: "هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟"

قال جعفر: "نعم".

قال: "فاقرأ علي".

فقرأ جعفر بعض آيات من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته

بالدموع وقال:

"إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة". ثم قال لرسول

قريش: "انطلقا فوالله لا أسلمهم أبداً ولا يكادون؟".

ولكن نار الحقد لم تنطفئ بهذه النهاية العادلة، فقام عمرو من جديد يثير صدر النجاشي وقال له: "إنَّ هؤلاء يقولون في مريم قولاً عظيماً، فالتفت النجاشي إلى القوم وقال: "ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟".

وعاد جعفر بن أبي طالب بلسان الواثق الموقن فقال: "ما نقول فيه إلا كما قال نبينا محمد ﷺ. هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول. "

ثم قرأ عليه:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (1).

ولما سمع النجاشي هذا ضرب بيده على الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود. ثم التفت إلى المسلمين فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الآمنون، من سبَّكم غرم، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم".

وهكذا انقلب دهاة قريش مخذولين لم ينالوا خيراً.

---

(1) سورة آل عمران: 59 .

(1)المحدثون مختلفون في شأن النجاشي-أصحمة أهو النجاشي الذي حاور جعفر أم خليفته من بعده؟وأياً ما كان، فإن الحوار المخلص الإسلامي المسيحي هو الذي أدى بالنتيجة إلى إسلام النجاشي.

(2)أخرجه البخاري في كتاب الجنائز.

ومضى المؤمنون في طول الحبشة وعرضها يذكرون الله ويشكرونه ولا يعترضهم أحد، وعاد بعضهم فيما بعد إلى مكة، كما مات منهم جماعة في الحبشة، أما جعفر وبعض أصحابه فقد عاشوا في الحبشة نحو 14 عاماً، ورجعوا يوم فتح خيبر إلى المدينة المنورة.

المؤمن الحق داعية بطبعه.

لا يكف عن دعوة الناس إلى الهدى

والنور.

ولا شك أن لسان الدعوة لم يفتر طول هذه الإقامة الطيبة. ولا شك أيضاً أن الحوار استمر بين النجاشي والصحابة في غير موضع. ودليل ذلك أن النجاشي-أصحمة-قد دخل في الإسلام من بعد، ويوم مات نعاه النبي ﷺ إلى الصحابة وقال:

"استغفروا له، ثم خرج بأصحابه إلى المصلى فقام فصلى بهم كما يصلي على الجنائز"(2).



## السَّنَةُ السَّادِسَةُ لِلْبَعْثَةِ "7ق. هـ"

أهم حوادث السنة السادسة:

1- إسلام حمزة بن عبد المطلب.

2- إسلام عمر بن الخطاب.

3- الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن.

4- عودة بعض المهاجرين من الحبشة.

هاجر إلى الحبشة ثمانون من أصحاب رسول الله ﷺ (عدا الأطفال والنساء)، ولم يبق في مكة من المؤمنين إلا قوي له منعة في أهله وعشيرته، أو من رده قريش ومنعته من السفر إلى الحبشة، وكانوا لا يزالون يجتمعون مع النبي ﷺ كل ليلة خفية في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ أول مدرسة في الإسلام.

ورغم ما كانت قريش تمارسه من إيذاء لهؤلاء المسلمين، فلم يزدحم ذلك إلا حماساً وإيماناً والتزاماً، ويدفع بغيرهم من طلاب الحق والباحثين عن النور إلى الدخول في هذا الدين الجديد.

إسلام حمزة:

وفي هذه السنة أسلم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكان حمزة بن عبد المطلب شاباً قوياً عزيزاً، مرهوب الجانب في قريش، وبسبب ما كان يعيش

به من عنفوان الشباب ومغامراته، لم يكن يهتم كثيراً بدعوة ابن أخيه، حتى عاد ذات يوم من صيده ومعه قوسه يريد الطواف بالكعبة، إذ جاءت جارية وقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم؟ آذاه وسبه وانصرف عنه ولم يكلمه محمد!!.

فغضب حمزة لابن أخيه، وقام حتى وصل إلى أبي الحكم-أبو جهل-فرفع قوسه وضربه بها فشجه شجة عظيمة، قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فزُدَّ ذلك عليّ إن استطعت!!.

فقام رجال لينصروا أبا جهل فقال: دعوه. . والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

ولم تكن كلمة حمزة هذه إلا فورة غضب دفعته إليها حمية العصبية لابن أخيه، ولكنه عاد من ليلته إلى داره وبات يقلب النظر في أمر دعوة ابن أخيه.

### الداعية الناجح

يختار اللحظات المؤثرة لإلقاء الموعدة.

وإليك خبر إسلام حمزة كما رواه ابن إسحاق:

"أقبل حمزة على نفسه، وقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان خيراً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً. فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إني وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا

أدري ما هو!! أرشد أم غي: شديد. فحدثني حديثاً. فقد اشتهمت يا ابن أخي أن تحدثني. فأقبل رسول الله ﷺ ، فذكره وعظه، وخوفه وبشره، فألقى الله تعالى في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ، فقال: أشهد أنك الصادق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول، فكان حمزة ممن أعز الله به الدين".

وشرح الله صدر حمزة للإسلام، وكان يوم إسلامه يوماً انخلعت له قلوب المشركين، وفرحت له قلوب المؤمنين.

كان إسلام حمزة مكافأة منحها الله للنبي  
ﷺ لما صبر على أذى قريش.

### إسلام عمر:

وفي هذه السنة أيضاً أسلم عمر بن الخطاب، وكان من أشد الناس عداوة وحرماً على الإسلام والمسلمين، وقد بلغ من إيذائه للمسلمين وبطشه بهم أنه قتل جاريته ثوية حين رفضت أن ترجع إلى الكفر بعد إذ دخلت الإسلام، وبلغ من أذاه وغلظته على المسلمين أنهم كانوا يقولون: لا يسلم ابن الخطاب حتى يسلم حمار الخطاب.

لا تقطع الأمل من هدية أحد. . مهما  
اشتد ضلاله فرمما كان فيه خير عظيم.

وكان عمر رجل جد وعزيمة، ولم يكن للهلزل والعبث سلطان على قلبه الحديدي، وقد كان في الكفر جباراً عنيداً قبل أن يكون في الإيمان رشيداً شديداً.

ولما أسلم حمزة وبدأ المسلمون يجهرون بما هداهم الله إليه، قام عمر بن الخطاب يحسم أمر الإسلام بما لم يكن قد خطر على بال أحد من قريش، فخرج حاملاً سيفه يريد رسول الله ﷺ.

ونروي قصة إسلامه كما ذكرها ابن إسحاق:

"وكان إسلام عمر فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت، وأسلم بعلمها-زوجها-سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام، رجل من قومه من بني عدي بن كعب، قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه.

وكان خباب بن الأرت يختلف-يأتي-إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه، يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصائب الذي فرق أمر قريش وسقّه أحلامها وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم:

والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر: أتري بني عبد مناف-عشيرة النبي-تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خنتك-صهرك-وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما... أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ خشية عليه. وإيذاء فاطمة وزوجها أهون من إيذاء رسول الله على كل حال. فرجع عمر إلى أخته وختته، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها، .

كانت بيوت الصحابة دوراً للقرآن الكريم  
وكان الدعاة يدخلون بيوت الناس  
يعلمونهم القرآن.

فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها في ثيابها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت، قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة-الصوت-التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه! وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك! فلما رأى ما بأخته من الدم ندم على ما كان صنع، فارعوى وقال لأخته أعطني

هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد- وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي. وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر! فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها "طه" فقرأها، فلما قرأ منها صدرأ قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب"، فالله الله يا عمر.

كان النبي ﷺ يسأل الله الهداية لزعماء العرب بالرغم من كفرهم ويرجو أن يعز الله بهم الإسلام.

فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتته فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه.

المؤمن قوي بالله واثق بتأييده.

فقال رسول الله ﷺ: إئذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه، ثم جبذه به جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله.

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكائهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصفون بهما من عدوهم.

قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتته فأخبره أنني قد أسلمت. قال: قلت أبو جهل فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إلي أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به!! .

المؤمن يفرح بإيمانه ولا يخاف في الله لومة لائم.

قال عمر: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه، وما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

وبإسلام عمر وحمزة بدأ عهد جديد من عهود الدعوة، واستعلن الناس بالإسلام، وسمي عمر فاروق الإسلام، وسمي حمزة أسد الله وأسد رسوله. لكن الاضطهاد لم ينته، فقد كان المشركون يعمدون إلى المسلمين فرادى، ويصبون عليهم العذاب، ويتجنبونهم مجتمعين.

### الجهر بالقرآن:

كل هذا الابتلاء لم يمنع المسلمين من قيامهم بالدعوة إلى الله بكل الوسائل المتاحة لديهم، لكنهم لم يكونوا يجرؤون على الجهر بالقرآن أمام قريش. وأول من جهر بالقرآن في مكة عبد الله بن مسعود، وكان رجلاً ضعيفاً رقيقاً، ولكنه في صدق الاعتقاد كان كما وصفه رسول الله ﷺ أثقل من جبل أحد، فخرج صباح ذات يوم وقريش في أندية حتى وقف عند المقام وأخذ يتلو:

**بسم الله الرحمن الرحيم**



{الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (1).

فطار الأسياد من قريش وقاموا إليه يضربونه ويؤذونه وهو يقرأ، حتى قرأ منها ما شاء الله أن يقرأ، فانصرف إلى أصحابه وآثار الإيذاء في وجهه، فقال له أصحابه: هذا الذي خشينا عليك، فقال: "ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، لكن شئتم لأقرآن عليهم غداً فقالوا: لا، لقد أسمعتهم ما يكرهون".

الإيذاء رغم قسوته هين يسير إذا كان في  
سبيل دعوة الحق.

### الهجرة الثانية إلى الحبشة:

وأرسلت قريش إلى الحبشة من أشاع فيها أن أهل مكة قد دخلوا في الإسلام، وتسامع المسلمون في الحبشة ذلك وعاد منهم نفر يبلغ ثلاثة وثلاثين رجلاً، لكن ما إن وصلوا إلى مكة حتى عاد المشركون لما كانوا عليه من الاضطهاد والإيذاء.

وعاد رسول الله ﷺ ينصح بالهجرة إلى الحبشة، فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة في مطلع السنة السابعة وآخر السادسة.

(1) سورة الرحمن.

## السنة السابعة للبعثة "6ق. هـ"

أهم حوادث السنة السابعة :

- 1- الهجرة الثانية إلى الحبشة .
- 2- محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية .
- 3- قريش تصاب بالحيرة في اتخاذ موقف واحد من الإسلام .

### محاولات قريش لوقف الدعوة

لم تنفع كل محاولات قريش المستمرة في رد أصحاب رسول الله ﷺ عن إسلامهم، بل إنها زادت من إيمانهم وعقيدتهم. وبدأت قريش محاولات أخرى من الإغراء والاستعطاف مع النبي ﷺ لتلفته عن دينه، فأرسلت إليه عتيبة بن ربيعة، وكان عتيبة هذا قد جاوز الثمانين من عمره، وكان يسمى حكيم قريش، فجاء حتى أتى النبي ﷺ فقال له: "يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً جعلناك سيداً علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه".

في معركة الدعوة

محن من الحرمان ومحن من الإغراء .  
والداعية الحق . هو الذي لا يصرفه الحرمان عن  
همته ولا يشغله الإغداق عن دعوته .

فقال له رسول الله ﷺ: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم ، قال : فاسمع مني ثم قرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

{حم (1) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) } (1).

ومضى يقرأ وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ }.

فأمسك عتبة بفمه وناشده الرحم أن يتوقف خشية أن تصيبهم هذه الصاعقة ، وعاد إلى قومه مسرعاً وقال: سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم. لكن قريشاً لم يزدنها الكلام إلا عناداً واستكباراً، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

وكان حكماء مكة يجدون في صدورهم صدق ما قاله عتبة، فيعلمون أنه الحق من ربهم، ولكنهم يحقدون حفاظاً على سيادتهم ومراتبهم.

لا يمكن أن ينفع الحق- مهما كان بليغاً-  
أقواماً جعلوا أهواءهم ومصالحهم حجاً  
بينهم وبين الهدى.

(1) سورة فصلت: 13 .

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُفْسِدِينَ} (1).

وكان أشرفهم يحسون حلاوة القرآن في قلوبهم، ولكنهم يكابرون في الإنكار  
والإصرار.

بل إن بعضهم كانوا يصغون بأسماعهم إلى القرآن، لما يلمسون من حلاوته  
وطلاوته وذلك في غفلة من أشياعهم وأتباعهم من السفهاء.

وحدث أن ثلاثة من زعماء قريش وهم الأخنس بن شريق، وأبو سفيان بن  
حرب، وأبو جهل بن هشام اجتمعوا عند باب النبي ﷺ في جوف الليل وهو يقرأ  
القرآن، ولم يكن أحد منهم يعلم بصنيع صاحبه، فلما أسفر الصبح فضحهم  
إشراقه، فتلاوموا على ما فعلوا، وقال قائلهم: والله لئن علمت قريش مخرجكم هذا  
لا رتدت عنكم إلى محمد. وتعاهدوا أن لا يرجعوا من غدهم، فما هي إلا أن جاءت  
الليلة الثانية حتى اجتمعوا على حالهم الأول، فاتفقوا كما اتفقوا بالأمس، ولما  
كانت الليلة الثالثة وعاد كل منهم إلى مكانه قرب بيت النبي ﷺ يستمع القرآن  
وهو يحسب أن صاحبيه لا يحضرن، فلما اجتمعوا تواتقوا أن لا يعودوا إلى مثلها  
أبداً وأغلظوا على أنفسهم في الميثاق.

لا يكفي أن تصغي بأذنك إلى تلاوة القرآن  
بل لابد أن يصغي قلبك وتمثّل جوارحك.

ثم إن الأخنس لقي أبا جهل فقال له: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من  
محمد، فقال أبو جهل: ماذا سمعت!...تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف،  
أطعموا الحجاج فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا في الركب

(1) سورة النمل: 14 .

وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه،  
والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه!! .

لا يصلح لدعوة الإسلام من لم يتحرر من  
أسر هواه وأنانيته .

وهكذا فإنك ترى أن حرب سادة قريش على الإسلام لم تكن أبداً مسألة قناعة  
يحسم فيها نقاش العقل وهديه، ولكنه كان تعاكس مصالح، وما كان لطاغية نبت  
لحمه من دماء الناس أن يتنازل عن موقفه ومنصبه من أجل مسألة حق .

## السَّنَةُ الثَّامِنَةُ لِلْبَعَثَةِ "5 ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثامنة :

- 1- دخول المسلمين في شعب أبي طالب في مؤامرة ظالمة.
- 2- إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين.
- 3- استمرار التربية العقائدية والروحية في مدرسة النبي ﷺ.

### الحصار في شعب أبي طالب

خلال السنوات السبع الماضية، كانت قريش تحارب الإسلام من خلال إيذاء الصحابة بشتى الوسائل، أما النبي ﷺ فلم يكن أحد يجروء أن يمد يده إليه لما كان فيه من منعة وعزة وعشيرة، فقد كان عمه أبو طالب سيداً من سادات مكة وزعيماً من زعمائها، وكان أعمامه وبنو أعمامه قوة لا يستهان بها في مكة. فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفسد في القبائل، اجتمع رؤسائهم واثتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

{لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (1).

لا يهولنك اجتماع الناس على حرب الحق  
الحق منصور ولو كان محتبئاً في غار .  
الحق جماعة ولو كان واحداً .  
ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأحكمت قريش الحصار حتى لا تصل إليهم لقمة طعام، وكان أبو لهب يدور  
بين التجار ويقول لهم: غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم، وأنا  
أدفع لكم أضعافاً مضاعفة .

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن  
سبيل الله فهل ينفق المسلمون أموالهم  
ليرشدوا إلى سبيل الله .

وهكذا فقد مضت السنة الثامنة والمسلمون في محنة لا تصفها عبارات القول،  
وخيل للذين يتعجلون من الناس أن دعوة محمد لم تعد إلا مجرد ذكرى مؤسفة في  
تاريخ الحجاز، طوتها الصحراء طي السجل للكتب، فضاعت فيما ضاع من آثار  
الغابرين .

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (1).

(1) سورة آل عمران: 186 .

(1) الأنفال: 44 .

## السنة التاسعة للبعثة "4ق. هـ"

أهم حوادث السنة التاسعة:

- 1- استمرار الحصار الظالم.
- 2- حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين.
- 3- انتشار خبر المقاطعة في العرب أدى إلى تعاطف عام مع المسلمين.
- 4- دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام.

### استمرار الحصار

استمر الحصار الظالم في شعب أبي طالب طيلة السنة الثامنة والتاسعة وجزءاً من السنة العاشرة، ولقد كان الحصار بلا ريب محنة كبيرة على المسلمين، ترفع درجاتهم وتعظم أجرهم، وتعطي المسلمين في كل زمان ومكان درساً في الصبر والتضحية في سبيل الرسالة.

المحن لا تزيد الإيمان إلا رسوخاً وتميز المؤمنين  
من المنافقين.

وطالت أيام الحصار، فعصرهم الجوع عصراً، وتضاغى صبيانهم وعلا بكأؤهم حتى سمع من وراء الشعب، فكان الواحد منهم يخرج بالنفقة فلا يجد ما يشتره حتى مات قوم منهم.



{وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ  
وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ} (1).

ولقد كان بعضهم يطحن القطعة من جلد البعير ويمزجها بالماء ويلتهمها التهاماً.  
{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} (2).  
ولم يكن المشركون جميعاً راضين عن هذه المقاطعة، فقد كان بعضهم يحاول تزويد  
المحاصرين بشيء من الطعام، فكان هشام بن عمرو يأتي بالبعير فيحمله بالطعام،  
ويخرج به ليلاً باتجاه الشعب ثم يفتله ويوجهه إلى الشعب، فعلمت قريش بذلك  
وهمت بقتله لولا أن أبا سفيان بن حرب ردها عنه.

ومنهم حكيم بن حزام: كان يخرج بالطعام لعمته خديجة مع غلام له، فاعترضه  
أبو جهل وأغلظ له القول، فجاء أبو البختری بن هشام وقال لأبي جهل: طعام  
كان لعمته عنده أتمنعه أن يأتيها به؟ خل سبيله، فأتى أبو جهل فتشامتاً وضربه أبو  
البختری بعظم فشجه وأذاه فكف عنه.

ولكن كما أن المقاطعة كانت محنة قاسية في تاريخ الإسلام، فقد تحولت كذلك  
إلى وسيلة إعلام واسعة بين القبائل العربية وخاصة في موسم الحج، فرأت العرب أن  
رجلاً قد أخرج قريشاً عن طورها وعقلها، وجعلها تمنع الطعام عن أبنائها ما هو  
بالمجنون أو الكذاب، وأكد لهم ذلك صبر هذا الرجل مع أتباعه على هذا الابتلاء.  
وبذلك لم تعد دعوة النبي ﷺ في الرأي العام العربي مجرد بدعة فتى قرشي طامح  
متفلس من تقاليد قريش، بل صارت محاً اهتمام العرب، حتى صار كل من يحضر

(1) سورة البقرة: 155.

(2) سورة آل عمران: 180.

الموسم من العرب يهتم لهم وينشغل بهم، وإذا كانت قريش قد منعت الناس من مقابلتهم والدخول عليهم، فلم يكن لها أن تمنعهم من الاهتمام بهم والسؤال عنهم، وإبداء السخط من هذه المقاطعة الظالمة التي لم يعرفها كل تاريخ العرب.

{ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (1).

ففي هذه الفترة جاء وفد من نصارى الحبشة إلى رسول الله ﷺ، وكانوا أكثر من ثلاثين، وكانوا قد سمعوا بالنبي ﷺ من خلال أصحابه المهاجرين في الحبشة الذين كانوا يقومون بالدعوة فيها بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادئ فكان هؤلاء ممن وقع في قلوبهم صدق النبي ﷺ فأحبوا أن يدخلوا في الإسلام موقنين، فشدوا الرحال حتى بلغوا مكة المكرمة، فلما أخبروا بحصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب، دخلوا فيه حتى انتهوا إلى النبي ﷺ فلما سمعوا من رسول الله ﷺ واستمعوا للقرآن آمنوا جميعاً، فعلم بذلك أبو جهل فأتاهم وقال لهم: ما رأيت ركباً أحمق منكم، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال.

فقالوا لأبي جهل: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه؛ فكانوا أول وفد إلى رسول الله ﷺ يدخلون في الإسلام وفيهم نزل قوله تعالى:

{ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُنزَّلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا

(1) سورة البقرة: 216.

(2) القصص: 52.

وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا  
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ { (2) .

الإسلام. . قريب من الأنفس الظامنة للحق  
والمطلوب من الدعوة: حسن العرض  
وسلامة القصد.

وانطوت كذلك سنة أخرى، والحصار على أشده والإيمان يزيد في نفوسهم قوة  
وشدة، والكفر يتقلب في قلوب قريش غيظاً وسفاهة، والنبي ﷺ مقبل على  
أصحابه الذين يدعون بهم بالعداة والعشوي، لا تعدو عيناه عنهم، وهو يقرأ لهم ما  
أنزل الله:

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ  
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ  
نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ { (2) .

## السنة العاشرة للبعثة "3ق. هـ"

أهم حوادث السنة العاشرة: (عام الحزن).

- 1- نقض الصحيفة الظالمة.
  - 2- وفاة خديجة بنت خويلد.
  - 3- وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ .
  - 4- إيذاء قريش للنبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب.
  - 5- هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.
  - 6- إيمان نفر من الجن.
  - 7- إيمان عداس النينوي.
  - 8- دخول النبي ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي.
  - 9- العودة إلى الدعوة في مكة في جوار المطعم.
  - 10- إسلام جماعة من أهل المدينة في موسم الحج.
  - 11- إسلام جماعة من بني شيبان وفيهم المثنى بن حارثة.
- بدأ هذا العام والحصار محكم حول المسلمين في شعب أبي طالب، ورسول الله ﷺ وأصحابه معه لا يزيدهم الحصار إلا إيماناً وتمسكاً.

### نقض الصحيفة:

وقد أخذ عقلاء مكة وحكامؤها يضيقون ذرعاً بهذا التصرف الظالم المجنون الذي سعى إليه طغاة مكة وأشرارها، ووافقهم الناس في ساعة غيظ واستشارة، وبدأ

حكماء قريش يفكرون بطريقة ينهون فيها هذه المقاطعة، بعد أن ثبت لهم أن الاضطهاد والإيذاء لا يزيد الاعتقاد إلا رسوخاً في النفس وتمكناً في القلب.

ولكن شياطين قريش كانوا قد احتاطوا لذلك، وخشوا من تغير الناس على المقاطعة فيما بعد، فجعلوا الصحيفة في جوف الكعبة واعتبروها نسكاً دينياً، يتقربون بها إلى الآلهة، ويستمتطون بها الخير والبركة.

ثم إن الله أطلع رسوله أن الأرضة (حشرة صغيرة) قد أكلت ما في الصحيفة من كلام الجور والظلم، وبقي ما كان فيها من ذكر الله عز وجل، فأخبر رسول الله ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فسأله أبو طالب: أرتك أخبرك بذلك؟ قال: نعم فخرج أبو طالب إلى المسجد وقال لكفار قريش: إن ابن أخي قد أخبرني - ولم يكذبي قط - أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة، فأنت على كل ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً فارجعوا عن سوء رأيكم، فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان كاذباً دفعناه إليكم ففعلتم به ما تشاؤون.

الحق يعرفه العقل ولكن اتباعه والانقياد له  
يحتاج إلى إدارة حازمة.

ففرح المشركون بذلك وظنوها فرصتهم للقضاء على رسول الله ﷺ فجاءوا صحيفتهم ففتحوها فإذا بها كما أخبر النبي ﷺ، فما زادهم ذلك إلا بغياً وعدواناً، وقالوا: هذا سحر ابن أخيك، فعاد أبو طالب إلى الشعب وهو يقول: اللهم انصرننا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا. وانصرف أبو طالب عائداً إلى

الشعب، غير أن هذا الموقف كان له أبلغ الأثر في نفوس أصحاب المروءة من قريش فدفعهم ذلك إلى السعي في نقض الصحيفة.

فذهب هشام بن عمرو إلى زهير بن أمية فقال: أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت، فقال: ماذا أصنع إنما أن رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها فقال: فأنا معك فقال زهير: اطلب لنا رجلاً ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: أرضيت أن تهلك عائلتان من عبد مناف وأنت شاهد، فقال: إنما أنا واحد فقالا: إنا معك فقال: اطلبنا رجلاً رابعاً، فذهبوا إلى أبي البختری بن هشام فطلب خامساً، فذهبوا إلى زمعة بن الأسود فقعدهوا ليلاً بأعلى مكة، وتعاهدوا على نقض الصحيفة وإخراج بني هاشم من الشعب.

فلما أصبحوا ذهبوا إلى أنديتهم وطاف زهير بالبيت ثم قال للناس: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلکی لا يتتاعون ولا يتتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق، فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت، فقال أبو البختری: صدق زمعة، وقال المطعم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها وأيدهم هشام فقال أبو جهل: هذا أمر قد قضي بلیل. وكثر النقاش والجدال، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة وشق ما بقي منها، وقام الخمسة ولبسوا السلاح مع جماعة من الناس، وأعادوا بني هاشم والمطلب إلى مساكنهم، وفكوا بذلك الحصار الذي زاد عم السنتين وقارب الثلاث.

## وفاة خديجة:

وخرجت طائفة الحق من الحصار المرير، لتواصل العمل والبلاغ والرسالة،  
ووجوههم تشرق بنور الحق وصدق البشرى بوعده الله.

لقد انتهى الحصار، لكن الحزن لم تنته بعد، وكانت الخبيثة التي ادّخرتها الأيام  
لتفاجئهم بها بعد فك الحصار مباشرة هي عام الحزن.

ففي شهر رجب من هذه السنة توفيت خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ، وأول  
العالمين دخولاً في الإسلام 0

لقد كانت خديجة حصن الدفاع الداخلي للنبي ﷺ، تتلقاه كل يوم بعد إيداء  
قريش له فتشد من أزره، وتقوي غزيمته وتخفف من آلامه 0

لقد أنفقت من مالها على رسول الله خدمة للإسلام واشترت الكثير من العبيد  
المسلمين وأعتقتهم وفكتهم من أسرهم ، وساعدت أصحاب النبي المحتاجين فباعته  
نفسها ومالها لله رب العالمين 0

وكان رسول الله يحفظ لها جميلها حتى بعد موتها وفاءً لها ، ويكرم صديقاتها  
ويحسن إليهن ، وظل يكثر ذكرها في مجالسه حتى آخر حياته 0

كان النبي ﷺ شديد الوفاء للرعييل الأول من  
أصحابه.

توفيت السيدة خديجة بعد أن مضت خمسة وعشرين عاماً إلى جانبه ﷺ ،  
فكانت قلباً كبيراً يعينه على همومه وأحزانه ، وعقلاً حصيماً يؤازره وينصحه ،  
وزوجة صالحة تسعده وتواسيه 0

سعادة المرأة المسلمة

يوم تكون إلى جانب زوج صالح  
تعنيه في رسالة البلاغ المبين.

لقد كان لموت خديجة من الحزن ما أنسى المسلمون فرحتهم بفك الحصار في العام نفسه، ودفنت خديجة في مقابر مكة المكرمة، ولا يزال قبرها معروفاً إلى اليوم. وقد أنجب رسول الله ﷺ من خديجة أولاده كلهم، فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم، وكلهن بنات.

أما القاسم والطيب والطاهر وعبد الله أولاده الذكور فجميعهم لم تكتب لهم الحياة.

وقد انقطع عقب النبي ﷺ من ولده جميعاً إلا من قاطمة التي تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنجبت السبطين السعيدين: الحسن والحسين ومنهما كان نسل المصطفى ﷺ إلى يومنا هذا.

### وفاة أبي طالب:

وبعد حوالي شهر من وفاة خديجة مرض أبو طالب عم النبي ﷺ ، وقد كان حصن الدفاع عن الدعوة والرسالة وكانت قريش تتهيبه وتحترمه، لكنها خشيت بوفاته تفلّت أمر محمد ﷺ من يدها، فذهب بعض أسيادها إلى أبي طالب بعد أن اشتد عليه المرض، وقالوا له: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتحوّفنا عليك، وقد علمت الذي بينا وبين ابن أخيك فادعه، فخذ لنا منه عهداً، وخذ له منا عهداً، ليكفّ عنا، ولنكفّ عنه، وليتركنا وديننا، ونتركه ودينه.



فبعث أبو طالب إليه ثم قال له: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوا وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ:

"يا عم، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، فقال أبو جهل: نعم-وأبيك-وعشر كلمات قال: تقولون: لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم وقالوا: "يا محمد، أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب، وقال بعضهم لبعض: انطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم انصرفوا".

ولما انصرفوا أنزل الله عز وجل:

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ<sup>(1)</sup> بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ<sup>(2)</sup> كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثُّ مَنَاصٍ<sup>(3)</sup> وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ<sup>(4)</sup> أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ<sup>(5)</sup> وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ<sup>(6)</sup> مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ<sup>(7)</sup> أُوْنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوْفُوا عَدَابِي<sup>(1)</sup>.

فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً، فطمع رسول الله ﷺ في إسلامه فقال له: أي عم، فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فلما رأى أبو طالب حرص النبي ﷺ على إسلامه قال له: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

(1) سورة صلى الله عليه وسلم: 1 .

ثم اختلف الروايات: هل نطق أبو طالب بالشهادتين أم لا ونسأل الله عز وجل أن يكون قد ختم له بالإيمان والهداية والأسلم أن نفوض أمره إلى الله: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (2).

وما هي إلا أن اشتدَّ المرض بأبي طالب وثقلت حاله، وقام النبي ﷺ على رؤاه مع عمه العباس، وجعل يكرر عليه الدعوة إلى الإسلام حتى فاضت روحه وغمغم بكلمات غير مفهومة، قال له العباس: قد والله سمعته يا ابن أخي يقول الكلمة التي أمرته بها.

نصف عمر الرسالة كان تحت حماية أبي طالب وهو على ملة عبد المطلب!!

وهكذا فقد مات أبو طالب بعد خديجة بخمسة وثلاثين يوماً. وفقد النبي ﷺ أقوى ناصر له في مكة، وبذلك نعلم أن نصف عمر الرسالة الإسلامية تقريباً أمضاه النبي ﷺ تحت حماية عمه أبي طالب على شركه ووثنيته، حتى الذين قالوا بإيمانه قرروا أنه لم يستعلن به حتى مات.

**اشتداد الإيذاء:**

بعد وفاة أبي طالب اشتد أذى قريش على النبي ﷺ فكان يقول: "ما بلغت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب".

(2) سورة البقرة: 141 .

على الدعوة أن يستعدوا لتعاقب المحن:  
يجزنون ولكن لا ييأسون. .  
يصابون ولكن لا ينهارون. .  
اليأس ليل والدعاة صباح فأني ييأسون.

وقد بدأت قريش تشتد في إيذائها للرسول ﷺ بالقول والفعل، بعد أن كان مقتصراً على الكلام والاستهزاء. وكان من أشد الناس سفهاً وإيذاءً للنبي ﷺ عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام.

وكان عقبة قد صنع وليمة في زفاف بعض ولده وحضرتها قريش، فقال النبي ﷺ: "يا عقبة والله لا أكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"، فنطق بها عقبة رجاء أن لا يعرض النبي عن طعامه.

فلما انصرف الناس جاءه أبو جهل فقال: يا عقبة، ما بلغني عنك؟ آمنت بمحمد واتبعته، قال: والله، ولكن لا تقول العرب: بخلت بزادي فقلت له ما أحب. فقال: ما أنا بالراضي عنك حتى تبصق في وجه محمد، فقام المخذول من ساعته فلقى النبي ﷺ في بعض طرق مكة، فبصق في وجهه إرضاءً لأبي جهل، وفعل ما لو أخذه الله به لخسف به وبداره الأرض، ولكن الله يمهمل ولا يهمل.

أي الدعوة اليوم  
يصيبه ما أصاب رسول الله تم يتابع رسالة  
البلاغ غير ساخط ولا واهن؟

ومما لقيه ﷺ من عقبة بن أبي معيط أيضاً: أنه لما كان عليه الصلاة والسلام يصلي في حجر الكعبة، أقبل عقبة فوضع ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شديداً،

حتى جاء أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم".

ومما لقيه عليه الصلاة والسلام من أبي جهل بن هشام أنه ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، وكانت قد نحرت جمال بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان - وهي أمعاء الجمل المذبوح - فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما يجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة فطرحته عنه، وأقبلت عليهن تشتتمهم فلما قضى صلاته رفع رأسه ودعا عليهم ثلاثاً فقال: "اللهم عليك بقريش" فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، وجعل يعدد أسماء قريش قائلاً: اللهم عليك بفلان وعليك بفلان حتى عدّ ثمانية منهم. قال أبو مسعود: فو الله لقد رأيتهم في القليب يوم بدر في قتلى المشركين، ما أخطأت أحداً منهم دعوة النبي ﷺ.

العقرب المؤذية والأفعى السامة  
لا صلاح لها إلا بالموت

واحتمل النبي ﷺ إيذاءهم، قرابة الشهرين وهم يزدادون شدة وظلماً بعد أن فقد الحجير والنصير، وبقي في مكة وحيداً بلا عصابة تحميه في ذلك النظام العشائري المقيت. ووجد رسول الله ﷺ أن الدعوة في قريش لم تعد مجدية، وأوحى إليه أن اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تبتئس بما كانوا يعملون.

## الهجرة إلى الطائف:

وبدأ النبي ﷺ يفكر بالهجرة من مكة إلى أرض أخرى، يجد فيها قبولاً واستجابة لرسالة الحق، بعد أن أيقن أن شياطين قريش غير تاركيه وقد صار بلا نصير يحميه ويؤويه.

الداعية الحق إن صده صار إلى هداية قوم  
آخرين ولا راحة لمؤمن حتى يلقي وجه الله.

وكانت الطائف أقرب البلاد إلى مكة، فكان رسول الله ﷺ يرجو أن يهدي الله قلوب أهلها للإيمان، والطائف مدينة تبعد 75 كم عن مكة، وهي مصيف الحجاز، وهوؤها يشبه هواء الشام.

وفي شوال من هذه السنة خرج النبي ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، والتفت محزوناً إلى مكة وقال: "والله إنك أحب بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت".

ثم مشى حتى بلغ الطائف وأسيادها يومئذٍ ثلاثة:

عبد يا ليل ومسعود وحبیب أبناء عمرو بن عمير الثقفي.

الداعية الحكيم إنما يبدأ بزعماء الناس  
وحكمائهم، ففي صلاحهم صلاح من  
وراءهم من الناس.

فمضى حتى استأذن على الأول فأخبره بما كان من وحي الله وله وإعراض قومه عنه وصددهم عن دعوته، وجعل يقلب له الموعدة ويتألفه بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم دعاه ليدخل في الحل ويقوم بنصرة الدعوة والدفاع عن الرسالة.

ولكن... من قال بأن هدي النبوة ينفع القلوب الميتة، والتفت عبد يا ليل هازئاً مستكبراً وما زاد على أن قال: أنا أمزق ثوب الكعبة إن كان الله قد أرسلك نبياً. فخرج المصطفى كاسفاً حزيناً ومضى إلى أخيه مسعود بن عمرو، فما كان رده أحسن من أخيه، وأغلظ له في القول وقال: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك!! .

أما الثالث فكان قد بلغه خبر النبي ﷺ، فلما حضر النبي ﷺ يستأذن عليه، أرسل خادمه قائلاً: "إن كنت نبياً فليس لمثلي أن يكلم الأنبياء، وإن تكن صعلوكاً فمثلي لا يكلم الصعاليك"...

ث إن النبي ﷺ لم ييأس من عنادهم وكفرهم، وراح يعرض عليهم أموراً هي أهون من الأولى وأرب، فأرادهم أن يجيروه حميَّةً حتى يمضي فيما أمره به الله فأعرضوا واستكبروا...

فاستأذنهم أن ينشر دعوته في أهل الطائف من غير أن يمسه بسوء، فغضبوا وثاروا وقالوا: "والله لا نتركك تفسد علينا عبيدنا وتسفه آباءنا وتشتم آهتنا". فدعاهم إلى أهون من ذلك: أن يقيم في أرضهم ويعتزلهم وما يعبدون من دون الله، فأبوا عليه شيئاً من ذلك. ثم رجاهم أن لا يخبروا قريشاً خبر مقدمه عليهم، وكان بين قريش وثقيف خصومة جاهلية، فخشي النبي ﷺ أن تعلم قريش نبأ قدمه على الطائف فتزيد نار عداوتها وحرها على الإسلام.

ولكنهم رفضوا ذلك إمعاناً في الإعراض وقالوا: "والله لنخبرن قريشاً خبرك".

من القلوب ما هو كالحديد الصدي لا يزيده  
ماء السماء الطاهر إلا شؤماً وصدءاً.

فانقلب النبي ﷺ عنهم كاسفاً حزيناً أسفاً، ثم إنهم ما تركوه، بل أغروا به صبيانهم وسفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أغمي عليه ﷺ. ثم إنهم ما تركوه بعدئذٍ، بل احتملوه من عضديه يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من رأسه إلى أخص قدميه، ومعه زيد بن حارثة يذب عنه بجسده، ويدفع عنه الأذى والسوء، ثم تركوه في الرمضاء وزيد قائم فوق رأسه يمسح له وجهه ويصلح له ثوبه.

{ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } . (1).

ثم استفاق النبي ﷺ فمضى هائماً على وجهه حتى بلغ قرن الثعالب، فرفع يديه ملتجئاً إلى الله عز وجل: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ أم إلى عدوٍ ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي... ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" .

المناجاة الصادقة والأنس بالله هي المكافأة التي ينسى بها الدعاء آلام البلاغ.  
وليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بيني وبينك عامر وبين العالين خراب  
وليت شرابي من وداك صافياً وشربي من ماء العين سراب  
إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

(1) سورة النمل: 79-80 .

ثم إن النبي ﷺ قال بعدئذ: "رفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني الله إليك لتأمرني، إن شئت فأطبق عليهم الأخشبين - الجبلين - وإن شئت خسفت بهم الأرض، فقال ﷺ: لا، بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".

الداعية الحق طبيب يعالج. . لا قاض يعاقب...  
يسعى إلى شفاء المريض ولو آذاه ريحه وسفهه  
ولا يخرج سلوك الجاهلية عن موقفه الرباني.

ثم إن النبي ﷺ التجأ إلى بستان بالطائف لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما من رؤوس الكفر في مكة. فلما رآه ابنا ربيعة: عتبية وشيبة، وعرفا ما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقالله: "عداس" فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: باسم الله. ثم أكل، فنظر "عدّاس" في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك؟ قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسل الله ﷺ: "من قرية الرجل الصالح يونس بن متى"؟ فقال عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ:

"ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي!".



فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

الداعية الحق لا يكف عن البلاغ حتى وهو يللمم  
جراحه ولا يرضن بما معه من الهدى على أحد ولو  
كان خادماً غريباً يعمل لشبع بطنه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك! فلما جاءهما عدّاس قالوا له: ويلك يا عدّاس مالك تقبل رأ هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي! قالوا له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه!.

وبذلك ترى أن النبي ﷺ لم يفتر لسانه عن الدعوة إلى الله بالرغم من سوء ما يلقي من قومه، فتألف عداس النصراني ودعاه إلى الله عز وجل، وجعل يدعو لقومه بالهداية والصلاح بالرغم من كل ما لقيه من ردّ وصدّ!. وهذه هي عظمة النبوة: أن لا يخرجك سلوك الجاهلية عن موقفك الرباني: "اللهم اغفر لقومي لا يعلمون"، ولم يُسلم في هذه الهجرة إلا هذا الغلام، إضافة إلى نفر من الجنّ أخبرنا الله تعالى خبرهم حيث قال:

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ<sup>(30)</sup> يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَعْمُرْ لَكُمْ مِّنْ دُونِكُمْ وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ<sup>(31)</sup> وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الأحقاف: 29 .

## في جوار المطعم بن عدي:

مضت تلك الأيام القاسية في الطائف، وخرج رسول الله ﷺ منها مكسور الخاطر، مهيض الجناح، غير أن إيمانه برسالته، وثقته بما يدعو إليه، كان يزيد إصراراً وتصميماً وبحثاً عن وسائل جديدة يتمكن بها من حماية الدعوة وأداء الرسالة.

وبقي رسول الله ﷺ بين مكة والطائف، لا أهل الطائف يستقبلونه، ولا يأمن أذى أهل مكة فيدخلها، لكنه عزم أن يعود إلى مكة ليستأنف البلاغ المبين، وإذا كانت قريش قد تمادت في الإعراض والغواية، فقد كان يرجو أن تصغي إليه وفود العرب في الموسم، ويجعل الله للرسالة فرجاً أو مخرجاً.

الداعية المخلص . . يسعى إلى الناس  
يدعوهم ويرشدهم ولو أعرضوا عنه.  
ولا يحمله صدهم وإعراضهم على  
الإعراض عما فيهم من جوانب الخير.

فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم يا رسول الله، وهم أخرجوك؟. فقال ﷺ:

"يا زيد؛ إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه".  
ولم يكن رسول الله ﷺ بالذي يشغله التوكيل عن اعتماد الأسباب والوسائل.  
فأرسل إلى ثلاثة من رؤوس قريش يستنصرهم، ويطلب جوارهم ليدخل إلى مكة وهم: الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو والمطعم بن عدي... (1).

(1) رواه ابن جرير ج 2 ص 64، كما أورده ابن كثير في السيرة النبوية .

وقد يبدو هذا السلوك النبوي غريباً في فهم أولئك الذين يعجلون، إذ كيف يطلب النبي ﷺ نصره قوم لا تزال جباهم معفرة بالسجود لغير الله، وألسنتهم مصقولة على الكفر بالله مع أنه مؤيد بقوة الله ونصره وتأيده؟.

الداعية الحكيم يستعمل كل الأسباب والوسائل  
الشريفة لخدمة الإسلام  
ولا يعني التوكل على رب السماء أن نهمل  
وسائل الأرض.

فالأخنس بن شريق هذا هو الذي قال الله عز وجل فيه:  
{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ<sup>(10)</sup> هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ<sup>(11)</sup> مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ  
أَثِيمٍ<sup>(12)</sup> عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ<sup>(2)</sup>.

وأما سهيل بن عمرو فقد كان أشد من صاحبه حرباً على الإسلام وإيذاءً  
للمسلمين، وظل عشرين عاماً يخطب في قريش ويؤلب الناس على رسول الله ﷺ  
من قبل هذا ومن بعده.

وأما المطعم بن عدي فقد كان فيمن مشى إلى أبي طالب وقال: يا أبا طالب  
أعطنا ولدك محمداً نضرب عنقه فقد شتم آلهتنا وسقّه آباءنا، وخذ مكانه ولدنا  
عمارة بن الوليد!!.. .

لقد كان الله عز وجل قادراً على أن يدخل نبيه ﷺ إلى مكة على أسنة الملائكة!.  
وأن يؤيِّده بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وكان قادراً أن يخرج أهل مكة من  
حيث أخرجوه ويدخله إليها مدخل صدق آمناً مطمئناً... .

(2) القلم: 10-12 .

ولكنه أراد أن يعلم الناس من بعده كيف تصان الرسالة، وتؤيد الدعوة بقانون الأسباب والمسببات الذي جعله الله ناموساً ناظماً لهذا الكون.

فأرسل إلى الأخنس بن شريق أولاً يستجيره ويستنصره فرد قائلاً: إنه حليف قريش، وحليف قريش لا يجير على صميمها<sup>(1)</sup>.

ثم أرسل إلى سهيل بن عمرو، وكان سيداً مطاعاً في مكة فاعتذر أيضاً وقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، ثم أرسل إلى المطعم بن عدي، وكان من أشرف مكة وسادتها، وكان رجلاً شديداً المروءة حسن الجوار. فرضي المطعم ونادى في نوادي مكة: إني قد أجرت محمداً، ثم خرج بأولاده السبعة متقلدين سيوفهم محلقين حول رسول الله حتى دخل مكة فطاف بالبيت.

في كل إنسان مهما اشتد كفره جوانب خفية من الخير.

وجاء أبو جهل بن هشام فقال: يا مطعم أتابع أم مجير؟ قال: لا بل مجير قال: إذاً لا تخفر.

وبات رسول الله ليلة أو ليلتين في دار المطعم، ثم عاد يستأنف رسالته في ظل سيوف بني المطعم بن عدي.

وحفظ رسول الله ذلك للمطعم فكان يذكره بخير، وفي يوم بدر لما اجتمعت الأسارى بين يديه قال:

(1) الحليف: قال الجوهري: الأحلاف قوم من ثقيف حالفوا قريشاً. وقد كان الخنس ثقيفاً محالفاً ولم يكن قريشاً صميمياً.

"لو كان المطعم بن عدي حياً وجاءني في فداء هؤلاء النبي، لأطلقتهم من أجله" (1).

النبي ﷺ عظيم الوفاء...  
لم ينس للمطعم موقفه النبيل..  
رغم أنه مات على الكفر!

### دعوة الوفود في موسم الحج

ودخل رسول الله ﷺ مكة أواخر شوال من السنة العاشرة للبعثة، وقد بدأت الوفود تقدم مكة المكرمة استعداداً لموسم الحج في ذلك العام. وجاء موسم الحج، والتقى النبي ﷺ بالقبائل يدعوها إلى الله، ويذكرهم بأيام الله، وكل ذلك في جوار المطعم بن عدي. وكان رسول الله ﷺ كلما مرّ على ملاء يدعوهم إلى الإسلام، يأتي من خلفه عمه أبو لهب يخاطب القوم: يا بني فلان، إن ابن أخي هذا رجل مسحور، وإنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، جاء به خير لا تتبعه قومه وعزّوا به، فيعرضون..

شدة القرب حجاب

(1) أخرجه البخاري في كتاب الخمس والمغازي وأخرجه كذلك أبو داود في سننه وأحمد في المسند.

أبو لهب نظر إلى النبي على أنه ابن أخيه  
الصبي محمد بن عبد الله  
ولو أراد الله به خيراً لنظر إليه على أنه: محمد رسول الله.

ورغم ذلك استجاب عدد قليل من الوافدين لدعوته وصدقوا به واتبعوه.  
وكان ممن استجاب له في ذلك العام جماعة من بني شيبان، فيهم المثني بن حارثة  
ومفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة، وقد وعدوا رسول الله ﷺ إن نصرهم الله على  
فارس ليؤمنن به ولينصرته، فما هي إلا أن عادوا إلى أرضهم حتى جرت موقعة ذي  
قار وانتصروا فيها على فارس، وصدق رسول الله ﷺ فيما كان بشرهم به من قبل<sup>(1)</sup>.  
ودعا رسول الله ﷺ أهل يثرب إلى الإسلام فاستجاب منهم سويد بن الصامت،  
وكان عالماً فاضلاً وكانت عنده مجلة لقمان (حكيمه ووصاياه) وعاد إلى المدينة فلم  
يلبث أن قتله الخزرج.

المفكرون والعلماء وأصحاب الثقافة الواسعة  
إذا خلعوا أهواءهم  
هم أقرب الناس إلى الإيمان.

كذلك فقد أسلم من أهل المدينة إياس بن معاذ، وهو شاب جاء في وفدٍ من  
الأوس يلتمسون حلف قريش على خصومهم من الخزرج، فعاجلهم رسول الله ﷺ  
وعرض عليهم الإسلام، فأسلم منهم إياس، ولم يلبث هو الآخر أن مات.  
وازداد تضيق قريش على رسول الله ﷺ، وأثاروا حوله حملة كبيرة من الشائعات  
والأكاذيب ليصدوا الحجيج عن الإيمان به، وأخذوا يحدرون الناس من الاستماع

(1) هناك خلاف في تحقيق تاريخ وقعة ذي قار، راجع صفحة (14).

إليه، لكن قريشاً ساهمت بذلك من حيث لا تدري في إذاعة صيت الإسلام، ونشر أنباء هذه الدعوة بين وفود الحجيج من قبائل العرب.

فالتقى النبي ﷺ في موسم الحج بجماعة من أهل يثرب وعرض عليهم الإسلام، فسارعوا إلى الإيمان به وتصديقه، خاصة وأن يهود المدينة كانوا يخبرونهم عن النبي المنتظر، فقال بعضهم لبعض: والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقكم إليه، وواعدوه في الموسم من العام القادم، وعادوا إلى قومهم ودعاهم إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا وفيها حديث عن فتى قريش، ودينه الجديد.

## السَّنَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْبَعْثَةِ "2ق. هـ"

أهم حوادث السنة الحادية عشرة:

- 1- استمرار الدعوة في جوار المطعم.
- 2- الإسراء والمعراج.
- 3- ظهور أول ردة في الإسلام بعد خبر الإسراء والمعراج.
- 4- تشريع الصلوات الخمس.
- 5- بيعة العقبة الأولى.
- 6- إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة.

دخلت هذه السنة والنبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي، يقوم برعاية أصحابه والعناية بهم، والدعوة في وفود العرب وقبائلها على وجه يستمر به صوت الرسالة من غير أن يخرج به المطعم بن عدي في جواره... وكان النبي ﷺ يتطلع إلى أصحابه في الحبشة ومن آمن به من بني شيبان ومن أهل يثرب، ويقلب وجهه في السماء لا يدري أي أرضٍ تلك التي تكون أرض الهجرة الموعودة؟، بعد أن استيأس من أشرف مكة أن يدخلوا في الإسلام راغبين.

**الإسراء والمعراج:**

وفي منتصف هذا العام في شهر رجب - على الأغلب - وقعت حادثة الإسراء والمعراج.



وأغلب الظن أنها وقعت في شهر رجب في السابع والعشرين منه.  
وقد جاءت هذه الرحلة بعد فترة عصيبة مرَّ بها رسول الله ﷺ من مقاطعة قريش  
ووفاة زوجته خديجة، وعمه أبي طالب، وما لحقه من أذى قريش وحصارهم، وبعد  
هجرته إلى الطائف - على الأرجح - فكانت تخفيفاً له من مصابه، ومكافأة له  
على مواصلة الدعوة إلى الله، وإكراماً على صبره.

اشتداد المصائب إيذان بالفرج.

وكم من محنة عظمت وطالت - -وخان مواصل وجفا حليم.  
أتى فرج الإله لها صباحاً - -فما أمست وأقلعت الهموم.

وإليك قصة الإسراء والمعراج كما أوردها البخاري في صحيح:  
عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحدث من خبر  
الإسراء والمعراج فقال:

"أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند  
منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء،  
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام  
بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام: اخترت  
الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل:  
ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعثت إليه... ففتح لنا فإذا  
أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية (فكان يلقي في كل  
سما من شاء الله من الانبياء، فالتقى في الثانية بعبسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفي  
الثالثة بيوسف وفي الرابعة بإدريس، وفي الخامسة بهارون، وفي السادسة بموسى

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). قال: ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال-الجرار-، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى قال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بيني وبين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه" (1).

(1) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار عن أنس بن مالك ومالك بن صعصعة، ولخبر الإسراء والمعراج روايات كثيرة أخرى .

كل العبادات فرضت في الأرض إلا الصلاة. .  
فإنها فرضت في السماء لأنها عماد الدين.  
"الصلاة معراج المؤمن".

وعاد النبي ﷺ بعد تلك الرحلة التي أكرم بها في ملكوت الله عز وجل، وكانت  
مواساة له على تكذيب المشركين وإعراضهم.

وأخبر النبي ﷺ المشركين بما حصل له في هذه المعجزة، فصاروا بين مصقّق  
ومصقّر ومستهزئ، وارتد ناس من ضعاف الإيمان أمام شائعات قريش، وسعى  
رجال إلى أبي بكر وأخبروه بالخبر علّه يتخلى عن صاحبه، فقال أبو بكر: إن كان  
قال ذلك فقد صدق، إني لأصدقه على أبعد من ذلك، فسمي في ذلك اليوم  
"الصديق".

المؤمن الحق يجد نور الله في قلبه لا ينتظر  
المعجزة ليوقن بالحق! . .  
"لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً".

وجاء المشركون يمتحنون رسول الله ﷺ في صدقه فسألوه عن وصف بيت  
المقدس، فجلى الله له بيت المقدس، وأخذ يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً  
فقالوا: أما النعت فقد أصاب، فاخبرنا عن تجارتنا-وكانت لهم غير قادمة من  
الشام- فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها فقال لهم: إنها تقدم يوم كذا مع طلوع

---

أما السؤال عن رؤية النبي ﷺ لربه: هل رآه أم لا ففيه خلاف لا يؤدي إلى نتيجة إلا إلى اختلاف  
المسلمين، المهم أن نعمل من أجل الرؤية الأكيدة في الآخرة، والتي أخبرنا الله عنها: وجوه يومئذ  
ناضرة إلى ربها ناظرة... .

الشمس يقدمها جمل أورك- في لونه بياض إلى سواد-، فخرجوا في ذلك اليوم فقال قائل منهم فرحاً: هذه والله الشمس قد أشرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورك، لكن ذلك لم يزد لهم إلا استكباراً وعناداً، وقالوا: هذا سحر مبين.

والحق أن المعجزة مهما كانت ظاهرة بينة لا يمكن أن تحمل الهدى لمن يتبغي المعاندة والمكابرة والجدال.

قال الله تعالى: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (1).  
 وقال: { وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } (2).

من ليس يفتح للضياء عيونه	هيئات يوماً واحداً أن يبصراً
--------------------------	------------------------------

وعلماء السير غير متفقين في توقيت الإسراء والمعراج، ولهم في ذلك روايات واجتهادات، غير أنهم متفقون على أنّ الإسراء والمعراج كان إكراماً من الله عز وجل لنبيه ﷺ، وفتنة للناس ليميز الله بها الخبيث من الطيب والله يعلم وأنتم لا تعلمون...

ودخل رمضان والناس في هرج ومرج من قصة الإسراء والمعراج، والنبي ﷺ مستغرق في يقينه وطمأنينته، يدعو إلى الله على بصيرة وهو من اتبعه من المؤمنين.

(1) سورة الأنعام: 7.

(2) سورة الأنعام: 110.

ومع بداية الأشهر الحرم من آخر هذه السنة راح رسول الله ﷺ يتيهياً لدعوة الوفود شأنه كل عام، ولكنه هذه المرة كان يخفي عم قريش دعوته لئلا تفسدها عليه ولئلا يسيء إلى جوار المطعم بن عدي.

### بيعة العقبة الأولى:

وقد علمت أنه ﷺ كان في السنة الماضية قد التقى بجماعة من أهل يثرب ودعاهم إلى الإسلام فصدقوه وواعدوه في الموسم القادم، وجاء موسم الحج، وجاء وفد من يثرب للقاء النبي ﷺ وسمعوا منه ما سبق أن سمعوه، وسمع منهم أحوالهم ومساءلاتهم، وما زال بهم حتى شرح الله صدورهم للإسلام وبايعوه بيعة العقبة الأولى.

أجدى طرق الدعوة.

الحوار المخلص، والنقاش الهادئ، والبلاغ المبين.

قال عبادة بن الصامت، وكان ممن شهد تلك البيعة من الأنصار: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال ﷺ: "فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله تعالى، إن شاء عذب وإن شاء غفر".

وقد شارك في هذه البيعة اثنا عشر رجلاً من الأنصار: عشرة من الخزرج واثنان من الأوس.

وكانت الأوس والخزرج هما القبيلتان الرئيستان في يثرب، وكانتا في حرب دائمة، كما كان في المدينة أقلية يهودية تغذي هذا الصراع وتثير ناره كلما خمد- كما هو حالهم اليوم-.

وقد وافقت هذه البيعة انصرف أهل المدينة من حرب بعثت، وهي الحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج وهلك فيها الكثير من الطائفتين... وكان اليهود في يثرب يقولون للأوس والخزرج: قد أوشك ظهور نبيٍّ آخر الزمان الذي نجتمع تحت لوائه ونقتلكم قتل عاد وإرم.

وقال قائل للأنصار: والله إن هذا للنبي الذي تعدكم به يهود فلا يسبقونكم إليه.

وكانوا يرجون أن يجمع الله به كلمتهم ويجمع شملهم بعد إذ مزقته الحرب شر ممزق...

وأرسل رسول الله ﷺ مع أهل العقبة الأولى مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام، ويتلو عليهم القرآن، فكان بذلك أول داع يوفده رسول الله ﷺ في مهمة رسالية تبليغية، وأول سفير للمسلمين.

مدرسة الإيمان....

هي التي يتخرج أبناؤها دعاة صادقين،  
كالغيث النافع إذا أصاب أرضاً اهترت  
وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ومعلوم أن مصعب بن عمير من السابقين إلى الإسلام وقد اضطهده قومه وقاطعته أمه، فهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وكان من أصدق الناس إيماناً، وكان عمره يوم أرسله النبي ﷺ إلى يثرب 37 سنة.

## السنة الثانية عشرة للبعثة "1ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثانية عشرة:

- 1- بدء دعوة مصعب في المدينة.
- 2- أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.
- 3- إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.
- 4- بيعة العقبة الثانية.
- 5- بدء الهجرة إلى المدينة.

### بدء دعوة مصعب في المدينة

ودّع رسول الله السنة الحادية عشرة للبعثة بوداعه لمصعب بن عمير، بعد أن أوصاه بما يحتاجه الدعاة إلى الله عز وجل من الصبر والإخلاص والوضوح والحكمة وحبّ الخير . ومع بداية السنة الثانية عشرة، كان مصعب قد وصل إلى المدينة واستقر في دار أسعد بن زرارة، وهو أحد الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ يوم العقبة الأولى.

المؤمن الحق . . يكون بيته مركزاً لنشر الهدى والنور.



وبدا مصعب وأسعد بدعوة أهل المدينة إلى الإسلام، ولما بلغ عدد المسلمين الأربعين، أقام فيهم مصعب صلاة الجمعة... فكانت أول جمعة أقيمت في الإسلام.

وتسامح أسياذ المدينة بخير مصعب ودينه الجديد، وما كان ليروق لهم لما فيه مت ترك لعبادة الأوثان ومساواة بين الأحرار والعبيد...

وكان للأوس يومئذ زعيمان وهام: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وكان سيد الخزرج سعد بن عبادة وعبد الله بن أبي بن سلول.

وكانت دعوة مصعب وأسعد بن زرارة في بستان لبني عبد الأشهل، فسمع بذلك سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فوثب غاضباً ثم صرخ في وجه أسيد بن حضير قائلاً: يا أسيد، اغد إلى ابن خالتي أسعد، ومره أن يصرف عنا هذا الشاب القرشي الذي عاب آلهتنا وسقّه آباءنا، فوالله لولا ما بيني وبينه من صلة الرحم لمضيت إلى هذا القرشي أدق عنقه بالسيف.

وحضر أسيد بن حضير غاضباً ثائراً، فضرب باب أسعد وصرخ في وجهه: ما هذه البدعة المفتراة التي أتانا بها هذا الفتى القرشي، فسقّه آباءنا وشتم آلهتنا وأنت تؤويه وتنصره... فقال له مصعب: ألا تجلس فتسمع. . فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته صرفنا عنك ما تكره، فقال أسيد وقد هدأت ثورته: لقد أنصفت والله... ثم ركز حربته في الأرض وجلس يستمع، ومصعب يعرض عليه الإسلام بحقيقته وصورته الناصعة ويتلو عليه شيئاً من القرآن، وجعل يقلب الآيات ويصرف له العبر حتى دخل نور الإيمان في قلبه، فقام واغتسل وتطهر وأعلن شهادة الحق.

الإيمان حبيب قريب تطلبه كل النفوس الطيبة. .

ولكن أين من يحسن عرضه، والدعوة إليه؟

ثم قال لهما: إن سعد بن معاذ لو تبعكما لم يختلف عنكما أحد من قومه، وسأرسله إليكما وعاد أسيد إلى سعد، فقال سعد لجلسائه: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به. ودخل أسيد على سعد وجلسائه، ولم يكن أمر إقناعه بالذهاب إلى مصعب أمراً ميسوراً، فلم يصارحه بما رأى وسمع ولكنه قال:

"يا سعد قد بلغني أن بني حارثة قد خرجوا إلى ابن خالتك أسعد بن زرارة ليقتلوه".

فبلغت الحمية فورتها في نفس سعد، ولكنها هذه المرة حمية الرحم لا حمية الوثن، ثم مشى مسرعاً إلى أسعد بن زرارة وعنده مصعب بن عمير، وجعل يصرخ في أسعد: أتأكلنا الخبز عن قوس واحدة من أجل فتاك القرشي هذا؟ فما زال به أسعد ومصعب يستعطفانه ويستلطفانه حتى سكنت فورته وهدأت ثائرته وجلس يستمع الهدى وما هي إلا ساعة من نهار حتى تحول غضبه وحنقه إلى هدى ويقين، وجعلت كلمات مصعب تستقر في نفس سعد، حتى شرح الله صدره للإسلام وأعلن بكلمة التوحيد.... وعاد سعد من فوره فدعا قومه وقال لهم: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا فقال: فإن كلام رجلاكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد دخلوا في الإسلام.

المؤمن الحق . . حين يستقر الإيمان في قلبه  
لا يسعه أن يقبض يد الإنقاذ عن القوم  
الغافلين

وتتابع دخول أهل يثرب في الإسلام، وخلال عام واحد أصبحت يثرب أول مدينة إسلامية في التاريخ وكان رسول الله ﷺ يتلقى أخبار مصعب مشرقاً متهللاً، ويدعو له بالتوفيق والفتح. ولم يصرفه هذا عن الدعوة في مكة، فقد كان ﷺ يري أصحابه من حوله، ويتصل بأصحابه في يثرب وفي الحبشة، ويتابع دعوته لكل وافد إلى مكة من غير كلل ولا ملل.

### بيعة العقبة الثانية:

ولما وافى موسم الحج من هذه السنة حضر مصعب بن عمير في وفد من أهل يثرب، ونزلوا مع الحجيج في منازلهم في مكة من غير أن يعلنوا بإسلامهم. وأخبر رسول الله ﷺ بقدمهم، فضرب لهم موعداً في منى في اليوم الثاني من أيام التشريق (12 ذي الحجة)، يبايعهم فيه. يقول كعب بن مالك: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا نتسلل تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا.

أول مبادئ الحكمة:

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج- ويعني الأوس أيضاً لكن الأكثرية من الخزرج- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه وما مانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فقال البراء بن معرور: إنا-والله- لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلنا، ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله ﷺ فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فنحن نبايعك...

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: "تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة، في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا الحق لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة".

أول السلوك في طريق الله السمع والطاعة  
والداعية الحق لا يخرج عن بيعة السمع  
والطاعة في المعروف . . حتى يلقي الله.

فأخذ البراء بيده ثم قال: نعم-والذي بعثك بالحق-لنمنعك مما نمنع منه  
أعراضنا، فبايعنا يا رسول الله! فنحن والله أبناء الحروب وأهل السلام ورثناها كابراً  
عن كابر. فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان فقال:

"يا رسول الله إن بيننا وبين يهود عهداً، وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن  
فعلنا ذلك ثم نصرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال ﷺ: "بل الدم الدم  
والهدم الهدم"<sup>(1)</sup>، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم وأسلم من سالمتم" ثم قال:  
"أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً"<sup>1</sup>هـ.

فخرج إليه تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم قال ﷺ للنقباء:  
"أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل  
على قومي" قالوا: نعم.

اختيار النقباء الاثني عشر هو افتتاح ل12  
حلقة تربية بإشراف مصعب وهي أولى  
الحلقات التربوية في الإسلام.

فلما اجتمع القوم لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد: يا معشر الخزرج،  
هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تباعونه على حرب  
الأحمر والأسود من الناس فإن ترون أنه إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً  
أسلمتموه فمن الآن فدعوه، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم  
ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو  
والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف،

(1) هو مثل يضرب للدلالة على دوام الحلف في السراء والضراء .

فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم، فقال له العباس بن عباد: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنّ على أهل مني غداً بأسيفنا، فقال رسول الله: لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا فيها حتى أصبحنا.

ساعات الإيمان الأولى ساعات حماس  
واندفاع ولكن رسوخ الإيمان يمنحك عمق  
البصيرة وحكمة الحياة.

فلما أصبحنا غدت علينا سادة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: "يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه!.  
. وصدقوا، لم يعلموه، وجعل بعضنا ينظر إلى بعض فتركهم المشركون، ونفر الناس من مني، وتحرى القوم الخبر فوجدوا أن الأمر قد كان، فخرجوا في طلبنا فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فقد أعجز القوم ففر منهم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بشعر رأسه، وما زال كذلك حتى استجار بجبير بن المطعم والحارث بن حرب- وكان يجير لهما تجارتهما- فأجاراه وخلصاه من المشركين ولحق بقومه، وهم على وشك أن يكروا على مكة لينقذوه، فدخلوا يثرب جميعاً دعاء إلى الله في

عنقهم بيعة الحق، وأخذوا ينشرون الإسلام في مدينتهم، ويعدّون لاستقبال إخوانهم  
المهاجرين من مكة بلهف وشوق.

## السنة الثالثة عشرة للبعثة الأولى للهجرة

حوادث السنة الثالثة عشرة للبعثة (السنة الأولى للهجرة):

- 1- بدء الهجرة إلى المدينة.
- 2- محاولات قريش لمنع الهجرة.
- 3- هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول.
- 4- بناء المسجد.
- 5- عقد المؤاخاة العظيمة.
- 6- إعلان دستور المدينة.
- 7- موادعة اليهود.
- 8- مخالفة القبائل.
- 9- الإذن برد العدوان.

تبين لقريش في آخر العام الماضي بما لا يدع مجالاً للشك أن أهل يثرب يتحولون إلى الإسلام، وأن قوة الإسلام الحقيقية قد صارت في يثرب... ومع بداية العام الجديد بدأت قريش تفكر جدياً بالتخلص نهائياً من الرسول والرسالة.

لقد كانت بيعة العقبة الثانية بالفعل تمهيداً لنقل مركز الدعوة الإسلامية من مكة إلى يثرب، ومضى مسلمو يثرب مع مصعب بن عمير يمهّدون الطريق في مدينتهم لاستقبال إخوانهم من أهل مكة.



## بدء هجرة الصحابة إلى المدينة

وعقب بيعة العقبة الثانية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "قد أخبرت بدار هجرتكم وحي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها وقال لهم: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها" فصار الصحابة يتسللون من مكة مثنى وفردى وجماعات في خفية عن عيون قريش . .

وكان من أوائل المهاجرين أبو سلمة بن عبد الأسد، فقد خرج ومعه زوجته أم سلمة وولده سلمة، لكن قوم أم سلمة منعه من الخروج بها، فترك زوجته وولده ومضى مهاجراً في سبيل الله، واختلف قومها وقومه في الولد وتجاذبه حتى خلعت يده أمام عيني أمه، وأخذ منها ففرق بينها وبين ابنها وبين زوجها، فمضت صابرة راضية، احتسبت ذلك عند الله.

ومضت شهور والمرأة شاحبة ناحبة لا هم لها إلا اللحاق برسول الله ﷺ ، حتى ردوا إليها ولدها بعد عام فأسرعت مهاجرة بدينها إلى الله ورسوله . .

الولاء للعقيدة قبل أي ولاء  
والمرأة الرقيقة الضعيفة  
صارت بالعقيدة جبلاً شامخاً لا تناله الأعاصير.

ومن المهاجرين "صهيب بن سنان الرومي" وقد أدركه كفار قريش في بعض الطريق فقالوا: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك أبداً.

فكان جواب صهيب: "أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم فترك لهم ماله، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ربح صهيب، ربح البيع أبا يحيى ربح البيع!!" .

ونزل فيه قول الله عزَّ وجلَّ:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}.

ومن أراد الهجرة "عياش بن أبي ربيعة، فجاءه أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث بن هشام فأخبراه بأن أمه قد نذرت أن لا تغسل شعرها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه، وقالوا له: وأنت أحب ولد أمك إليها، وأنت في دين يأمر بالبر للوالدين فارجع إلى أمك واعبد ربك في مكة كما تعبد في المدينة، فصدقهما عياش، فقال له عمر بن الخطاب: ما يريدان والله إلا فتنتك عن دينك فأحذرهما، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت، فقال عياش: أبر أمي، ولي مال هناك آخذه.

لكن عمر خشى عليه فقال له: خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فرفض عياش فقال له عمر: فخذ ناقتي هذه فإنها نجبية ذلول فالزمها، فإن شككت فيهما فانج عليها فخرج عياش معهما، حتى إذا كانوا في بعض الطريق قال له أبو جهل: لقد تعبت من بعيري، ألا تبادلني ناقتك هذه؟ فرفض عياش، ولما نزل عنها غدرا به وأوثقاه وجلداه وأدخلاه مكة في ضوء النهار وقالوا: يا أهل مكة: هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا. .

الطاغوت متنوع المكائد...مختلف الأساليب...

وهو في قناع نصيحته . أخبت منه في عري فصيحته!! . .  
مخطئ من ظنَّ يوماً- أن الثعلب ديناً.

واشتدت قريش في الإيذاء، وتوالت الهجرة، ولم تسمع قريش بهجرة مهاجر إلا بعد وصوله، وكل من علمت أنه يتهيؤ للهجرة ردت أو فنتته أو آذته، إلا ما كان من عمر بن الخطاب فإنه لما أراد الهجرة تقلد سيفه وأخذ قوسه وأسهمه وحرثته، ومضى إلى الكعبة وقريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على مجالسهم مجلساً وقال: شاهت الوجوه!! . لا يرغم الله إلا هذه المعاطس!! . من أراد أن تتكله أمه أو يُؤتم ولده أو ترقل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فإني مهاجر الآن!! . .

فما اتبعه أحد- إلا بعض المستضعفين لحقوا به ليعلمهم-ومضى عمر لوجهه.  
وكان عمر بن الخطاب شاباً شجاعاً ومن خلفه عشيرة قوية "بني عدي"، أما سائر الصحابة فلم يستعلنوا بهجرتهم خوفاً من بطش قريش...

المؤمن عزيز... يستعلن بعزته حين لا يكون  
الإعلان باباً للتهلكة.

وهكذا تتابعت طلائع المهاجرين بعد انقضاء موسم الحج، وخلال شهري المحرم وصفر لم يبق أحد من المسلمين إلا مسلم حصرته قريش أو فنتته، ورسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي.

ولم يكن الأصحاب يعلمون أن الهجرة عامة ودائمة، وأن رسول الله إلى المدينة، وتأكدت أن رسول الله مهاجر لا محالة، وأن تمكّنه في المدينة المنورة هو الضربة

القاصمة لدين الشرك والضلالة الذي ترتبط به مصالحهم ومكاسبهم، فكان أن أجمع سفهاء قريش على قتل النبي ﷺ. واجتمعت لذلك رؤوس قريش في دار الندوة، فتذاكروا في شأن النبي ﷺ ودعوته وهجرة أصحابه، واستقر رأيهم على أن يقتلوا النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة.

ولم يكن حسم هذا الأمر سهلاً ميسوراً، فال محمد ﷺ من بني عبد مناف لهم قوة ومنعة في مكة، وهم غير تاركي دمه هدرأ من غير ثأر.

ورأى بعضهم أن يثبتوا النبي على ناقه ويرسلوها في الصحراء حتى يهلكه الجوع والعطش وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (1).

ثم اجتمع رأيهم على أن يرسلوا أربعين شاباً من مختلف بطون قريش، فيضربوا محمداً ضربة رجل واحد فيفترق دمه في القبائل، ولا يجد بنو عبد مناف من ينتصفون منه ليقتلهم فيقبلوا بالدية وما أيسرها عليهم.

وهكذا كان... وانصرفوا وقد أحكموا التدبير وحددوا لذلك أول ليلة من شهر ربيع الأول حيث لا قمر يفضحهم ولا عين تبصرهم. وفي ذلك اليوم أذن للنبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة وأخبره ربه بما كان من كيد المشركين...

(1) الأنفال: 29 .

## هجرة النبي ﷺ:

كان الصحابة يستأذنون النبي ﷺ في هجرتهم فيأذن لهم إلا أبا بكر، فإنه لما استأذن قال له النبي ﷺ:

"على رسلك يا أبا بكر فأني أرجو أن يؤذن لي: فكان أبو بكر يرجو أن يكون صاحبه في هجرته... فجهز لذلك راحلتين وأحسن علفهما وجعل ينتظر الرحلة المباركة.

قالت عائشة: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرائي قومه، أتانا رسول الله ﷺ في وقت الظهر في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث.

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: أخرج عني من عندك، قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فذاك أبي وأمي، قال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: الصحبة، تقول عائشة: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي.

المؤمن الحق...عظيم الحب لمريه في دموع  
عينه شهادة ما هو في قلبه!!

ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين الراحلتين كنت أعددتكما لهذا، فخذ إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: بالثمن، فجهزوا الراحلتين أحسن الجهاز، وصنعوا لهم طعاماً يتزودون به في سفرهم ووضعوه في وعاء فلم يجدوا ما يشدوا به الوعاء، فقطعت أسماء من نطاقها وشدت به الوعاء، فسامها النبي ﷺ ذات النطاقين .

الحكمة رتبة بين الإفراط والتفريط .  
 والشجاعة رتبة بين الجبن والتهور .  
 وشجاعة النبي ﷺ تظهر في ثباته على الحق  
 الذي جاء به  
 فلا هو جبن حتى يتراجع عنه، ولا هو تمور  
 حتى يغفل أسباب الحكمة.

وعاد رسول الله ﷺ إلى بيته بعد أن واعد أبا بكر في غسق الليل وهو على علم بما بيتت قريش من المكر، فأمر علي بن أبي طالب أن يبيت على فراشه في الدار، ثم خرج في غفلة من القوم من خوفه في الدار، أو خرج من بابه والقوم نائمون محبوبون عنه-على خلاف بين المؤرخين-فسار حتى بلغ دار أبي بكر فأذنه بالرحيل فاحتمل ما هياً من زاد، وخرج مع النبي ﷺ ، وترك الراحلتين عند أسماء ترعاها حتى يحين أوان الرحيل.

أما النبي ﷺ وصاحبه فقد توجهوا إلى غار ثور وهو موضع إلى الجنوب من مكة، وذلك حكمة منه ﷺ إذ عليم أن قريشاً ستتبعه في كل الشعاب الموصلة إلى يثرب، فاختر أن يختفي في غار ثور بضع ليال ريثما تياس قريش من تطلبه وتحصيله، وكذلك كان، فقد مضى النبي ﷺ وصاحبه إلى الغار وأمر عامر بن فهيرة

مولى أبي بكر أن يرعى الغنم على آثار أقدامهما حتى يضل سعي قريش في تتبع أثرهما.

وأمر كذلك عبد الله بن أبي بكر أن يبيت مع المشركين في الليل ثم يأتيهما مع الصباح بخبر ما يبيتون.

وترى المشركون بيت النبي ﷺ حتى أوشك الفجر، ثم اقتحموا الدار فإذا فيها علي بن أبي طالب وثارت ثائرهم وأدركوا أن النبي ﷺ قد هاجر، فانطلقوا إلى دار صاحبه أبي بكر. ففتحت لهم أسماء فسألوها عن أبيها فأخبرتهم بهجرته، فلطمها أبو جهل لطمه طرح قرطها عن وجهها.

ثم نودي في قريش وما حولها من أحياء العرب أن قريشاً تدفع في رأس محمد مائة رأس من الإبل... وخرج شباب مكة وسفهاؤها في طلب النبي ﷺ وصاحبه في شعاب مكة على طريق يثرب.

غير أن النبي ﷺ كان قد أحسن التدبير إذ اختار غار ثور فهو إلى الجنوب من مكة على طريق اليمن ولن يفتن أهل مكة إلى ذلك. .

غير أن قريشاً لما أهمها من خبر النبي ﷺ ما وفرت جهداً يمكنها من تحصيله إلا وسعت إليه، وكان قصاص الأثر من العرب يحسنون اقتصاص الأثر، ويميزون بين قدم الذكر وقدم الأنثى، فاستأجرت قريش أمهرهم وأحذقهم، فتبعوا أثر النبي ﷺ وصاحبه من دار أبي بكر وما زالوا يجهدون ويضنون بالرغم مما كان يقوم به عامر بن فهيرة من السير بأغنمهم على آثارهما، حتى أمكنهم بلوغ غار ثور، وقال لهم صاحب الأثر: قد انقطع هنا أثر محمد.

ولم يكن الغار بالذي يفتن إليه العابر، فقد كان مجرد تجويف صغير في الجبل لا يكاد يتسع إلا للرجل الواحد، وكان المشركون قد أنهكهم البحث فوصلوا إلى الغار بين مصدق ومكذب. وكان الصديق في الغار قد أفزعه وقع أقدامهم واختلاط أصواتهم وأيقن أنهم لا بد سيقتلون النبي ﷺ، ففاضت عيناه بالدمع، واضطرب قلبه بالخفقان فقال له النبي ﷺ:

ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا!.

فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما!!.. .  
قال يا رسول الله إني لا أبكي لنفسي، ولو قتلت فإنما أنا رجل واحد، ولكن أبكي خشية عليك يا رسول الله، وإن قتلت أنت هلكت الأمة!.

المؤمن الحق...

يقيس حياته وموته بقدر ما يقدم للإسلام.

قال: يا أبا بكر! لا تحزن إن الله معنا.

وروى أحمد في مسنده أن عنكبوتاً نسج بباب الغار وباضت حمامة بأمر الله، فصرف الله بصر المشركين عن الغار بعد أن أوشكوا أن يدخلوه، وفي ذلك يقول البوصيري:

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم ينسج ولم يحم  
عناية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

ونزل تفصيل خبر الغار في سورة التوبة:



{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (1).

**استئناف رحلة الهجرة:**

كان عبد الله بن أبي بكر يأتي النبي ﷺ وصاحبه في الغار بأخبار القوم وما يبيتون، حتى إذا اكتملت لهم ثلاث ليال في الغار وفتّر حماس المشركين في تطلبهم، وأيقنت عامتهم أن النبي ﷺ وصل المدينة أو كاد، وانقلبوا إلى أعمالهم وأشغالهم، أرسل النبي ﷺ عبد الله بن أبي بكر إلى عبد الله بن أريقط وهو رجل من المشركين كانت له خبرة ودراية بمسالك الطرق والشعاب، فواعدده على سيف البحر حيث لقي النبي ﷺ وصاحبه.

الحكمة وضع الأشياء في مواضعها  
والنبي ﷺ ما وجد حرجاً أن يستعين بمشرك  
في اختصاصه رغم أنه كان يستضيء بنور  
الله.

وانطلق الجمع في رحلة الهجرة المباركة، فلما مرّوا بحج مدلج في بعض الطريق بصر بهم رجل من الحي فأسرع إلى نادي قومه عند سراقه بن مالك بن جعشم وقال: إني قد رأيت رجالاً بالساحل أراها محمداً وأصحابه، فعرف سراقه بن مالك أنهم هم، لكنه أراد أن يستأثر بالجائزة لنفسه فقال له: إنك قد رأيت فلاناً وفلاناً، وإننا قد أرسلناهم يبتغون ضالة لهم، ثم لبث في المجلس برهة وقام وكب الفرس وسار

(1) التوبة: 40 .

إليهم، حتى دنا من رسول الله ﷺ فعثرت به فرس فخر عنها، فقام وركبها حتى اقترب وسمع قراءة النبي ﷺ فساخت قوائم فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين، فسقط عنها ثم زجرها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها حتى خرج لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان! . . فعلم سراقه أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ وداخله رعب عظيم! . . ووقع في نفسه أنه الحق! . . فناداها بالأمان.

حينما تنقطع كل وسائل الأرض  
يمدك الله بالعون من حيث لا تحتسب.

وعرض سراقه عليهما الزاد فقالا: لا حاجة لنا ولكن عمّ عنا الخبر فعاد سراقه حارساً لرسول الله ﷺ يصرف أنظار الناس عنه ويبيدهم عن الطريق الذي سلكوه<sup>(1)</sup>.

(1) وهكذا فإنك ترى أن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة لم تكن عملاً عشوائياً ارتجالياً، وإنما كانت خطة حكيمة متكاملة تمت في غاية الحكمة والأناة.

فقد اشترك في رحلة الهجرة ست لجان -حسب مصطلحات عصرنا-

لجنة تموينية: وهي أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين حيث كانت تعد الطعام للمهاجرين العظميين .

لجنة تموينية: وهي سيدنا علي بن أبي طالب حيث نام في فراش النبي ﷺ .

لجنة إعلامية: وهي عبد الله بن أبي بكر حيث كان يأتيهما في الغار بأبناء وتحركات المشركين .

لجنة تضليلية: وهي عامر بن فهيرة حيث كان يمشي بغنمه ليمحو آثار أقدام أسماء وعبد الله .

لجنة تدليلية: وهي عبد الله بن أريقط، وقد بحث النبي ﷺ عن الخبرة والمهارة والاختصاص .

لجنة المرافقة: وهي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان صاحبه في الغار والهجرة .

(1) ونشير هنا إلى أننا نحتفل بذكرى الهجرة في أول المحرم من كل عام، لأنه هو يوم بداية السنة

القمريّة التي جعلها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب تاريخاً رسمياً للدولة الإسلامية، كما إن

هجرة الصحابة قد بدأت من المحرم عقب موسم الحج الذي كانت فيه بيعة العقبة الثانية .

## استقبال رسول الله في المدينة

وبلغ المسلمين في يثرب خبرُ خروج النبي ﷺ فكانوا يرقبون قدومه ببالغ الشوق، وهذا كلامهم قبيل وصول النبي ﷺ:

"لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ورجونا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً رجعنا، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا.

المؤمن الحق يشتاق إلى مربيه .  
شوق الظمآن إلى الماء . والأرض إلى  
السماء.

وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا بيوتنا، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا أهل يثرب هذا جدُّكم -حظكم وسعدكم- قد جاء. فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وتزاحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك، وكان استقباله في ثنيات الوداع وهو موضع بظاهر المدينة في يوم الاثنين<sup>(1)</sup> وبنو النجار ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

الأدب مع المرابي...  
سلوك يعلمك إياه:  
الحب والشوق.

وقبل قدومه يثرب نزل ﷺ في قباء عند كلثوم بن الهدم، وأقام عنده أياماً وأسس  
مسجد قباء أول مسجد في الإسلام، وهو الذي قال الله تعالى فيه:  
{لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ  
أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} (2).

وقد شارك النبي ﷺ في بنائه بيديه الشريفتين، ثم توجه صباح الجمعة إلى يثرب  
فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فأسس مسجداً هناك.

الداعية الحق... يترك أثر دعوته في كل  
مكان حل فيه فهو كالغيث. . أينما وقع  
نفع.

(2) سورة التوبة: 108 .

## أول خطبة جمعة في المدينة

وأقام أول جمعة له في الإسلام، وخطب فيها بأول خطبة له، وقال فيها: "أما

بعد:

"أيها الناس قدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

ذكر الآخرة لا يغيب عن بال المؤمن وسلوك  
حياته مرتبط بدرجة إيمانه.

## نزول النبي في دار أبي أيوب

وتابع النبي ﷺ مسيرة نحو يثرب، فدخلها والمسلمون يحقون به من كل جانب، كل يريد أن يأخذ بزمام ناقته لينزل عنده، فكان يجيبهم عليه الصلاة والسلام: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، حتى بركت في مربد لغلّامين يتيمين من بني النجار فاشتراه النبي ﷺ منهما، وأمر ببناء المسجد فيه، ونزل على أبي أيوب الأنصاري

لقرب داره من مكان المسجد، فاستقبله أبو أيوب أحسن استقبال وكرمه تكريم  
وأثره على نفسه وعياله.

يقول أبو أيوب رضي الله عنه:

لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت  
له: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي  
فأظهر أنت فكن في العلو، ونزل نحن فنكون في السفلى. فقال: "يا أبا أيوب! إنَّ  
أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت" فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا  
فوقه في المسكن، فقد انكسرت جرة لنا فيها ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا،  
ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء  
فيؤذيه.

وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب  
موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة.

آداب الحب .

يعرفها قلب المحب من غير ما درس أو

كتاب.

حتى بعثنا ليلة إليه بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثوماً، فرده رسول الله ﷺ ولم أر  
ليده فيه أثراً فجئته فزعاً فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر  
فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي  
بذلك البركة! قال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم  
فكلوه، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

وهكذا استقر المقام بالنبي ﷺ واثتلف الجمع المبارك في هذه الأرض الطيبة، وتمت رحلة الهجرة المباركة ثلاثة أيام في غار ثور، وأربعة أيام في طريق المدينة، وثلاثة أيام في حرة الوبرة في ديار بني سالم بن عوف، وفي يوم 12 ربيع الأول الموافق: 622/9/23 ميلادية نزل رسول الله ﷺ عن ناقته قرب دار أبي أيوب، ووطئ أرض يثرب التي سميت منذ تلك اللحظة المدينة المنورة.

في تلك الأشهر العشرة من السنة الأولى للهجرة من بين هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول إلى آخر السنة قام النبي عليه الصلاة والسلام بإرساء أسس مجتمع المدينة مجتمع قائم على شريعة القرآن.

### وكانت أهم الأعمال في هذه الفترة:

- 1- بناء المسجد.
- 2- المؤاخاة.
- 3- دستور المدينة.
- 4- موادة أهل الكتاب (اليهود).

### بناء المسجد:

كان أول عمل بدأ به النبي ﷺ في المدينة هو بناء المسجد، وذلك أن المسجد هو دار المسلمين الأولى، وفيه تلتقي الأرض بالسما، وهو المدرسة التي ستصبح فيما بعد مناراً للعالمين.

واشترى النبي ﷺ مريداً لغلّامين يتيمين من بني النجار- كما سبق ذكره- ولم يقبل ﷺ أن يأخذه منهما بلا ثمن، ثم بدأ أصحاب رسول الله ﷺ في بناء المسجد في

نشاط اجتماعي منسجم بالغ الروعة. وكان رسول الله ﷺ يحمل الحجارة بيديه الشريفتين حتى يغبر صدره وهو يرتجز:

لا هم إن العيش عيش الآخرة	فارحم الأنصار والمهاجرة
---------------------------	-------------------------

والأصحاب من حوله فرحون راغبون ينشدون:

لئن قعدنا والنبي يعمل	فذاك منا العمل المضلل
-----------------------	-----------------------

وجاء بعض الأصحاب يريدون أن يحملوا عنه فقال لهم: لست أغنى عن الثواب منكم، ولكن خذ غيرها،

وكان الناس يحملون اللبنة الواحدة، وكان عمار بن ياسر يحمل اللبنتين معاً. وخلال أشهر قليلة بُني أعظم المساجد في التاريخ على غاية من البساطة في بنيانه ومرافقه، ولكنه كان المدرسة التي أفاضت نورها على العالمين.

أول ركائز الإسلام بناء المسجد . بناء جدرانها بالطين والحجارة، وعمران كيانه بالذكر والعلم وقراءة القرآن.
---

وبنيت بعد ذلك مئات الألوف من المساجد في الأرض، ولكن لم يبن إلى اليوم مسجد واحد قدم معشار ما قدم ذلك المسجد من العطاء.



## عقد المؤاخاة:

-هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة نحو مائة مهاجر، وكان غالب هؤلاء من الفقراء المستضعفين الذين لا يجدون ما ينفقون، حتى أولئك الذين كانت لهم أموال في مكة فإنهم تركوها، وهاجروا فراراً بدينهم إلى الله عز وجل.

وكان مصعب بن عمير ينظّم مبدئياً أمر استقبال هؤلاء المهاجرين في بيوت إخوانهم الأنصار، بانتظار قدوم النبي ﷺ حتى إذا وصل النبي ﷺ المدينة واستقر فيها بضع ليال كان يستشير فيها رؤوس الناس من المهاجرين والأنصار، خرج على الناس بعقد المؤاخاة.

ولا تحسب أن أمر المؤاخاة كان مسألة ارتجالية عشوائية بل إنّه ﷺ ما كان يختار للمهاجر أخاه من الأنصار إلاّ على بينة واستبصار، ويختار لصاحب الصنعة من المهاجرين صاحب مال من الأنصار، وذلك حتى استقامت أحوال الناس، وأوضح الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري:

"أنهم لما قدموا المدينة آخر رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، .

أخوة الإيمان.

أوثق رباطاً من كل رباط الجسد والقربي.

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سرقكم؟

فدلّوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلاّ ومعه فضلٌ من أقط وسمن ثم تابع الغدو . ثم جاء يوماً، وبه أثر صفرة (زينة) فقال النبي ﷺ: "مهيم" (سؤال عن حاله) قال: تزوّجت.

قال: "كم سقت إليها؟" قال: نواة من ذهب!".

ثم احتفظ النبي ﷺ بطائفة من أصحابه الشباب غالبهم لا عيال لهم، فجعلهم في صفة المسجد فكانوا يقومون بجوائح الناس العامة ويطلبون العلم ويكتبون عن النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يسوق إلى أهل الصفة طعامهم وحاجتهم مما يقدمه الناس من هدايا وصدقات.

### دستور المدينة:

وأمر رسول الله ﷺ بكتابة وثيقة في المدينة تكون كالقانون الناظم لشؤون الناس وحياتهم، ومما جاء في هذه الصحيفة):

"بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمةٌ واحدة من الناس، المهاجرون من قريش على ربتهم (الرّبعة: الحال التي وجدهم عليها الإسلام) يتعاقلون بينهم (أي يعقل بعضهم عن بعض، والعقل: الدّية). وهم يفدون عانيهم (العاني الأسير) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف وبنو ساعدة وبنو الحارث وبنو جشم وبنو النجار وبنو عمرو وبنو النبيت وبنو الأوس على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإنّ المؤمنين لا يتركون مفرجاً (المفرج: المثقل بالدين والكثير العيال).

بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (الدسيعة: المدخل) أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليهم جميعاً، ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن في كافر، ولا ينصر كافر على مسلم، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وأن المؤمنين بيء (أبأه به، قتله به، جعله بواء به) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.

وأنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط (إعتبطه: قتله بلا جناية توجب القتل) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به (أي قصاص به) إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأن من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردّة إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد ﷺ . "

الإسلام دين نظام  
روعته في انسجام عاطفة القلب الحرة مع  
حاجة الواقع المقررة.

وهكذا فقد كانت هذه الوثيقة أول دستور سياسي داخلي في دولة المسلمين، وكانوا يرجعون إليها في تقرير الأحكام والوقائع، والحق أنّ الإيمان الذي عمّرت به قلوبهم، كفاهم حتى لم يكونوا يحتاجون معه إلى نص مكتوب.

## تحديد العلاقة باليهود:

وكما كتب النبي ﷺ كتاباً فيما بين المهاجرين والأنصار، كتب كتاباً آخر فيما بين المسلمين واليهود، فقد كان اليهود في المدينة مجموعة قبائل ذات شوكة ومال، وكان لهم أثرهم في التحرش والفساد بين أهل المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يأمن شرهم وغدرهم، فكتب مع زعمائهم وثيقة موادعة ومما جاء فيها :

"إنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإنّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلاّ مَنْ ظلم وأثم، وإنّ الله على أبر هذا وأوثقه. (أي إن الله يشهد على ما كتب في هذه الصحيفة .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وإنّ بينهم النّصر على من دهم يثرب، لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه، وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. وإنه مَنْ حَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ إلاّ من ظلم وأثم، وإنّ الله جار لمن بر واتقى ومحمّد رسول الله ﷺ .

والحقيقة أنّ اليهود الذين اعتادوا الغدر حتى تأصّل في طبائعهم، لم يحفظوا حرمة هذه المعاهدة، بل أخذت القبائل تنقضها واحدة، واحدة، غير أنّ النبي ﷺ لم ينقض عهد أحدٍ منهم، حتى يكونوا هم الذين ينقضون .

## بدء الأذان :

شرع الأذان في السنة الأولى للهجرة، وفي ذلك إشارةً إلى موقع العبادة في الإسلام؛ حتى أنّه ما مرّ على دولة الإسلام يوم واحد بغير صلاة.

ما مر على دولة الإسلام يوم واحد بغير  
صلاة القيم الروحية قبل الحاجات المادية

وكان من خير الأذان أن الصحابة كانوا يحضرون الصلاة لمواقيتها بغير دعوة،  
فهم رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذي يهرعون به لصلاتهم،  
ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة. فبينما هم على  
ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول  
الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنه طأف بي هذه الليلة طائف. مر بي رجل عليه  
ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال:  
وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خيرٍ من  
ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن  
لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً  
رسول الله. حي على الصلاة، حي على الصلاة. حي على الفلاح، حي على  
الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. .

الإسلام في أصوله و فروعِهِ .  
تجديد لا تقليد . . واتباع لا ابتداع .

فلما أُخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلالٍ  
فألقها عليه فليؤذن بها، فإنه أندى صوتاً منك. فلما أذّن بها بلال، سمعها عمر بن  
الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ  
الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: فليلله الحمد  
على ذلك .

ومنذ اللحظة التي أقرّ فيها النبي ﷺ الأذان وحتى قيام الساعة، تؤذن الدنيا كلّ يوم خمس مرّات، واليوم لا تمرّ على الدنيا ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ إلا وفيها أُلوف الهاتفين: الله أكبر .

### مخالفة القبائل :

واجتهد رسول الله ﷺ أن يحالف القبائل من حول المدينة، ليضمن للجماعة المسلمة سلاماً يتيح للرّسالة العظيمة أن تنتشر بلسان الدعوة والموعظة الحسنة . وهكذا فقد بدأت حركة التربية والتعليم في المدينة، واجتهد المهاجرون في تعليم إخوانهم الأنصار شرائع الدين وعقائده، إضافةً إلى مجالس النبي ﷺ عشيةً غالب الأيام .

كانت ليالي الصحابة في المدينة المنورة  
مواسم علم وتعليم  
لا ليالي أسمار وأشعار .

ولكنّ قريشاً لم تتركهم كما تركوها، وساءها أن يجد جماعةً المستضعفين من الصحابة أرضاً يأمنون فيها على دينهم وأنفسهم .  
فعمد كفّار مكة إلى كلّ ما تركه المسلمون فيها من عقارٍ ومتاعٍ وأثاث، فباعوه جملةً وأخذوا يتجرون به بين الحجاز والشام وكأنما ورثوه عن آبائهم .

ثم راحت قريش تؤلب القبائل حول المدينة على حرب النبي ﷺ ونقض عهده، وتعددهم بالمؤازرة والنصرة، حتى صار واضحاً أنّ الحرب لا بدّ آتية، وأنّ قريشاً تنفخ في كبرها وتتربص بالمسلمين الدوائر .

وقد أكّد ذلك حصول بعض الزيارات المريبة بين قريش ويهود، كما أن بعض المشركين من أهل المدينة رفضوا الدخول في الإسلام، والتحقوا بقريش ساخطين على الإسلام والمسلمين، وأشهر هؤلاء: أبو عامر الراهب .

### الإذن بالقتال :

-وصار أصحاب رسول الله ﷺ يستأذنون النبي ﷺ في الجهاد لردّ عدوان قريش المحتمل، والنبي ﷺ يقول: لم نؤمر بذلك .

ولما تكشفت نوايا قريش وصارت قوافلها التجارية تمر قرب المدينة المنورة بأموال المهاجرين المسلمين، والأصحاب لا يمسونها بسوء، نزل قول الله عزّ وجلّ :  
{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} (1) .

القتال في الإسلام لردّ العدوان لا لشن  
العدوان!! .

وهكذا نرى أنّ مشروعية القتال في الإسلام لم تأت مدّ البغي والتسلط على الناس، وإنما جاءت ليدافع المسلمون عن دينهم وأنفسهم، ويستردّوا بعضاً من

(1) سورة الحج: 39 .



حقوقهم، ويضمنوا حريتهم فيما نذروا أنفسهم له من إخراج الناس من الظلمات  
إلى النور. .

## السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ لِلْهِجْرَةِ " 14 بَعْدَ الْبَعْثَةِ "

أهم حوادث السنة الثانية:

- 1- الإذن بالجهاد.
- 2- تحويل القبلة إلى البيت الحرام.
- 3- غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.
- 4- سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.
- 5- وقعة بدر الكبرى.
- 6- تشريع الصيام.
- 7- غزوة بني قينقاع.
- 8- إرسال الدعاة إلى القبائل المجاورة.

### غزوات وسرايا للدفاع عن المدينة

مضى على رسول الله ﷺ عشرة من السنة الأولى لهجرته، استطاع فيها أن يرسى دعائم دولة الإسلام الجديدة، فبنى المسجد وعقد المؤاخاة، ونظّم إقامة اليهود في المدينة، وأذن فيها لرسول الله ﷺ بالقتال دفاعاً عن الشريعة، وفيها عقد مع القبائل المجاورة للمدينة معاهدات حسن جوار.

وفي هذه السنة-الثانية-فُرضَ الصيام على المسلمين، وهو تمهيد وإعداد للنفوس لتحمل الشدائد والمصاعب التي لا بد أن يتحملها كل سالك في طريق الحق.

وفيهما خرج رسول الله ﷺ في غزوة "ودّان وبواط والعشيرة وبدر الأولى، وجميعها لم يحصل فيها حرب ولا قتال.

### غزوة ودان:

ففي غزوة ودان خرج رسول الله ﷺ في شهر صفر مع جمع من أصحابه، يريد قافلة لقريش فيها من أموال المهاجرين فلم يدركها، فصالح بني ضمرة وأمن على المدينة من جانبهم.

فهذه أول غزوة غزاها النبي ﷺ ولم يحصل فيها قتال.

### غزوة بواط:

وفي غزوة بواط خرج رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ومعه مائتان من أصحابه لملاقة عير قريش، وكان كفّار مكّة قد باعوا واقتسموا متاع المهاجرين، وأرسلوا به متاجرين إلى الشام فخرج رسول الله ﷺ يسترد حق أصحابه المغضوب، فلم يلق أحداً ورجع ولم يحصل فيها قتال.

### غزوة العشيرة:

وفي غزوة "العُشَيْرَة" خرج ﷺ في جمادى الأولى في مائة وخمسين من أصحابه يريد عير قريش أيضاً، فلم يدركها ولم يحصل فيها قتال، وصالح النبي ﷺ فيها بني مُدْج على أن ينصرهم وينصروه، وتقع ذات العشيرة قريباً من ينبع.

غزوات النبي ﷺ كانت ذات أغراض متنوعة مفيدة. .  
إما لمخالفة قبائل، وإما لنشر الدعوة، وإما لرد عدوان  
وفي كل الأحوال كانت تديباً على تحمل الشدائد.

### غزوة بدر الأولى:

وأما غزوة بدر الأولى فكانت في جمادى الأولى لرد العدوان الذي قام به كرز بن جابر الفهري، وهو قاطع طريق أغار بعصابته على المدينة فسرق ونهب، وهرب كرز ولم يحصل قتال.

### سرايا عبيدة وحمزة وسعد:

وكان النبي ﷺ قد أرسل عدة سرايا<sup>(1)</sup> كسرية عبيدة بن الحارث لقريش ولم تلق قتالاً، وكانت هذه أول راية عقدها النبي ﷺ لأحد المسلمين.

وأرسل أيضاً سرية حمزة بن عبد المطلب، لتهديد طريق تجارة قريش، ولم تلق قتالاً، وسرية سعد بن أبي وقاص للغرض نفسه، فهربت قافلة قريش قبل أن يصل إليها، ولم يلق قتالاً.

### سرية عبد الله بن جحش:

-وأرسل أيضاً سرية بقيادة عبد الله بن جحش، وأرسل معه النبي ﷺ كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فتحه فإذا فيه أمر النبي ﷺ له، أن يتجه إلى منطقة نخلة (وطريقها يختلف عن الطريق الذي سلكه) ولكّنه أمره بذلك للتمويه على الأعداء، ولاختباره واختبار أصحابه، وقد طلب منه النبي ﷺ أن لا يجبر أحداً من أصحابه، فلما أخبرهم عبد الله ساروا جميعاً معه، وهاجموا قافلة لقريش في آخر يوم من الشهر الحرام رجب، وقتلوا وأسروا منهم، فتكلم المشركون في ذلك، وجعلوا يقولون: إنّ المسلمين يقاتلون في الأشهر الحرم ولا يرعون لها حرمة، وأكثر المسلمون في لوم عبد الله إلى أن أنزل الله براءته بقوله:

(1) الفرق بين السرية والغزوة، أن الغزوة كان النبي ﷺ يخرج فيها بنفسه، بينما السرية لا يخرج فيها.

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ  
الْقَتْلِ} (2).

فبين لهم الله تعالى أن عملهم هذا ردّ على أعمال المشركين واعتداءاتهم، وأن ما  
فعله المشركون أعظم وأشد فتنة.

### تحويل القبلة:

-وفي هذه السنة تحولت القبلة إلى المسجد الحرام. وكان النبي ﷺ في مكة، قد  
أمر بالتوجه إلى بيت المقدس في صلاته، ليظهر تميّز الإسلام عن عقائد الوثنية  
الأولى التي كانت تتوجه إلى البيت الحرام في مكة.

الكعبة قبلة الأجساد والله قبلة القلوب  
فأينما تولوا فثم وجه الله.

وكان رسول الله ﷺ يرغب أن تكون قبلته إلى الكعبة المشرفة في البلد الحرام،  
ولذلك كان حين يصلي في مكة، يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فكأنه  
بذلك يستقبل القبلتين جميعاً، ولم يعد ذلك ممكناً لما هاجر إلى المدينة المنورة، فصار  
النبي ﷺ يقلّب وجهه في السماء، ويسأل الله عز وجلّ أن يأذن له بالتوجه إلى البيت  
الحرام، فأنزل الله عز وجلّ:

(2) سورة البقرة: 217 .

{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } (1).

## غزوة بدر الكبرى:

-وفي رمضان من هذه السنة كانت غزوة بدر الكبرى، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن قافلة عظيمة لقريش، في طريقها إلى مكة من الشام، وكانت بضائع هذه القافلة، قد اشتراها كفّار مكة بالمتاع الذي تركه المسلمون بمكة قبل هجرتهم، فخرج رسول الله ﷺ مع أصحابه وهم المالكون الشرعيون لهذه الأموال، بهدف استرجاعها من جيب غاضبها إلى كف أصحابها. وكيف يتكونها تمرّ أمام أعينهم يتاجر بها أعدائهم، ويجارونهم بها، والمسلمون في أسوأ حال من المعيشة!.

لقد كان المهاجرون في المدينة في ضنك من العيش، رغم أن بذله لهم إخوانهم الأنصار، إلا أن أنفسهم كانت تعف عن أموالهم، وقوانين الحرب تسمح لهم أن يأخذوا أموال أعدائهم، فكيف إذا كانت أموالهم عند أعدائهم؟! لذلك فقد قال النبي ﷺ لأصحابه: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله أن يغنمكموها، ولم يلزم أحداً من أصحابه بالخروج، ولم يكثر بها البعض، ورجبوا عن متاعها. .

القائد الحكيم...

(1) سورة البقرة: 143 .

يقدر دور الاقتصاد في بناء المجتمع.

وخرج النبي ﷺ سريعاً لإدراك العير، وكان ذلك في الثاني عشر من رمضان؛ فخرج معه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، ومعهم سبعون بعيراً. .  
وعلم أبو سفيان بخروجهم، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري يستنهض قريشاً لنصرته، فخرجت قريش في تسعمائة وخمسين مقاتلاً واستطاع أبو سفيان أن ينجو بالقافلة، وأرسل إلى قريش يطمئنها، ويطلب رجوع جيشهم إلى مكة، لكنّ أبا جهل أصرّ على المضيّ وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر (الجزر: الإبل) ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا...  
وتفاقم الخلاف بين المشركين، فريق يؤكّد كلام أبي جهل، وفريق يعارضه، حتى خضعوا لقوله، اتقاءً لشرّه وسفهة وفحش كلامه.

إنما أهلك قريشاً وغيرها من الهالكين طاعة  
الفجرة وتسويد السفهاء.

وعلم النبي ﷺ بخروج المشركين، وعلم أن عدوهم قريب من الألف، فجمع أصحابه يستشيرهم، ويتعرف على عزيمتهم، فلم يرغب بعضهم بالقتال، لأنهم خرجوا على غير استعداد له، فاستعدادهم كان للقاء قافلة، لا للقاء جيش. .  
-والنفت رسول الله ﷺ إلى صحبه الكرام، وفيهم (84) رجلاً من المهاجرين، و(229) رجلاً من الأنصار، وقال: أشيروا عليّ أيّها الناس.

فقام المقداد بن عمرو من المهاجرين فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك

فقاتلا، إنّنا ههنا قاعدون!! . ولكن اذهب أنت ورؤيتك فقاتلا إنّنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه!!.. .

المؤمن الحق حين يصح لديه اليقين . . تصير  
حياته وفقاً على خدمة الرسالة.

فاستبشر النبي ﷺ ودعا له بخير ثم قال: أشيروا عليّ أيّها الناس، وكان يريد بذلك الأنصار، لأنّه إنّما بايعهم أن يجموه في ديارهم، والبيعة لا تلزمهم بنصرته خارج ديارهم، فقال سعد بن معاذ: لعلك تريدنا يا رسول الله؟، قال: أجل، فقال سعد: إنّك عسى أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله لك غيره، ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهدنا على السمع والطاعة، ولعلّك يا رسول الله تخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها ألاّ ينصروك إلاّ في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فاطعن يا رسول الله حيث شئت، وصل جبل من شئت، واقطع جبل من شئت وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت، وما أمرت فينا من أمر، فأمرنا تبع لأمرك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، والذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنّنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة الله.

المؤمن الحق.

لا يبالي حياته وماله في سبيل الله





ثم قام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله ألاّ نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبنا، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببناه، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا رسول الله، ما نحن بأشدّ لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك.

حياة القائد حياة الأمة.  
 وحب القائد ورعاية سلامته. . رعاية  
 للمجتمع الإسلامي.

فدعا له النبي ﷺ ، وبني العريش<sup>(1)</sup> ليكون مركزاً لقيادة الجيش.

-وبدأ النبي ﷺ بتسوية الجيش، فمر على الصفوف يعدّها وفي يده سهم، فمرّ بسواد بن غزية وهو خارج الصف، فوكزه بالسهم في بطنه وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقديني (دعني أقتص منك) فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟. فقال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له بخير. .

آداب الحب لا يتلقاها المحب عن كتاب أو خطيب. .  
 بل هي سلوك يفيض به القلب على الجوارح.

وأخذ النبي ﷺ يحض أصحابه على القتال، فقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنة. .

(1) العريش: كوخ خشبي مرتفع يغطى بجريد النخل .

فنظر عمير بن الحمام وفي يده تمراتٍ يريد أكلهنَّ وقال: بخٍ بخٍ، فما بيني وبين  
أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء!.. .

ثم رمى التمرات من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة  
طويلة، ثمَّ اندفع إلى المعركة وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد  
والصبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عرضة النفاد  
غير التقى والبرِّ والرَّشاد

المؤمن يلقى الموت مشتاقاً راضياً  
"طال شوق الأبرار إلي وأنا أشد إليهم  
شوقاً".

وقاتل عمير المشركين حتى قتل . .

واندفع من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد إلى حوض الماء الذي أقامه  
المسلمون وهو يقول: أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم، أو لأهدمته أو لأموتنَّ من  
دونه.

فتلقاه حمزة بن عبد المطلب بضربة قطع بها رجله فوقع على الأرض، واستمر  
يزحف حتى وصل إلى الحوض، فلحقه حمزة وقتله في الحوض . .

وحميت المعركة، واشتدَّ القتال، وأمدَّ الله المؤمنين بروح من عنده، فانطلقوا  
يخوضون في ساحات القتال، يغمسون أيديهم في أعدائهم دون خوف، وكيف لا  
وقد وعدهم الله إحدى الحسينين النصر أو الشهادة والجنة.

فتضاءلت في أعين المؤمنين كثرة المشركين، والنبي ﷺ يشارك في القتال، ويحرض المؤمنين ويلتجئ بقلبه إلى الله فيقول:

"اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم"...

ليست حاجة الأمة لمن يقتل في سبيل الله...  
أعظم من حاجتها لمن يعيش في سبيل الله الأمة  
المسلمة لا تضنُّ بالشهداء...  
لكن حاجة الأمة للدعاة أعظم من حاجتها للشهداء.

ثم نادى النبي ﷺ في جيش المسلمين "شدوا" سيهزم الجمع ويولون الدبر. فحمل المسلمون حملةً على المشركين، وأمدّهم الله بمدد من عنده، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

{ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بَلَىٰ إِنَّ تَصَبُّرًا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (1).

-وكان ابتداء المعركة في صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان، وما جاء عصر ذلك اليوم إلا والمشركون منهزمون على أعقابهم، بين قتيل وأسير وفارٍ بنفسه، وانجلت المعركة بين سبعين أسيراً من المشركين وسبعين قتيلاً فيهم رؤوس الكفر وزعمائهم، كأبي جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد

(1) سورة آل عمران: 124-125-126.

بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، ثم أمر الرسول ﷺ بقتلى المشركين، فطرحوا في القليب، ثم وقف عليهم يناديهم بأسمائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان. . . . .  
أيسرركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ . . . فيني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلّم قوماً موتى؟ فقال لهم: لقد علموا أن ما وعد ربهم حقاً.

وقد استشهد في هذه الغزوة أربعة عشر رجلاً من الصحابة، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين.

ثم ارتحل النبي ﷺ صبيحة اليوم التالي عائداً إلى المدينة، ومعه أسرى المشركين والغنائم والأموال التي غنمها المسلمون منهم، فوزّعها النبي ﷺ على أصحابه، وخصّ بالقسمة طائفة من الصحابة لم يشهدوا القتال، بعد أن رضي أعدارهم.  
وأنزل الله عزّ وجلّ: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (2).

### أمر الأسرى:

-انجلت المعركة عن سبعين أسيراً من المشركين، ولم يكن قد نزل وحيّ في تفصيل شأن الأسرى بعد، وكان النبي ﷺ يجب أن يسمع رأي أصحابه فيما هو من أمور المشورة، فجمع رؤوس المهاجرين والأنصار واستشارهم في أمر الأسرى.

"عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقول في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعلّ الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك

(2) سورة آل عمران: 123 .

وكذبوك، قرَّبهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. فقال العباس: قطعت رحمك!! فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس: يأخذ بقول عمر. وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: إِنَّ الله ليلين قلوب رجال فيه أن تكون ألين من اللبن، وإنَّ الله ليشدّ قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإنَّ مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام: قال من تبني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: إن تعدَّ بهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وإنَّ مثلك يا عمر كمثل نوح: قال ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، وإنَّ مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ربِّ اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم: ثم التفت إلى الأسرى وقال لهم: أنتم عالة فلا ينفلتنَّ أحدٌ إلا بفداء أو ضربة عنق، قال عبد الله فقلت يا رسول الله: إلاَّ سهيل بن بيضاء فإنِّي قد سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم حتى قال: إلاَّ سهيل بن بيضاء قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَّخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (1).

القائد الحكيم يفيد من رأي كل مستشاريه...

(1) مسند أحمد بن حنبل: ج (1) صلى الله عليه وسلم: 383.

ثم يقرر مصلحة الأمة.

وبذلك فقد كان رأي النبي ﷺ رأياً وسطاً بين رأي أصحابه، فأقر العفو ولكن شرط الفداء، وجاء المشركون من قريش إلى النبي ﷺ في فداء أسراهم وكان غالب ما يدفعون للفداء من أموال المهاجرين التي خلفوها في المدينة فسرقها قريش! . ثم نودي أنّ من لم يجد مالاً من أسرى المشركين، ففداؤه أن يعلم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وكان القرّاء والكتّاب في مكة أكثر منهم في المدينة، وذلك بسبب الأهمية التاريخية لمكة<sup>(2)</sup>.

العلم في الإسلام شريف كلّه  
وعلى الأمة المسلمة أن تحصل العلم في  
مظانّه وترصد الكفاية لنشره وتعميمه.

ولما تمّ إطلاق الأسرى نزل القرآن العظيم بالآيات السابقة مؤيداً رأي عمر فيما رآه من قتل الأسرى.

وهكذا "انتهت غزوة بدر، بنصر ساحقٍ للمسلمين وصارت عيداً يذكر الناس فيه نعمة الله وفضله، ولكنّ هذا النصر لم يكن عبثاً بل كان ثمرة الجهاد والصبر والطاعة والاستقامة، وبمقارنة بسيطة تفهم أنّ أهمّ أسباب نصر المسلمين:

(2) المتأمل في هذه الحادثة، يرى فيها مظهراً من مظاهر السّلام في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى لم ينزل العقاب قبل الفداء، وقد كان سبحانه وتعالى قادراً على ذلك، ولكن أخره إلى ما بعد الفداء، فكانت الآية بعدئذٍ ترهيباً محضاً، وبه تعلم أنّ الإسلام ما جاء ليقتل الكفّار، ولكن جاء ليقتل الكفر الذي في قلوبهم .  
والآية أيضاً من أظهر الأدلة على أنّ القرآن العظيم ليس من عند النبي ﷺ ، وإلا ما عاتب نفسه هذا العتاب الشديد .

1- أن المسلمين يقاتلون بحماس بالغ دفاعاً عن عقيدة حق واضحة محكمة، والمشركون يقاتلون دفاعاً عن حمية الجاهلية وشرف الأصنام التي يعملون أنّها لا تضرّ ولا تنفع.

2- المسلمون كانت لهم قيادة واحدة حكيمة مطاعة، أما المشركون فلم تكن لهم قيادة واحدة، ولا خطة محكمة. .

3- كان موقع الجيش الإسلامي عند ماء بدر سبباً في وهن قوة المشركين الذين أربكهم فقدان الماء، وهي الخطة التي أشار إليها الحباب بن المنذر.

4- لم يخرج المشركون بنفسية المحارب المكافئ بل استهانوا بعدد المسلمين وعدتهم وبدؤوا قتالهم كالمستهزئ العابث وكانت معهم المغنيات والقيان فأدركتهم صدمة المفاجأة مما أدى إلى اختلال قواهم.

### غزوةُ بني قَيْنُقَاع:

كان رسول الله ﷺ قد عاهد اليهود منذ بداية عهده في المدينة، أن لهم حق المواطنة في المدينة من غير أن يؤذوا أحداً من المسلمين أو يتآمروا مع أعدائهم، ولكنّ اليهود كما يعرف من تاريخهم، تشربوا الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، فظهرت بوادر المكر والغدر وتوعدوا رسول الله بعد النصر في معركة بدر فقالوا له: "يا محمد لا يعرّتك أنّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لعن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس".



وفي شهر شوال حاول صائغ يهودي الاعتداء على شرف امرأة مسلمة، فاستجارت بالمسلمين، فنار رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فقامت يهود فقتلت ذلك المسلم الذي انتصر لامرأة مظلومة، فخرج رسول الله ﷺ إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه ﷺ.

وجاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكان من زعماء الخزرج، وقد أظهر الإسلام مكرراً وخبثاً لما خشي ضياع زعامته وفوات مصالحه، وكان عبد الله حليفاً لبني قينقاع، فجاء النبي ﷺ يستشفع لهم، ورأى النبي ﷺ أن يقبل شفاعته بهم حقناً للدماء، ورجاء أن يحسن إسلام عبد الله بن أبي، وتستقيم أحواله.

الصلح خير. . والإسلام دين التسامح. .  
وأن تعفو أقرب للتقوى.

وحكم النبي ﷺ بإجلائهم عن المدينة، فخرجوا منها وتوجهوا إلى خيبر المعقل الأساسي لليهود في الجزيرة العربية.  
ولم يحصل في هذه الغزوة أيضاً أي قتال.

## السنة الثالثة للهجرة "15 بعد البعثة"

أهم حوادث السنة الثالثة:

- 1- ظهور النفاق في مجتمع المدينة.
- 2- قتل غراب الحرب اليهودي الماكر: كعب بن الأشرف.
- 3- خروج قريش للانتقام من المسلمين.
- 4- وقعة أحد.
- 5- استشهاد حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.
- 6- غزوة حمراء الأسد.

مضت السنة الثانية وفيها تحددت هوية الجماعة المسلمة، والتزموا قبليهم في مكة إلى المسجد الحرام، وبدأ تشريع الأحكام، ففرض صيام رمضان، وصدقة الفطر، وشرعت صلاة العيدين، غير أن الحدث الأبرز فيها كان "غزوة بدر" فقد كانت الحدّ الفاصل بين الحق والباطل، وتسمع العرب بأنّ قريشاً وهي أعزّ حيّ في العرب قد انثلت رايتها، وكسرت شوكتها أمام المسلمين، ولم يكن هذا ليرضي غرور قريش وكبرياءها، وعادت الثكالي والأرامل من نساء قريش تبكي قتلاها السبعين، بقصائد الرثاء المثيرة، التي كتبها شعراء قريش في قتلى بدر، وأخذت قريش تعد العدة لمعركة جديدة. وكان رسول الله ﷺ يسعى جاهداً لتجنب اللقاء مع قريش، وسفك الدماء.

أمة الدعوة... أمة مستهدفة دوماً بمكائد الطاغوت  
ولا يعني انتصارها يوماً راحتها دوماً!..

وكانت غارته على بني قينقاع من أجل أن يدرأ ذلك، إذ بلغه أنهم يتحالفون مع قريش لحرب النبي عليه الصلاة والسلام، وظهر مكروهم وغدرهم عند اعتدائهم على المرأة المسلمة.

### قتل كعب بن الأشرف:

كان كعب بن الأشرف من كبار أثرياء يهود، وقد حضر إلى المدينة مرابياً مستغلاً ماكرأ، ولم يدخل مع النبي ﷺ في أيِّ حلف، ولم يخف كذلك بغضه وحربه على الإسلام، بل إنه مضى إلى قريش في مكة، يشجعها على غزو المدينة، ويعدها بالنصرة والمدد.

ولم يكن رسول الله بالذي يغفل عن مثل هذا المكر، فيفجأه العدو في عقر داره، بل أرسل ﷺ إلى كعب بن الأشرف محمد بن مسلمة وأبا نائلة وهو أخو كعب من الرضاع، فقتلاه في داره التي كان يحيك فيها المؤامرات؛ وبموت هذا الغادر الفاجر، انتهى خطر عظيم، كان يهدد المدينة بحرب كانت وشيكة الوقوع. .

قتل الأفعى الغادرة

قصاص للملدوغ ورحمة بالمعاني.

ولم يبق في المدينة بعد جلاء بني قينقاع ومقتل كعب إلا مسلم متبع، أو يهودي معاهد.

## سَرِيَّةُ الْقِرْدَةِ:

قامت قريش بتحويل طريق تجارتها عن جهة المدينة، وصارت القوافل تمرّ عبر طريق العراق في خفية وجبن، كما يفعل أي سارق بالمتاع المسروق، ولم يغفل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأرسل زيد بن حارثة في مائة فارس، فاستولوا على قافلة لهم، وهرب أبو سفيان وصفوان بن أمية، وكانت هذه أهم قافلة يستولي عليها المسلمون حتى ذلك الوقت، وسميت هذه السرية سرية القردة.

## غزوة أحد:

مضى عام كامل بعد بدر، وقريش لا يغمض لها جفن، ولا ترقد لها عين، وهي تعدّ العدة للانتقام من النبي ﷺ. .  
وفي أول شوال من السنة الثالثة خرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب، في ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها من الأحابيش، فكتب عمّ النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ يخبره بما صنعت قريش، ولم يكن العباس قد أظهر إسلامه بعد، .

كان للنبي ﷺ عيون في قريش يدلون إليه  
بأخبارها رغم وجود وحي السماء! . .  
"يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم"

فأرسل النبي ﷺ من يستطلع أخبار قريش، فأخبروه بمنزلهم في وادي أحد، وقدّروا له أعدادهم، فأمر النبي بحراسة المدينة.

القائد الحكيم لا يقدم على المواجهة إلا بعد  
دراية تامة بقوى العدو ووسائله.

ثم استشار أصحابه، فكان رأي أهل السنّ منهم عدم الخروج من المدينة، ورجب النبي ﷺ في ذلك، فأهل المدينة أعرف وأقدر على حمايتها وهم داخلها، لكن المتحمسين من شباب الصحابة، وعلى رأسهم حمزة ومن تحلّف عن بدر، ألحوا في الخروج لملاقاة المشركين، وقالوا يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا، وما زالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته من بعد صلاة الجمعة، ولبس لأتمته-لباس الحرب-فندم الناس على إخراجهم وإلحاحهم على رسول الله ﷺ، وقالوا: استكر هنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك، فلما خرج عليهم قالوا يا رسول الله: استكر هناك، ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك. فقال النبي ﷺ:

"ما كان لني إذا لبس لأتمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه."

القائد الحكيم لا ينصرف بغير صارف بعد إذ عزم  
"فإذا عزم فتوكل".

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا.

فخرج النبي ﷺ في ألف من أصحابه، وخلّف عبد الله بن أمّ مكتوم على المدينة، واستعرض النبي ﷺ الجيش، فردّ من كان منهم صغيراً دون الخامسة عشرة، فكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج، فقليل له: إنّ رافعاً يحسن الرماية فأجازته، فبكى سمرة وقال: أجاز رافعاً وردّني مع أبي أصرعه، فسمع بذلك رسول

الله ﷻ ، فأمرهما أن يتصارعا. فغلب سمرة رافعاً، فضحك رسول الله ﷺ وأجازهما معاً.

الرياضة والمهارات البدنية  
يجب أن توجه بعناية لخدمة قضية الدفاع عن الأمة.

وسار جيش المسلمين للقاء المشركين، فلما كانوا بين المدينة وأحد، انسحب عبد الله بن أبي سلول بثلاث الناس ساخطاً مرتاباً، وقال: أطاعهم وعصاني! . ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس. وكان قد اعترض على الخروج من أول الأمر، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، وكانوا قرابة الثلاثمائة.

المنافق المرتاب. . عقرب ماكرة  
يخذلك أحوج ما تكون إليه.

فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول لهم: يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونيبيكم عندما حضر من عدوهم... .

فاستعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم فقال: أبعدم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه.

وفيهم أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (1).

ثم إن الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله: ألا نستعين بجلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

(1) سورة آل عمران: 155 .

ومضى رسول الله ﷺ بالجيش، حتى نزل شعب أحد، وجعل ظهر الجيش إلى جبل أحد وقال: لا يقاتلنَّ أحد منكم حتى نأمركم بالقتال، وجعل خمسين من الرّماة على الجبل، ليحموا ظهور المسلمين، وأمرّ عليهم عبد الله بن جبير، وقال له: إن كانت لنا أو علينا فائتت مكانك، لا نؤتين من قبلك. . وأمسك النبي ﷺ بسيف فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام أبو دجانة قائلاً: وما حقه يا رسول الله؟. . قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فأخذه أبو دجانة وعصب رأسه بعصابة حمراء، هي عصابة الموت.

ومشى يتبختر بين صفوف المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إنها مشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموقف.

القائد الحكيم يستخدم كل الوسائل المتاحة  
التبختر والشموخ لون من ألوان الحرب النفسية.

وابتدا القتال بالمبارزة، وقتل عدد من المشركين في هذه المبارزة، ثم خرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر وطلب المبارزة، فأراد المشركون على جيش المسلمين فما ازدادوا إلاّ تقهقراً وتراجعاً، والمسلمون ينضحونهم بالنبل.

### مقتل حمزة:

-وفي غمار المعركة كمن وحشي بن حرب، (وهو عبد حبشيّ لجبير بن مطعم) خلف ساتر متربحاً حمزة بن عبد المطلب، وكان جبير بن مطعم قد وعده أن يعتقه إن قتل حمزة، فظلّ يترصده حتى رماه بحرته، وهو يصول ويجول، فوقع حمزة شهيداً.

أعلام الدعوة الإسلامية دائماً مستهدفون .  
وتوفير أمنهم وسلامتهم واجب إسلامي .

وقتل حملة لواء المشركين، فسارع المسلمون إليهم يقتلونها ويجمعون الغنائم  
منشغلين بها عن أوامر النبي ﷺ ، ورأى الرماة أن النصر قد حالف المؤمنين،  
فترآكض بعضهم لجمع الغنائم، فذكرهم أميرهم عبد الله بن جبير بأوامر رسول الله  
ﷺ ، لكنهم تناسوا الأوامر وأولوها، وقالوا: إنَّ المعركة قد انتهت، وتركوا الجبل .

التأويل أول التضليل  
والتهاون في طاعة القيادة كان هو الباب  
الذي دخلت منه النكبة .

فما بقي منهم إلاّ عدد قليل ومعهم أميرهم، ولما رأى خالد بن الوليد ذلك،  
وكان أميراً على خيول المشركين، التفتّ حول المسلمين وباغت الرماة من خلفهم،  
وانهال على المسلمين بالسهام، ورفعت راية المشركين، فعاد المشركون وتجمّعوا وكرّوا  
على المسلمين وهم يجمعون الغنائم. فتراجع المسلمون وترك بعضهم ميدان المعركة،  
وتوجهوا إلى المدينة، فما ردّهم إلى المعركة إلاّ حياؤهم، وأقبل ابن قمئة على مصعب  
بن عمير وبيده لواء المسلمين فضربه بسيفه فقطع يده اليمنى، فحمله مصعب  
بيسراه، وهو يقول: "وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل . " فضربه ابن  
قمئة فقطع يده اليسرى، فاحتضن اللواء بعضديه، ثم ضربه الثالثة، فكتبت له  
الشهادة في سبيل الله، وكان مصعب شبيهاً برسول الله ﷺ ، وفيه نزل قول الله عزّ



وجل: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (1).

وطار الخبر في الناس أن محمداً ﷺ قد قتل، فاضطرب الناس وقالوا: علام نقاتل إذا كان محمد قد قتل؟.

وفيهم أنزل الله عز وجل: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (1).

ومرّ أنس بن النضر أمام رجال من الصحابة وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم، قالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال لهم: فماذا تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ!!.. .

الإسلام خالد خلود الدهر لا  
ينتهي مجده بموت رجاله الدعاة  
يموتون والدعاة باقية

ثم قام فقاتل حتى قتل به سبعون ضربة، فما عرفه إلا أخته.  
وثبت رسول الله ﷺ في ساحة المعركة، وثبت معه عددٌ من الصحابة وأبلوا أشدَّ البلاء، فوقف أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ يردُّ عنه سهام المشركين وضرباتهم، ويقول: وجهي لوجهك فداء، وكان كلما التفت النبي ﷺ قال لخ بو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تنظر يصيبك سهم القوم، نحري دون نحرك، وثبت أبو

(1) سورة الأحزاب: 23 .

(1) سورة آل عمران: 153 .

دجانة وجعلَ ظَهْرَهُ ترساً لرسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يقول: ما التفت يمينةً ولا يسرةً إلا ورأيتُ أمَّ عمارةٍ تقاتل دوبي!.

سلامة الرسول سلامة الرسالة .  
المؤمن الحق . . يقدم روحه رخيصة حين  
تكون سبباً لسلامة الرسالة

وأقبل أبي بن خلف يريد قتل رسول الله ﷺ، فضربَهُ النبي ﷺ بحرته فجرحه، فارتدَّ إلى قومه صارخاً: قتلي محمد، وما زال جرحه ينزف حتى قتله، وكان يقول وهو في سكرات الموت: لو بصق علي محمد لقتلني، فكان أبي هو الوحيد الذي قتله رسول الله ﷺ بيده.

وتحمّل النبي ﷺ الكثير الكثير في هذه الغزوة، فوقع في حفرة حفرها له أبو عامر الراهب وغطَّها، فأغمي عليه وخدشت ركبته وشج وجهه، ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجرٍ فكسرت رباعيته (بعض أسنانه)، فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله، وضربه ابن قمئة فدخلت حلقات المغفر في وجنتيه الشريفتين فنزعها أبو عبيدة بأسنانه لئلا يؤلم رسول الله ﷺ، حتى كُسِرَتْ ثنيتا أبي عبيدة وسال الدم من وجه النبي ﷺ.

ليس أحد في الإسلام في برج العاج . . وثواب  
كل مؤمن . . بقدر ما يصيبه في سبيل الله.

فجعل يمسحُ الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله تعالى عليه:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} (1).

قيّم دعوة المرحمة. .

قائمة حتى في ساعة تطاير الأعناق.

ثم ضمّدت فاطمة وعلي جراح رسول الله ﷺ وهو لا يزال يرقب المشركين ويوجه المعركة.

وانتهت هذه الجولة من أحد، بعد دَرَسٍ مرير للمسلمين ذاقوا فيه أشدّ البلاء من المشركين وقتل من المسلمين بضع وسبعون رجلاً، ستة من المهاجرين، والباقيون من الأنصار.

وكان في القتلى حنظلة بن أبي عامر، وكان قد خرج لَيْلَةَ عرسه بعد أن سمع المنادي يقول: يا خيل الله اركبي، وكان جنباً فاستشهد، فقال فيه النبي ﷺ: إنّ صاحبكم لتغسله الملائكة، واستشهد عمرو بن الجموح، وهو رجلٌ شديد العرج، منعه أولاده من الخروج فاشتكى لرسول الله ﷺ وقال: إنّ بنيّ يريدون أن يجبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فو الله إني لأرجو أن أطأ الجنة بعرجتي هذه، فأذن له رسول الله ﷺ بالجهاد فقاتل حتى قتل.

اليقين بالآخرة. .

جمع بين العروس الآمل والعجوز الآفل على

مركب الشهادة! . .

واستشهد كذلك سعد بن الربيع، وكان من خبره أن النبي ﷺ قال بعد المعركة: من رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فإني رأيت

(1) سورة آل عمران: 128 .

الأسنة قد أشرعت إليه، فقال أبي بن كعب أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. فقال له النبي ﷺ: إن رأيتُه فأقرته مّي السلام، وقُلْ له: يقول لك رسول الله كيف تجدك؟، فبحث أبي عنه فوجده جريحاً وبه رمق فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أقرتك السلام وأن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال سعد: أنا في الأموات، وأبلغ رسول الله عني السلام وقُلْ له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقُلْ لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذر لكم. . عند الله إن خُلص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تطرف، ثم عاد سعد يقول: أقرأ على قومي مّي السلام، وقُلْ لهم، يقول لكم سعد بن الربيع: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فو الله ما لكم عند الله عُدْرٌ، لا عذر لكم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وفيكم أحدٌ حي، وما هي إلا لحظات حتى خرجت روجه الطاهرة.

الداعية الحق . .

لا ينسى رسالته حتى وهو يعالج سكرات الموت.

وأبلغ أبي رسالة أخيه الشهيد إلى النبي ﷺ، فتأثر بها رسول الله ﷺ وقال: "رحمه الله، لقد نصح الله ولرسوله حياً وميتاً". وقتل عبد الله بن جحش، وكان قد قال قَبْلَ المعركة:

اللهم إني أقسم عليك أن نلقى العدو غداً فيقتلونني ويقتلون بطني ويمثلون بي، فألقاك مقتولاً قد صنِعَ هذا بي، فتقول: فيم صنع بك هذا؟، فأقول: فيك، وفي سبيلك. فقاتل حتى قتل، ووجد وقد صنع به الأعداء ما تمّتي، ومثل المشركون بالكثير من الشهداء، ومثلت هندُ زوجةُ أبي سفيان بحمزة بن عبد المطلب فبقرت

بطنه، وأخرجت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها، ونزل رسول الله ﷺ إلى مكان المعركة لينظر القتلى من أصحابه، فلما رأى عمه حمزة، حزن حزناً شديداً وقال: ما وقفتُ موقفاً أعيظُ إليّ من هذا الموقف. .

ونظر إلى مصعب بن عمير وهو صريع في برده، وكانوا إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطوا رجله بدا رأسه، فقال النبي ﷺ:

لقد رأيتك بمكة وما بها أحدٌ أرقّ حلّة، وأحسن لمّة منك، ثم أنت أشعث الرأس في بردة! ثم نظر إلى القتلى جميعاً فقال: أنا شهيد على هؤلاء؛ إنه ما من جريحٍ يرح في الله إلاّ ويبعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه، اللّون لون دم، والريح ريح مسك! وأمر أن يدفن القتلى في ثيابهم حيث استشهدوا دون الصلاة عليهم- وهذا حكم الشهيد وقال: لقوهم بدمائهم وجراحهم، وانظروا أكثرهم جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر.

حامل القرآن مكرّم في الدنيا والآخرة  
"أشرف أمتي حملة القرآن"

فكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، لما كانوا فيه من الإعياء والضعف.

وأنزل الله في شهداء أحد: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقونَ فَرحينَ بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبشرونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبشرونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهُ لَا يُضيعُ أَجرَ الْمُؤْمِنينَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَالرَّسولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمُ وَاتَّقُوا أَجرَ عَظيمِ الَّذِينَ قالَ هُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {1}.

ثم توجه النبي ﷺ مع المسلمين إلى المدينة وأكثرهم جرحى، ولما وصلوا المدينة، كان نساؤها يبكين قتلاهن، فلما رأى النبي ﷺ نسين قتلاهن فرحاً بسلامة النبي ﷺ، حتى أن امرأة من بني جينار، استشهد زوجها وأخوها وأبوها فلما نُعوا إليها قالت فما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالوا: خيراً هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أروني حتى أنظر إليه فأشير لها إليه، فلما رآته قالت: كل مصيبة بعدك جللٌ (تعني صغيرة) يا رسول الله.

المرأة في الإسلام  
صارت نوعاً نادراً من العمالة  
لا تزحزحها مصائب الدنيا عن خيارها العقائدي

وعزى النبي ﷺ أهل القتلى ويشرهم بالجنة، فكان هذا أحسن عزاء لهم، ثم أصر النبي ﷺ على الجرحى أن يتركوه ويركنوا إلى بيوتهم ليداووا جراحهم، ومضى النبي ﷺ إلى بيته، وما نزل عن فرسه إلا حملاً، ومشى يتحامل بين سعد بن عباد وسعد بن معاذ حتى دَخَلَ بيته، فلما أذن بلال المغرب خرج وهو يتحامل أيضاً، فصلّى في المسجد ثم عاد إلى بيته.

(1) سورة آل عمران: 196-174 .

## غزوة حمراء الأسد:

مضى يوم السبت الخامس عشر من شوال، الذي حدثت فيه غزوة أحد، وبات المسلمون ليلة الأحد في المدينة، وعند الصباح أمر النبي ﷺ الناس بالخروج للحاق بالعدو، وأذن مؤذنه ألا يخرجنَّ معنا أحد، إلا من حضر بالأمس. وكان ذلك تثبيتاً عظيماً لقلوب المؤمنين، بعد يوم المحنة المرير.

نفوس الدعاة العظيمة غير قابلة للهزيمة. .  
قد تقع الهزيمة في المتاع والبدن. .  
أما إرادة الدعاة فلا يصيبها قرح ولا وهن.

وما كان للنبي ﷺ أن يرضى لأصحابه أن يساموا على خسف أو يقيموا على ضيم، سيما وقد بلغه أن أبا سفيان قد عقد العزم على الكفر على المدينة، واستغلال تبعات يوم الأمس في تحقيق نصرٍ ساحقٍ، ينهي به دولة الإسلام. وقام منادي النبي ﷺ فنادى في الناس: أن أوجفوا خيل الله، ولا يقدمنَّ فيها إلا من شهد غزاة الأمس، وما إن سمع المسلمون نداء رسول الله ﷺ، حتى تسارعوا إلى أسلحتهم، وتوافدوا إلى المسجد لم يتخلف عن رسول الله ﷺ صحيحٌ ولا جريحٌ، حتى أن عبد الله ورافع ابنا سهم الأنصاريان، كانا قد رجعا من أحد وبهما جراحٌ كثيرة، فخرجا يزحفان ليلحقا برسول الله ﷺ، وضعف رافع عن المتابعة فجعل أخوه عبد الله يحمله مسافةً حتى يستريح ثم يتركه يمشي مسافةً ثم يحمله حتى لحقا برسول الله ﷺ.

وندم الكثير على تخلفهم عن رسول الله ﷺ في أحد، وجاؤوا يعتذرون ويريدون الخروج، لكنّه ﷺ لم يقبل أحداً منهم إلاّ جابر بن عبد الله لشديد عذره، فكان هذا مكافأةً لأصحابه الذين شهدوا أحداً وإكراماً لهم.

ومضى رسول الله ﷺ بجيشٍ جريحٍ لم يعرف التاريخ له مثيلاً، ووصل إلى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة.

أَيكون كل هذا الجهاد طمعاً في غنيمة الخيل والإبل؟؟ .  
بأي قلم أثم يكتب المستشرقون تاريخ النبوة!؟؟ .

وأقام النبي ﷺ فيها ثلاثة أيام، قبالة معسكر المشركين، وكان يأمر أصحابه بالنهار، فيجمعون الأحطاب ثم يوقد كل واحدٍ منهم ناراً بالليل، فكانت النيران ترى من بعد وكأنها نيران جيشٍ من ألوفٍ مؤلّفة، فتسامع الناس بها، وبلغ ذلك أبا سفيان فدبّ الرعب في قلبه، وجاءه معبد الخزاعي حليف المسلمين، وأخذ يهوّل له جيش المسلمين، ويذكر له عددهم وكثرتهم، ويخوّفه منهم حتى انسحب أبو سفيان بجيشه إلى مكة راضياً بالسلامة والنجاة، حيث آثر أن يرجع بنصفٍ نصرٍ على أن يرجع بهزيمة كاملة.

رب حيلة أغنت عن قبيلة...  
للحرب النفسية والإعلامية دور في صناعة المواقف.

ونظر المسلمون إلى أعقاب قريش وهي تولّي نصف خائبة، نصف راجحة، فعادت إلى نفوسهم إشراقاً الأمل، وانطلقوا بينون دولة الحق من جديد.

ونزل يوم أحد سبعون آيةً من سورة آل عمران في درس هذه الغزوة وأسبابها ونتائجها.



{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوتَهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (1).

### سرايا عقب أحد:

في أعقاب غزوة أحد أخذت قريش تنشر الإشاعات بين العرب أنها حطمت دولة الإسلام، وأتھا على وشك القضاء عليها، فطمعت قبائل العرب بالمسلمين وأخذوا يعدّون للإغارة على المدينة، فأرسل النبي ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد في مائة وخمسين من أصحابه إلى بني أسد فباغتهم وشتت شملهم، وعاد إلى المدينة

(1) سورة آل عمران: 138-148 .

غانمًا، ثمَّ بلغ رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع الرجال من شتى القبائل ليغير على المدينة، فأرسل إليه عبد الله بن أنيس يقتله، فاحتال عليه عبد الله وقتله متلافياً بقتله الفتنة التي كان خالد بن سفيان يدبرها ويعدّها لها .

## السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لِلْهِجْرَةِ "16 بَعْدَ الْبَعْثَةِ"

### حوادث السنة الرابعة للهجرة :

- 1- إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد يوم أحد .
- 2- إرسال الدعاة ومأساة يوم الرجيع .
- 3- الغدر بالقراء الدعاة يوم بئر معونة .
- 4- إجلاء جرثومة الغدر "بني النضير" من المدينة .
- 5- تحريم الخمر بشكل نهائي .
- 6- غزوة ذات الرقاع .
- 7- استئناف إرسال سرايا الدعاة .

-مضت غزوة بدر بما قتل فيها من المشركين، ودبّ الرعب في قلوب العرب من المسلمين، ولم يجرؤ أحد على الاعتداء عليهم، إلى أن جاءت غزوة أحد بنكبتها على المسلمين، فطمعت بهم القبائل، وحرضتهم على ذلك قريش، علّها تحظى برجالٍ من المسلمين يثأرون بهم لقتلاهم في بدر، لكنّ رسول الله ﷺ لم يغفل عن هذه التحركات، فأرسل من يسكتها منذ بدايتها، فأرسل سرية أبي سلمة لبني أسد، وأرسل عبد الله بن أنيس فقتل خالد بن سفيان من بني هذيل .

وكان حريصاً أن يقطع أسباب المواجهة مع قريش، وكانوا كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها بنور الحكمة .

ولكن شياطين قريش كانوا يبيّتون الشرّ والأذى، والله يكتب ما يبيّتون،

وردّ العقارب عن لسعها تكليف ما ليس في وسعها .  
ودّبرت قريش مع بعض قبائل العرب مذبحه يوم الرّجيع .

## يوم الرّجيع :

في شهر صفر قدم على رسول الله ﷺ وفدٌ من قبيلتي عضل والقارة، فقالوا يا رسول الله: إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرأً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ سنة من أصحابه، وأمر عليهم عاصم بن ثابت.

الدعاة يرحلون إلى الناس في بلادهم النائبة...  
ليوصلوا إليهم كلمة الله .

فلما كانوا عند ماء الرجيع، قريباً من بني هذيل، هاجمهم مائتا رجلٍ منهم، فقاتل الصحابة حتى قتل أربعة منهم وبقي خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فساقوهما إلى مكة وباعوهما هناك فاشترى خبيباً عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، واشترى زيدا صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فجسأهما حتى انقضت الأشهر الحرم، ولما قدّم زيد بن الدثنة ليقتل، قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد، أتحبُّ أن محمداً الآن في مكة فنضرب عنقه... وأنتك في أهلِكَ؟ فقال زيد: والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي!! .

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمّداً،

علاقة المسلمين بمربيهم وإمامهم. .  
ليست علاقة الطاعة والامتثال فحسب. .  
إنها في أعماقها أقوى علاقات الحب!. .

ولحق زيد بركب الشهداء، أما خبيب فقد جمعوا له أبناء من قتل بدر، ولما هموا أن يضعوه على الصليب ليقتلوه استأذنهم أن يصلي ركعتين فأذنوا له، فركع ركعتين.

فكان أوّل من سنَّ صلاة الموت، ثم قال لهم: أما والله لولا أن تظنّوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة!. .

المؤمن الحق... لا ينسى الله .  
حتى وهو في طريقه إلى خشبة الصلب .

ولما وضعوه على الصليب قال: "اللهم إنّنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا"، ثم نظر إلى القوم وقال: "اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً"، ففزع القوم من دعوته وقتلوه وهو يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع  
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع  
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي

## يوم بئر معونة (سريّة القراء) :

وفي هذا الشهر نفسه (صفر) قدم المدينة أبو براء عامر بن مالك، وكان يسمّى ملاعب الأسنة، وهو سيّد من سادات العرب المشهورين فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام، وقال لرسول الله ﷺ: لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: أخشى عليهم أهل نجد، فقال عامر: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا إلى أمرك. .

قد يسير موكب الرسالة في جوار مشرك حينما تقتضي الحكمة...

على أن تبقى المبادئ سليمة من هوى الآخرين .

وكان عامر بن مالك يريد بذلك أن يسلم قومه قبله فيدخل معهم في الإسلام. . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيرة أصحابه، يسمّون بالقراء، لكثرة ما يحفظون من القرآن، .

سلاح الدعاة. . العلم والقرآن

والداعية بلا علم. . واعظ فارغ

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل وكان رئيس بني عامر، وكانت منازلهم حول بئر معونة، فلما قرأ كتاب النبي ﷺ غضب أشدّ الغضب، وقتل حامل الكتاب حرام بن ملحان، ثم طلب من بني عامر أن يخرجوا للتعرض لوفد المسلمين، فرفضوا أن ينقضوا (يخفروا) ذمّة أبي براء (عامر بن مالك)، فاستصرخ عليهم بعض القبائل فأجابوه وخرجوا،

فأحاطوا بوفد المسلمين، فما كان من المسلمين إلا أن قاتلوا على قلة عددهم وسلاحهم، فهم لم يخرجوا لقتال، وإنما خرجوا دعاءً لتبليغ رسالة الله، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد، فإنه جرح وظنوا أنهم قد أجهزوا عليه فتركوه، وعمرو بن أمية الضمري كان قد ذهب في حاجة وفد المسلمين فنجا من القتل .  
ولما علم النبي ﷺ بذلك حزن أشدَّ الحزن على شهداء الرجيع ومعونة ومكث شهراً كاملاً يدعو في صلاته على الفئة الغادرة من عُضل والقارة .

### غزوة بني النضير: (ربيع الأول)

كان يوم أحد مطمئناً لكلّ خصوم الإسلام، فأظهروا بعده ما كانوا يضمرونه من العداوة والخيانة للنبي ﷺ وأصحابه، وهام بنو النضير الذين كان رسول الله ﷺ قد عاهدهم عند دخوله للمدينة قد بدأت تتكشف منهم نوايا كانت دفينّة في نفوسهم، فأراد النبي ﷺ أن يختبرهم، فجاءهم ليستعين بهم على دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ في حادثة بئر معونة، وكان في عقد المعاهدة فيما بينهم وبين النبي ﷺ ، أن يعينوا في حمل الدّيات، فلما دخل عليهم وذكر لهم ما جاء من أجله، وكان معه كبار الصحابة، جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، فتسارّ اليهود فيما بينهم: إنكم لن تجدوا محمداً على مثل حاله هذه، فمن رجل منكم يقوم على سطح الدّار فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقام رجل منهم اسمه عمرو بن جحّاش، وصعد ليلقي الصّخرة، وأوشك اليهود على إنفاذ مكيدتهم ورأى رسول الله ﷺ الريبة في التفاتهم وحركاتهم، وأعلم الله نبيه

الكريم بالخطر المدبّر له فنهض عجباً من جوار البيت الذي اضطجع إلى جداره،  
وقفل راجعاً إلى المدينة .

المؤمن طيب القلب... لكنه شديد الحذر لا هو  
بالخبّ الماكر... ولا هو بالساذج الغافل .

وشعر أصحاب النبي ﷺ بمغيبه، فقاموا في طلبه، فإذا رجل مقبل من المدينة  
يخبرهم أنّه رآه يدخلها، فأسرعوا يلحقون به، فلما انتهوا إليه، أخبرهم بما كادت له  
يهود .

عندئذٍ لم يكن هناك بدٌّ من إجلالهم، بعد أن نقضوا عهدهم في حمل الدّيات  
وهّموا بالعدو والاعتقال، فأرسل إليهم ﷺ يأمرهم بالخروج من المدينة نتيجة غدرهم،  
وكانوا قد توقعوا ذلك، فهّموا بالخروج لولا أن المنافقين أرسلوا إليهم يشجعونهم على  
البقاء وعدم الانصياع لأمر النبي ﷺ ، وقال لهم عبد الله بن أسلول رأس  
المنافقين: لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولئن قوتلتم لننصرنّكم، وبالفعل فقد أرسل  
زعيم بني النضير حبيّ بن أخطب إلى النبي ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما  
بدا لك، فسار النبي ﷺ بأصحابه في مطلع ربيع الأول فحاصروهم في بيوتهم، فلبثوا  
ينتظرون نصرة المنافقين، ثم ظهر لهم تخليّ المنافقين عن نصرتهم، وفيهم نزل قول الله  
عزّ وجلّ :

{لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصروهم ولئن نصروهم ليولنّ  
الأذبار ثم لا ينصرون} (1)

(1) سورة الحشر: 12 .



فنزّلوا تحت حكم النبي ﷺ بالجللاء، على أن لهم ما حملته إبلهم إلاّ السّلاح، وجعل الواحد فيهم يخرّب بيته قبل أن يخرج منه، كيلا ينتفع به المسلمون من بعدهم! .

وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ سورة الحشر :

{ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } (2) .

الإسلام حرب على الاستعمار(3)...

يهود بني النضير كانوا صورة المستعمر الغاشم في المدينة المنورة وكان إجلاؤهم عنها أول نضال رابح في مقارعة الاستعمار .

-ولما غنم النبي ﷺ من بني النضير، بعث إلى الأنصار فجمعهم، فحمد الله

وأثنى عليه، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإيثارهم لهم ثم قال :

. إن أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بني النضير،

وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكن في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتهم

أعطيتهم وخرجوا من دوركم. فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ (سيّد الأنصار):

بل نقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا...

ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله، فقالوا رسول الله ﷺ: "اللهم ارحم

الأنصار وأبناء الأنصار" .

ينادي المصلحون اليوم بالاشتراكية

على أنّها أعظم مكاسب النضال الاجتماعي

(2) سورة الحشر: 2 .

(3) المراد بلفظ "الاستعمار" المعنى العربي، وليس المعنى اللغوي .

والإسلام ما وقف عند الاشتراكية بل تخطاها إلى طوعية الإيثار  
الاشتراكية: أن نتقاسم الرغيف بقوة القانون،  
وعين كل منّا في نصيب صاحبه! .

والإيثار أن أمنحك رغيفي

وأبيت طاوياً راضياً . وأنت لا تعلم! .

### تحريم الخمر:

وفي هذه السنة أنزل الله تحريم الخمر، وقد جرى تحريمها على مراحل، وسبب ذلك أن العرب اعتادوا الخمر حتى استغنى بها بعضهم عن الشراب، فلم يكن إقلاعهم عنها ميسوراً، فنزل أولاً في مكة قوله عز وجل: { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا }<sup>(1)</sup>. وهي تشير إلى أن الخمر ليست بالرزق الحسن. ثم نزل قوله عز وجل: { ... يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا }<sup>(2)</sup>، فقال عمر بن الخطاب:

<sup>(1)</sup> سورة النخل: 67 .

<sup>(2)</sup> سورة البقرة: 219 .

اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. ثم نزل قوله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } (1) .

وهي تفيد تحريم شرب الخمر قبل الصلاة، وبهذا فقد قلّ شرب الخمر، وامتنع كثير من الصحابة عنها نهائياً، ثم نزل التحريم القاطع في قوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } (2) .

فلما سمعها المسلمون قالوا: انتهينا وألقوا بالأقداح من أيديهم، وكسروا الدنان حتى سالت أزرقة المدينة بالخمير، .

الدعوة: حكمة وموعظة حسنة .

براعة الدعاة في إدخال صوت الهدى

إلى سلوك الناس وقلوبهم .

وهكذا ترى أن الخمر رغم استقباحه عقلاً وشرعاً، إلا أنه تأخر في تحريمه النهائي، حتى وقر الإيمان في القلب، وصارت النفوس مهياًة لاستقبال أوامر الله . -  
وصار الصحابة يتساءلون في حكم من مات منهم . قبل نزول التحريم، وأشفقوا أن يصيبهم العذاب بما شربوا فأنزل الله عز وجل:

(1) سورة النساء: 43 .

(2) سورة المائدة: 90 .

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (3) .

### غزوة ذات الرِّقَاع:

وفي جمادى الأولى من هذه السنة، خرج رسول الله ﷺ ومعه 700 مقاتل إلى نجد، بعد أن بلغه أنّ بني محارب وبني ثعلبة يعدّون لقتاله، ولما علموا بمقدمه فروا وتفرقوا، لكنهم كانوا يعدّون للغدر، وكان الناس في خوف وحذر، فشرّعت صلاة الخوف، وصلاها رسول الله ﷺ إماماً بالناس، وفي إحدى الليالي نزل رسول الله ﷺ منزلاً يبيت فيه، فطلب رجلاً يحرس جيش المسلمين، فقام عمّار بن ياسر وعبّاد بن بشر، وتقاسما الليل، فنام عمار بن ياسر النصف الأول من الليل، وقام عبّاد يصلي، فبصر به رصد المشركين فرموه بسهم فأصابه في رجله فنزعه وتابع صلاته ثم رماه بآخر فنزعه وتابع صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد ثم أيقظ صاحبه فقال: اجلس فقد أصبت، فنظر عمّار فإذا بإصابته تعجزه عن القيام، فقال عمّار: سبحان الله أفلا أيقظتني أوّل ما رماك، فقال عبّاد: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أتمّها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطعت قبل أن أقطعها أو أنفذها!! .

الإيمان في حياة الدعوة سلوك والتزام .  
قبل أن يكون دعوة ورسالة .

(3) سورة المائدة: 92 .

وفي هذه الغزوة نزل رسول الله ﷺ في ظلّ شجرةٍ وعلّق عليها سيفه ونام تحتها، فتسلل رجل من بني محارب اسمه غورث بن الحارث، وأمسك سيف رسول الله ﷺ ، فانتبه النبي ﷺ من نومه فإذا بالرجل قائم عند رأسه والسيف بيده، فقال غورث: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال ﷺ: الله!! .

المؤمن . . عظيم اليقين بالله  
لا يشغله ذهول المفاجآت .  
عمن هو حاضر في قلبه .

فسقط السيّف من يده. فأخذ النبي ﷺ وقال له: من يمنعك مني؟. فقال الرجل: كن خير آخذ، فعفا عنه النبي ﷺ .

### غزوة بدر الآخرة:

وفي شعبان من هذه السنّة خرج النبي ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان لهم بعد انصرافه في أحد، فأقام ثمان ليالٍ ينتظر أبا سفيان، لكنّ أبا سفيان-بعد أن خرج بجيش قريش حاف وانسحب قبل أن يصل إلى بدر، وجعل يعتذر بأنّ العام جدبٌ، والمعركة تحتاج إلى عام خصيب، فكانت وصمة العار التي لحقت بقريش في هذه الغزوة أعظم من السمعة التي بلغت في أحد، حتى سمّي جيشهم بين العرب جيش السُّويق، وصاروا يسخرون منهم ويقولون: إنّما خرجتم تشربون السُّويق، أمّا المسلمون فقد باعوا واشتروا وتاجروا وربحوا وربحاً عظيماً، .

القيادة الحكيمة تفيد من كل الظروف  
"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير  
وليس ذلك إلا للمؤمن"

وأنزل الله:

{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ} (1) .

---

(1) سورة آل عمران: 174 .

## السَّنَةُ الْخَامِسَةُ لِلْهِجْرَةِ "17 بَعْدَ الْبَعْثَةِ"

### حوادث السنة الخامسة للهجرة :

- 1- اشتداد النفاق وتفاقمه.
  - 2- دخول بني المصطلق في الإسلام عقب زواج رسول الله ﷺ بجويرية بنت الحارث .
  - 3- نزول سورة المنافقين في فضح النفاق في المدينة عقب محاولة فاشلة من المنافقين للإيقاع بين المهاجرين والأنصار .
  - 4- حديث الإفك ونزول سورة النور في براءة عائشة .
  - 5- غزوة الأحزاب (الحنديق) .
  - 6- قتل بني قريظة آخر جرثومة غدر في المدينة .
  - 7- وفاة سعد بن معاذ .
- دخلت السنة القاسية، والنبي ﷺ يرسل دعواته في الآفاق لنشر الدعوة في القبائل، وهي سنة محن وشدائد، تكشف فيها للنبي ﷺ طوايا دفينه من الحقد الأسود المر، بعد ما ظهر أن مصالح المستغلين والمستكبرين تجري في هوى قريش .

### اشتداد النفاق :

النفاق مرض اجتماعي خبيث يصيب الجبناء من أهل الباطل، حين يجبنون عن مقارعة الحق ومواجهته، وتغلبهم أهواؤهم، فلا يدخلون في الحق عن قناعة ويقين. وقد ظهر النفاق في المدينة مع قيام دولة الإسلام فيها، من الذين تضررت مصالحهم وأنانيتهم بالإسلام من أمثال عبد الله بن أبي، الذي كان حين مجيء

رسول الله ﷺ إلى المدينة، يستعد ليتوج ملكاً على المدينة، فكان يرى أن النبي ﷺ قد سلبه ملكه، ونزع عنه تاجه، ووجد نفسه معزولاً بين قومه الذين التفوا حول رسول الله ﷺ بقلوبهم وأرواحهم، . .

النفاق . . نتيجة لازمة للحسد :  
كل العداوات قد ترجى إزالته  
إلا عداوة من عاداك بالحسد.

فدخل فيما دخل الناس فيه، رجاء أن يسترد ما فاته من ملك ومجد، ومن داخل الجماعة المسلمة جعل يطعن من الخلف، ويتواطؤ مع قبائل اليهود، ويتصل بفريش وبالأعراب، ويغريهم بحرب النبي ﷺ ويشيع الأكاذيب والفتن داخل المجتمع الإسلامي، وظهر ذلك أشد ما ظهر يوم المصطلق، وذلك في حادثتين اثنتين: على ماء المريسيع، وحادثة الإفك .

### يوم المصطلق: (شعبان).

- كان بنو المصطلق من خزاعة، لا يخفون عداوتهم للنبي ﷺ وللمسلمين ممن معه، ومنذ أن وقع ما وقع يوم أحد وهم يتهيئون للإغارة على المدينة، وفي شهر شعبان من هذه السنة، بلغ النبي ﷺ أن بني المصطلق قد جمعوا جمعاً عظيماً، وهم يستعدون للإغارة على المدينة، تحت قيادة زعيمهم المطاع الحارث بن أبي ضرار، فبادر رسول الله بالخروج إليهم دفاعاً عن بلاد المسلمين من قبل أن يغزوهم في عقر دارهم، فإنه ما غزي قوم في دارهم إلا ذلوا. فقاتلهم رسول الله ﷺ في عقر دارهم



عند ماء اسمه "المريسيع"، ونصره الله عزّ وجلّ ومكّنه منهم، فأسر من أسر، وارتد الباكون على أعقابهم، وقسم النبي ﷺ السبايا من النساء على المسلمين .

-وانقلب المسلمون يوم المصطلق، والأسارى في أيديهم، وغالبهم ممن خرجوا في هوى "الحارث بن أبي ضرار" لا أرب لهم في حرب الإسلام إلاّ طاعة أسيادهم، فخطب رسول الله ﷺ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: أصهار رسول الله . لا ينبغي لنا أن نمسكهم في أيدينا، فأرسلوا مَنْ كَانَ في أيديهم من الأسارى والسبايا، وقال النَّاسُ: لا نعلم امرأةً كانت أعظم بركة على قومها من "جويرية"، وتتابع قومها بعدئذٍ في الدخول في الإسلام .

كانت كل مصاهرات النبي ﷺ بركةً وخيراً  
عادت على الأمة بالخير العميم .

### عَلَى مَاءِ الْمُرَيْسِيْعِ:

-بينما كان الصّحابة على ماء المريسيع يشربون عقب يشربون عقب غزوة المصطلق، تزاحم على الماء أجيزٌ لعمر بن الخطاب واسمه جهجاه بن مسعود، وسنان بن وبر الأنصاري، وتلامسَ الرجلان، وهمَّ كُلُّ بِصاحبه، فنادى الأنصاريُّ يا معشر الأنصار، ونادى المهاجريُّ يا معشر المهاجرين .

وكانت تربية رسول الله ﷺ قد نزعت من نفوس الناس عصبية الجاهلية، فلم يستجب أحدٌ من الصحابة لهذا النداء الجاهلي إلاّ النداء الجاهلي إلاّ القلائل من

الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم، ففصل بينهم رسول الله ﷺ وقال: دعوا هذه الكلمة فإنها منتنة، وحكم بين الرجلين، ورضي الجميع ومضى كلٌّ لشأنه .

أمراض الجاهلية. . قد تعود للظهور  
وواجب الدعاة أن يكونوا لها بالمرصاد .

عَيْرٌ أَنْ أفعى النفاق عبد الله بن أبي بن سلول استغل ذلك وقال في جمع من الناس: "أوقد فعلوها، كاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: (أي إن مثلنا ومثل صعاليك قريش) سَمَنَ كَلْبَكَ يَا كَلْبَكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبلَ على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بردكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل" ثم مشى كالأفعى ينفث سمّه في النَّاسِ .

### لسان الحاسد فاجر خبيث

لا يفر به إلا حلم الدعاة وطول  
أنفاسهم .

وبلغ هذا الكلام رسول الله ﷺ وثار أصحابه من حوله، وطلب عمر بن الخطاب أن يأمر بقتل المنافق، فقال رسول الله 001: فكيف يا عمر إذا تحدّث النَّاسُ أن محمّداً يقتل أصحابه، لا ولكن، أذن بالرحيل، فأذن بالرحيل، وتشاغل

النَّاسِ بِالرَّحِيلِ وَالسَّفَرِ عَنِ الْخَوْضِ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَهَذَا الرَّحِيلُ الْمَفَاجِئُ هَدًّا النَّبِيِّ ﷺ نَائِرَةُ الْفِتْنَةِ .

وجاء بعبد الله بن أبيّ، فسأله أمام أصحابه، فحلف بالله ما قال ولا سمع بما نقل إلى رسول الله ﷺ، واكتفى رسول الله ﷺ منه بهذا، فقد ظهر كذبه وتفرّق عنه أصحابه الذين رأوا بأعينهم كذبة وجنبه ونفاقه .

وجاء أسيد بن حضير إلى رسول الله فقال: يا بنيّ الله، والله لقد رحمت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟، قال: وأي صاحب يا رسول الله؟، قال: عبد الله بن أبيّ، زعم أنّه إنّ رجّع إلى المدينة ليخرجنّ الأعرّ منها الأدلّ، فقال أسيد: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إنّ شئت. هو والله الدليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله إرفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك، وإنّ قومه ينظمون له المهرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنّك قد استلبته ملكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذاك حتى أمسى وليلتهم، حتى أصبح وصدر يومهم ذاك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس وهم في غاية التعب، فما كان منهم إلّا أن ناموا وشغلوا بذلك عن فتنة ابن أبيّ .

كثير من الفتن تموت بالإهمال... واهتمامك بها تشجيع لها  
وما شيء أحب إلى سفيه إذا شتم الكريم من الجواب

وأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ سُورَةَ "الْمُنَافِقُونَ" وَفِيهَا ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا

يَفْقَهُونَ يُثْبِتُونَ لَكِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ  
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ { (1) .

وَبَلَغَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ، وَكَانَ مُؤْمِنًا  
عَظِيمَ الْإِيمَانِ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ قَتْلَ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ فَاعِلًا فَمَرِنِي بِهِ فَأَنَا أَحْمَلُ إِلَيْكَ  
رَأْسَهُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَرْجَ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَّ بِوَالِدِهِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى  
أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَأَقْتُلَهُ،  
فَأَقْتُلْ مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُلَ النَّارَ .

رباط العقيدة أقوى من رباط النسب  
والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن  
آبائهم .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ نَتَرَفَقُ بِهِ وَنُحَسِّنُ صَحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ صَارَ  
عَبْدُ اللَّهِ كَلِمًا أَحَدَثَ أَمْرًا عَاتِبَهُ قَوْمُهُ وَعَتَّفُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمْرِ بْنِ  
الْخَطَّابِ: كَيْفَ تَرَى يَا عَمْرُؤُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قَلْتِ اقْتُلُهُ لَأُرْعِدْتَ لَهُ أَنْفًا -  
لِغَضَبِ لِه رَجَالًا - لَوْ أَمَرْتَهَا بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ. فَقَالَ عَمْرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لِأَمْرٍ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَنْ أَمْرِي .

بالحكمة المجردة تم تجريد العدو من سلاحه ورجاله .

...وهكذا فقد عاد مكر المنافقين على أنفسهم، وافتضح عبد الله بن أبي بين  
قومه وأصحابه، ولكن كل ذلك لم يغيّر من حقه ونفاقه شيئاً .

(1) سورة المنافقون: 7 .

## حديث الإفك:

-وفي أعقاب غزوة المصطلق، وقعت حادثة الإفك التي كانت محنة خطيرة للمؤمنين .

ولنستمع إلى السيدة عائشة أم المؤمنين تروي لنا خير الإفك كلاماً، كما رواه عنها الإمام البخاري :

قالت السيدة عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه فأيتهاً خرج سهمها خرجت معه .

كان النبي حريصاً على العدل في كل شيء وعدله بين نسائه صورة عدله فيا لعالمين .

فلما كانت "غزوة بني المصطلق" خرج سهمي عليهن، فارتحلت معه. قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق، لم يهيجن اللحم فيثقلن<sup>(1)</sup>، وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم فيحملوني، يأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه، ثم يضعونه على ظهر البعير ويشدونه بالحبال، بعدئذ ينطلقون. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذاك، توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل. ثم أذن مؤذّن في الناس بالرحيل، فتهيئوا لذلك. وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي، فلما فرغت أنسل من عنقي ولا أدري، ورجعت إلى الرحل فالتمست عقدي فلم أجده! وقد أخذ الناس في الرحيل، فعدت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، وجاء القوم الذين كانوا يُرحلون لي البعير -وقد كانوا

(1) تشير إلى خفة وزنها حيث لم ينتبه حاملو الهودج إليها حينما حملوه .

فرغوا عن إعداده- فأخذوا الهودج يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدّوه على البعير، ولم يشكّوا إنيّ به ثم أخذوا برأس البعير وانطلقوا .

ورجعت إلى المعسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب . لقد انطلق الناس! قالت: فتلففتُ بجلبائي ثم اضطجعت في مكاني وعرفتُ أنّي لو افتقدت لرجع الناسُ إليّ، فوالله إني لمضطجعة، إذ مرّ بي "صفوان بن المعطل السلمي" وكان قد تحلّف لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادِي فأقبل حتى وقف عليّ- وقد كان يراني قبل أن يضربَ علينا الحجاب- فلما رأني قال: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" ظعينه رسول الله؟<sup>(1)</sup>. وأنا متلففة في ثيابي!! .

- ما خلّفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرّب إليّ البعير وقال: اركبي، واستأخر عني. قالت: فركبتُ وأخذ برأس البعير منطلقاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزلوا، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي البعير، فقال أهل الإفك ما قالوا. وارتجّ العسكر والله ما أعلم بشيء من ذلك؛ وكان عبد الله بن أبي جالساً في جماعةٍ من أصحابه، فيهم مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت، لما مرّ بهم صفوان بن المعطل يسوق البعير بعائشة فقال السّقي: هذا صفوان بن المعطل مع بنت أبي بكرٍ، والله ما سلمت منه ولا سلم منها. وقال أصحابه مثل قوله وفشا القول في الناس .

الإشاعة الكاذبة من أخبث وسائل الطاغوت ودعوة الحق معرضة لكل أنواع الإشاعة الكاذبة .

(1)الظعينة: المسافرة. أي المسافرة مع رسول الله .

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة "مرضاً شديداً" وليس يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله وإلى أبي، وهم لا يذكرون منه كثيراً ولا قليلاً. إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه في شكواي هذه .

فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندني أمي تمرضني، قال كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت في نفسي -غضبت- فقلت يا رسول الله -حين رأيت من جفائه لي-: لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي؟ قال: لا عليك، قالت فانقلبت إلى أمي ولا علم لي بشيءٍ مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرها، إنما كنا نخرج في فسح المدينة، وكان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أمّ مسطح، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها -ثوبها- فقالت: تعس مسطح؟ فقلت: بئس (لعمرك الله) ما قلت لرجلٍ من المهاجرين شهد بذكراً!! .

قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرني بالذي كان أهل الإفك. قلت: أو قد كان هذا؟! . قالت: نعم، والله لقد كان .

قالت عائشة: فوالله ما قدرْتُ على أن أقضي حاجتي، ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي. وقلتُ لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أي بنيّة، خففي عنك فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبّها، ولها ضرائر،

إلا أكثرن وكثر الناس عليها. قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ولا أعلم بذلك، - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجالٍ يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟. والله ما علمت عليهم إلا خيراً. ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ منه إلا خيراً ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي! (قالت: وكان كبير ذلك (أصل الفتنة) عند عبد الله بن أبي في رجالٍ من الخزرج مع الذي قال: "مسطح" و"حمنة بنت جحش"، وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأةً من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً. وأما "حمنة" فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارتي بأختها).

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال: كذبت لعمر الله، ما تضرب أعناقهم، إنك ما قلت هذه المقالة إلا وقد عرفت أنهم من الخزرج، ولو مانوا من قومك ما قلت هذا.

فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.

وتساوَرَ الناس حتى كادَ يكون بين هذين الحيين شرٌّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم وما زال بهم حتى تفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ.



أخطر ما تكون أفعى النفاق...  
عند فورة العواطف الجامحة .

فدخل عليّ ودعا "عليّ بنَ أبي طالب" و"أسامة بن زيد" فاستشارهما، فأما "أسامة" فأثنى خيراً ثم قال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم منهم إلاّ خيراً. وهذا الكذب والباطل! .

وأما "عليّ" فقال: يا رسول الله إن النساء لكثير. وإنك لقادرٌ علي أن تستخلفَ، وسلّ الجارية فإنها تصدقك .

القائد الحق . . لا يغلبه هوى نفسه في قضاء  
الحق ويقيم الحق في بيته كما يقيمه في الناس .

فدعا رسول الله ﷺ "بربرة" يسألها، وقام إليها عليّ فقال: اصدقني رسول الله! فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً وما كنت أعيب علي عائشة إلاّ أني كنتُ أعجنُ عجيني، فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة وتأكله!! .

قلتُ: ثم دخلَ عليّ رسول الله وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عائشة إنه قد كانَ ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد فارقتِ سوءاً ممّا يقول الناس، فتوبي إلى الله يقبل التوبة عن عباده . قالت: فوالله، إن هو إلاّ أن قال لي حتى قلص دمعي، فما أحسن منه شيئاً، وانتظرتُ أبواي أن يجيبا عني فلم يتكلما! .

قالت عائشة: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا من أن ينزل الله في قرآنًا، لكنني كنت أرجو أن يرى النبي عليه الصلاة والسلام في نومه شيئاً يكذب الله به عني، لما يعلم من براءتي، أمّا قرآنًا ينزل فيّ، فوالله، لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك .

قالت: فلمّا لم أرَ أبويّ يتكلمان! قلتُ لهما: ألاّ تجيبان رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقالا: والله لا ندرى بم نجيبه؟ قالت: والله ما أعلم أهل بيتٍ دَخَا عليهم ما دَخَلَ على آل أبي بكرٍ في تلك الأيام. ثم قالت: فلمّا استعجما علي-سكتا-استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله ممّا ذكرت أبدأً، والله إني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس-والله يعلم إني بريئة-لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تصدقوني. قالت: ثم التمسست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: أقول ما قال أبو يوسف .

{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } (1)

قد تتفاقم الإشاعة وتبلغ حدًا يصعب تجاهله .

وحركة الدعوة معرضة لذلك كل يوم .

فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه ووضعت وسادة تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، وقد عرفتُ أيّ بريئة، وأن الله غير ظالمي . وأمّا

(1) سورة يوسف: 18 .

أبواي فوالذي نفسي عائشة بيده ما سُرِّي (كشف) عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما فرقاً (خوفاً) أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، ثم سُرِّي عن رسول الله لجلس، وإنه لينحدر من وجهه مثل الجمان (المطر) في يوم شاتٍ من شدة العرق، فجلس يمسح العرق عن وجهه ويقول: "أبشري يا عائشة، قد أنزل الله عزَّ وجلَّ براءتك، فقلتُ الحمد لله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم الآيات .

{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (2) .

ثم أمر رسول الله ﷺ بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فجلدوا حدَّ القذف .

### مَا بَعْدَ الْإِفْكِ :

هزّت حادثة الإفك كيان المجتمع الإسلامي، وأوشكت -لولا عناية الله- أن تمزق وحدة الجماعة المسلمة، غير أن الله سبحانه وتعالى ردَّ كيد المنافقين في نحورهم وأبطل مكرهم وتدبيرهم، ولكم كيد أعداء الإسلام ما توقف، ففي شعبان من هذه السنة بدأت قريشُ بالإعداد لحري شاملة، للقضاء على

(2) سورة النور: 10 .

الإسلام بتحريض زعماء اليهود، وانطلق اليهود يجيئون قبائل العرب الكبرى لحرب المسلمين، وُحِيلَ إليهم أن شوكة المسلمين قد كسرت في أحد، وأنَّ على العرب أن يشتركوا جميعاً في المعركة الحاسمة لاستئصال هذه البدعة الوافدة على وثنية العرب، وخلال أقلّ من شهرين تمكن أعداء المسلمين من حشد عشرة آلاف مقاتل من قبائل العرب، وعقدت المؤامرات مع اليهود الباقين في المدينة- بنو قريظة- .

وطلب من المنافقين داخل المدينة أن يمارسوا دورهم في إثارة الفتنة داخل جيش المسلمين .

جند الطاغوت مختلفون في كل شيء غير  
أنهم متفقون على حرب الحق .

وما فرغ رسول الله ﷺ من حادثة الإفك وذيولها، حتى كانت جيوش الأحزاب بألوفها المؤلفة في طريقها إلى المدينة .

### الْحَنْدَقُ :

-وفي مطلع شوال خرجت قريش بجموعها من مكة، وصارت كلما مرّت بحجّ من أحياء العرب تستشيرهم وتدعوهم للخروج معها حمية وعصبية جاهلية. واجتمع لقريش نحو عشرة آلاف مقاتلٍ من قريشٍ وسُلَيْمٍ وفزارة وأسد وأشجع وغطفان. وأرسل أبو سفيان إلى النبيّ ﷺ مهدداً متوعداً، وبدا لقاء

الفصل وشيكاً قريباً. وجمع النبي ﷺ أصحابه يشاورهم في الأمر، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا خفنا العدو خندقنا علينا .

الشورى منهج إسلامي أصيل  
وتجارب الأمم وثقافتها يجب أن تستخدم في خدمة رسالة الحق .

فسر النبي ﷺ بذلك، لأنها خطة ما تعرفها العرب، ورأى أن المدينة تحيط بها حرّتان-جبلان-حرّة واقم وحرّة الوبرة، وأنّ جنوب المدينة منازل اليهود من بني قريظة وهم حلفاء معاهدون، كما إن بيوت المدينة المتلاصقة تمنع دخول جيش قريش من جهة بني قريظة. فلم يبقَ إلاّ شمال المدينة بين الحرّتين، وهو موضع لا يزيد على 5. 000 آلاف ذراع-2 كم تقريباً .

الثقة بوعد الله ونصره...  
لا تلغي العمل بالأسباب والتزام وسائل الحذر .

ودعا النبي ﷺ الناس لحفر الخندق؛ واستجاب الأصحاب للنداء، وامتدت تلك الأيدي الطاهرة تنكت الأرض بالمعاول والمساحي والرفوش .  
-وقام النبي ﷺ يشاركهم في حفر الخندق، وكانَ أمام أصحابه يضرب بالمعول ويعرف بالمسحاة وينقل التراب حتى اختلف لون بشرته للناس. ولقد تواصل العمل لئيلَ نهار، فالوقت عصيب والأحزاب في طريقهم إلى المدينة، وبلغ الإرهاق برسول الله ﷺ مبلغاً شديداً، حتى إنه اتكأ أن يمرّوا به لئلا ينتبه من نومه، ثم انتبه رسول الله ﷺ فوثب يقول: أفلا أفزعتموني، ثم قام إلى العمل وراح يرتجز :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة  
وقلّ الطعام واشتدّ السغب على المسلمين، حتى كان رسول الله ﷺ يشدّ  
الحجز<sup>(1)</sup> على بطنه من شدة الجوع .

قائد الدعوة أوّل الناس تضحية وفداءً  
وليس في الإسلام :  
شعب خادم لسلطان مخدوم .

وجاء جابر بن عبد الله إلى النبي ﷺ فدعاه إلى الطعام في بيته، وكان مع  
النبي رجلٌ أو رجلان، فنادى رسول الله ﷺ في الناس "يا أهل الخندق . . إنّ  
جابرًا قد صنع لكم سوراً-طعاماً-فحيّ هلا بكم، فلما دَخَلَ جابر على امرأته  
قال: ويحك!، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل  
سألك كم طعامك؟ فقال: نعم. قالت: الله ورسوله أعلم. وبارك الله في الطعام،  
وصار النبي ﷺ يسكب بيده الشريفة من القدر، حتى أكل منه أهل الخندق  
جميعاً، وبقي الطعام على حاله .

عناية الله تحيط برجال الحق  
في المواقف العصبية  
وأسباب السماء ووسائل الأرض في خدمة رجال  
الحق .

(1) فائدة: ذكر السيوطي في الحاوي للفتاوى ج 1 ص 369 عن ابن حبان ما نصبه:

وأما لفظ الحديث: الحجز بالزاي وهو طرف الإزار فتصحف بالراء .

وضرب سلمان بالمعول صخرةً فانكسر معوله منها، ولم تنكسر فكرر مراراً والصخرة على حالها. فجاء النبي ﷺ فضرب بمعوله ضربةً لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قال سلمان: قلتُ بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلتُ: نعم، قال: أما الأول فإنّ الله فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية، فإنّ الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق .

في أحلك المواقف وأشدّها .

لا يتزعزع يقين المؤمن بنصر الله

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172)}

وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ } .

-وظهر النفاق على أشده، وصار المنافقون يهزؤون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون: يعدنا محمدٌ كنوز كسرى وقيصر واليمن وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى بيت الخلاء. وجعلوا يتسللون إلى بيوتهم لواداً، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ويرقبون ما تأتي به الأيام، وفيهم أنزل الله :

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ

فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13)

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا  
 (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا  
 (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17) { (1) .

وخلال ستة أيام من العمل المتواصل تمكن المسلمون من حفر الخندق،  
 وكان طوله نحو خمسة آلاف ذراع حوالي 2 كم، وعرضه نحو تسعة أذرع حوالي  
 (4) أمتار، وعمقه بين 10 . 7 أذرع حوالي (4) أمتار أيضاً .

وما إن فرغ المسلمون من حفر الخندق حتى ظهرت طلائع الأحزاب بقيادة  
 أبي سفيان، يقرعون طبول الحرب ويأملون بغنائم المدينة وبساتينها .  
 {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...} (1) .

-أما المنافقون فإنهم رأوا الأحزاب صاروا كما وصفهم الله عز وجل :  
 {فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ  
 مِنَ الْمَوْتِ} (2) .

ولما رأى المشركون الخندق وقفوا مشدوهين أمام هذه المفاجأة الحربية وقالوا :

(1) سورة الأحزاب: 12-17 .

(1) سورة الأحزاب: 19 .

(2) سورة الأحزاب: 19 .



"والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العربُ تكيدها" وعلم الأحزاب معركتهم ليست يوماً أو بعض يوم، وأن الحسمَ غير ممكن بالبساطة التي كانوا يحسبون!! .

فضربوا خيامهم قريباً من الخندق، وأخذوا يبحثون عن ثغرة في الخندق يقتحمون منها على المدينة .

وما إن وصل الأحزاب إلى المدينة حتى قام حيي بن أخطب اليهودي، زعيم بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ من المدينة عقب أحد، قام إلى منازل بني قريظة يغريهم بنقض العهد مع النبي ﷺ ، وكان هو الذي أغرى قريشاً بمهاجمة المدينة، ووعدهم مؤازرة يهود بني قريظة .

#### أفعى الكيد اليهودي

أشد على الإسلام من مخالف المشركين .

وبعد ترددٍ قصير تمكّن حيي بن أخطب من إقناع كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة بنقض العهد مع النبي ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فاستوثق من الخبر فعلم صدقه، ومع أن النبي ﷺ كتم الخبر عن الناس، لكن سرعان ما ذاع الخبر في الناس بدعاية المنافقين، فاشتدّ البلاء وعظم الخوف، وانتشر المنافقون يرجفون في المدينة الأراجيف ويثبطون الهمم والعزائم .

وبدأ التراشق بالنبال بين الصّفين، وصارت كل حركة في المدينة مرصودة بسهام المشركين، والرّسول ﷺ مع أصحابه صامدٌ راسخ خلف الخندق، لا يشكُّ في نصر الله ووعده الأكيد .

وتمكّن بعض فرسان المشركين من اقتحام الخندق، وكان فيهم عمرو بن عبد ودّ العامري، وكان فارساً فاتكاً مغوراً لا يصمد أمامه أحدٌ، وطلّب المبارزة فخرج له عليّ بن أبي طالب. وما زال به حتى أجهز عليه، ففر أصحابه وانهمزت خيولهم، ووقع أحدهم في الخندق فقتله المسلمون. واشتد هجوم المشركين على المدينة، وصمد المسلمون لهم وقتلوهم إلى الليل حتى شغلوا عن صلاة العصر، فصلّوها بعد المغرب .

وهمت بنو قريظة بالإغارة ليلاً على المدينة. فكلف النبي ﷺ خمسمائة رجلٍ بحراسة المدينة، واشتد الأمر على المسلمين، ورسول الله ﷺ يتابع الأحداث، ويلتجئ إلى ربّه عزّ وجلّ يلتمس المعونة والتأييد .

وقائع القدر لا تلغي وسائل الحذر  
وعناية السماء لا تلغي العمل بوسائل الأرض .

ورأى رسول الله ﷺ شدة الأمر على المسلمين، فأراد أن يصلح قبيلة غطفان، التي شاركت قريشاً في جيش الأحزاب على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، وينصرفوا عنهم، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد سيدي الأنصار يستشيرهما في ذلك فقالا: يا رسول الله أهو أمر تحبّه فنصنعه، أم شيءٌ أمرك الله به، فلا نترك أمر ربنا، أم هو شيءٌ تصنعه لنا؟ فقال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنني رأيت العرب قد رمّتكم عن قوسٍ واحدة، وكالبوكم من كلّ جانب .

دعوة الحق دعوة سلام  
قد تتخلى عن مكاسب تجارية  
في سبيل حماية السلام .

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبُدُ الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلاَّ قِرَىٍّ أو بيعاً، أفحينَ أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَا بك وبه نعطِيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطِيهم إلاَّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فسُرَّ رسول الله ﷺ من ثبات المسلمين وصبرهم وقال له فأنت وذاك. فقام سعد بن معاذ فمزق الصحيفة، ولما تبرم .

وكان النبي ﷺ حريصاً أن يحقن دماء الناس ما استطاع، ومن أجل ذلك احتفر الخندق، وهمَّ بمصالحة غطفان، ولقد كانت قريش من خلف الخندق تنعت المسلمين بالجبن والخوف، وتحتهم على الخروج إليها، والرسول ﷺ صامت خَلْفَ خندقه، لا يَرُدُّ جهلهم بجهلٍ ولا طيشهم بطيشٍ .  
ومَّا قاله في ذلك شاعر المشركين (عمرو بن عبد ودّ العامري):

ولقد بحت من الصياح لجمعهم هل من مبارز؟  
ووقفت إذ جن المشـجـع موقف القرن المناجز  
وقال في ذلك شاعر قريش: (ضرار بن الخطاب بن مرداس):

فأحجرناهم شهراً كرتياً	وكنّا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدوا كل يوم	عليهم في السّلاح مدججينا

بأيدينا صوارم مرهفات	نقدُّ بها المفارق والشؤونا
فلولا خندقٌ كانوا لَدَيْهِ	لدمّرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا	به من خوفنا متعوذينا

وقال عبد الله بن الزّبير السّهمي :

شهرًا وعشرًا قاهرين محمّدًا وصحابه في الحرب خير صحاب  
لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سَعْبٍ وذئاب

القائد الحكيم راسخ متين...  
لا تزحزحه عن مواقفه معركة كلام فارغ .

كلّ ذلك كان يقع في سمع النبيّ ﷺ فلا يخرج عن حزمه وصبره، ولا ينفك  
عن إرادته في حقن دماء الناس .

واستمر الحصار قرابةً شهرٍ، والمسلمون بين ثلاثة قوى من المكر والحصار :

1- قريش والأحزاب شمال المدينة ومن حولها .

2- يهود بني قريظة جنوب المدينة .

3- المنافقون داخل المدينة .

والصحابه في صبرهم وإيمانهم يرقبون نصر الله، وكانوا يقبلون أبصارهم في  
السماء، يرقبون نصر الله، فالأمر جدّ، وقد بذلوا ما أمكنهم غير أن ما أحاط  
بهم من الجهد كان أقسى من احتمالهم .

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ  
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا  
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } .

وعلم الله صدق إيمانهم، وتدخّلت جنود الله فغيّرت الأحوال بأيسر السبل:  
{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } (1) .

وفي ذلك الموقف العصيب، جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله  
ﷺ مسلماً، وقال يا رسول الله: إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي،  
فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عتّا إن  
استطعت، فإنّ الحرب خدعة! .

رجل الحق خبير بصير  
وثيق الصلة بالحياة والواقع  
يدبر المعركة بقانون الحرب  
ويسوس الأمة بشريعة السلام .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني  
قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصّة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت لست عندنا  
بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان لا تؤثر فيهم الهزيمة، فالبلاد ليست  
بلادهم، أمّا بنو قريظة، فإن كانت الهزيمة فستدور الدائرة عليهم وعلى

(1) سورة المدثر: 31 .

أعراضهم، وقال لهم: فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم، فقالوا: لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج نعيم حتى أتى قريشاً، فقال لهم: قد عرفتم ودي لكم، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاکتموه عني، فقالوا: نفعنا فقال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه، إننا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك، على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً! .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم ما قاله لقريش. ولما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة، يطلب منهم الاستعداد للقتال في الغد، فقالت اليهود: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا، فإننا نخشى إن اشتد القتال أن تعودوا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجع عكرمة إلى قريش رهناً أبداً، فاخرجوا معنا إن شئتم، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صدق والله نعيم بن مسعود .

وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم .

رب حيلة أغنت عن قبيلة  
كلمة الحكمة خير من طيش النصال .

ومكث المشركون حول المدينة يوماً وليلة، حائرين لا يدرون ما يصنعون، بعد أن استقر في نفوسهم أنّ يهودَ بني قريظة قد تخلّوا عن مؤازرتهم ومناصرتهم. واشتد البرد عليهم، وسلّط الله عليهم ريحاً شديدةً كفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم، وانتزعت خيامهم وانكشفوا أمامَ نبال المسلمين، فعقدوا عزمهم على الرحيل .

{ فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ }  
وقام أبو سفيان خطيباً في القوم يقول :

- يا معشر الناس، ارتحلوا فياني مرتحل، وجعل الناس يلتقطون متاعهم ويجمعون حوائجهم، بعد أن فرقتها الريح، وما طلع الصبح إلا وقد صرف الله كيد المشركين وردّهم بغیظهم لم ينالوا خيراً .  
ونزل في ذلك قول الله عزّ وجلّ :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا } (1) .

(1) سورة الأحزاب: 9-10-11 .

وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ :  
{ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ  
اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا } (2) .

-وتَهَلَّل وجه النبي ﷺ وهو ينظر إلى أطلال القوم، وقال في ثقة :

"الآن نغزوهم ولا يغزونا" .

وهتف المسلمون بلسان النصر والشكر:

لا إله إلا الله وحده...

صدق وعده، ونصر عبده...

وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده...

لا شيء قبله ولا شيء بعده...

\* \* \*

### غزوة بني قريظة :

ولما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الخندق، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم،  
كان لا بدّ أن يفرغ النبي ﷺ لأولئك الذين نقضوا العهد، ومارسوا الغدر،  
وكادت مؤامرتهم أن تزلزل دولة الإسلام، وهم يهود بني قريظة .

---

(2) سورة الأحزاب: 25 .



دعاة الحق لا يعرفون الراحة  
فهم أبداً كموج البحر الهادر  
لا يتراجع إلا ليتوثب ولا ينحسر إلا ليشدد

وجاء جبريل الأمين إلى النبي ﷺ فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله...؟. فما وضعت الملائكة السلاح بعد، فإن الله عز وجل يأمرك بالمسير إلى بني قريظة! .

فنادى المنادي: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . فخرج رسول الله ﷺ وأصحابه من فورهم، وما وافى المساء إلا وهم مجتمعون حول حصين بني قريظة. وأحكم النبي ﷺ الحصار حول القوم خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار وقتلت مؤونتهم وأشرفوا على الهلاك . وأرسل زعيمهم كعب بن أسد القرظي إلى النبي ﷺ يسأله العفو عن بني قريظة على أن يرحلوا بدمائهم وأموالهم .

فرفض النبي ﷺ ذلك، ثم عرضوا أن يتركوا أموالهم ويفرّوا بدمائهم، فرفض النبي ﷺ لأنه علم أنهم ما يخرجون إلا ليوصلوا كيدهم ومكرهم للإسلام. فقد كان نقضهم للعهد وتآمرهم مع المشركين كله من صنعة حيي بن أخطب زعيم بني النضير الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ بعد يوم أحد. ولكن رسول الله ﷺ طلب إليهم أن يختاروا رجلاً من المسلمين يحكم بينهم، فاختروا سعد بن معاذ، وكان حليفاً لهم وبينهم وبينه معاملات وتجارات، فرضي رسول الله ﷺ بذلك، وأرسل في طلب سعد بن معاذ، وكان سعد قد تخلف في المدينة لجراحة

أصابته يوم الخندق، فجيء بسعد بن معاذ محمولاً على البعير، وصار المنافقون من حلفاء بني قريظة يسرون في أذنه أن يحسن إلى القوم، ويعدونهم ويمنونهم وهو صامت لا يردّ .

حتى إذا نول عن ناقته واجتمع حوله رؤساء بني قريظة ورؤساء الصحابة، فقال سعد لليهود: عليكم عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، ثم أشار إلى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وقال: وعلى من هنا؟ فقال النبي ﷺ: نعم .

فقال سعد بن معاذ: قد آن لسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومة لائم. ثم قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال له النبي ﷺ:

لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبع سموات<sup>1</sup> .

المسلم الحق

لا تصرفه عواطفه عن كلمة الحق .

ولا يبالي بمصالحه في سبيل مصلحة

الأمة .

<sup>1</sup> تعرضت قصة بني قريظة لمبالغات كثيرة وذهب بعض المؤرخين ان القتلى تجاوزوا الألف، وفي الواقع فإن سياق الروايات يدل ان الرسول الكريم عاقب عدداً من رؤوس الخيانة الذين اتصلوا بقريش وأغروها بغزو المدينة، وأولى الروايات بالقبول هي رواية ابن زنجويه في كتابه الأموال وفيها أن مجموع القتلى تسعة وثلاثون يهودياً، ومع ذلك فلم تذكر كتب السير إلا سبعة أسماء من قريظة تم قتلهم، أما السبايا فلا يوجد في كتب السنن ما يشير إلى سبايا قرظيات، وأغلب الظن أن النبي الكريم حجز النساء لايام أو لأسابيع ثم أطلقهن، ومنهن رجحانة القرظية التي كانت في سهم رسول الله فأعتقها وأكرمها، وكذلك فعل بباقي النساء، ومنهن مثلاً صفية بنت حيي التي كانت يوم قريظة ولم تقتل وإنما غادرت مع قومها إلى خيبر

وقدمت تلك الرؤوس الغادرة تفوح منها رائحة المكر والشّر والغدر، واصطفت بانتظار جزائها العادل، وعلا بكاء النساء ونحيبهنّ وصراخهنّ، ولكن ما كان لهذا البكاء أن يثلم سيفَ العدالة والقسط، وما كان للنبيّ أن يفلت هذه العقارب والأفاعي لثغاء مباضعها وفحيح ذراريها، بعد إذ مكّنه الله من سمّها ونارها. وأمر بالرجال فضربت أعناقهم إلاّ أفراداً منهم، صدق إيمانهم وتوبتهم ووزعت سباياهم وذراريهم وأموالهم على المسلمين. وبذلك أراح النبيّ ﷺ المدينة مما بقي من سرطانها الخبيث .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرّ كوضع السيف في موضع الندى .

-وفي منتصف ذي الحجّة عاد المسلمون إلى مدينتهم، بعد أن ردّ الله كيد الأحزاب وخلصهم من مكر يهود قريظة، ونزل في ذلك قول الله عزّ وجلّ:

{ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } (1) .

وكان أوّل ما أصابهم في المدينة وداعهم لسعد بن معاذ، فقد انفجر به جرحه الذي أصابه يوم الخندق، وودّع الحياة راضياً قرير العين، بعد أن كتب الله على يده شفاء المدينة من هذا الطاعون المزمّن، طاعون المكر اليهودي .

(1) سورة الأحزاب: 25 .

ورؤي رسول الله ﷺ يمشي في جنازة سعد على رؤوس أصابعه، فسئل في ذلك فقال: لقد شيعه سبعون ألفاً من الملائكة!!!...

## السَّنَةُ السَّادِسَةُ لِلْهِجْرَةِ "18 بَعْدَ الْبَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة السادسة للهجرة :

- 1- استئناف إرسال سرايا الدعاة.
- 2- تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود ومقتل أبي رافع .
- 3- التفكير في موادة قريش ومعاهدتها .
- 4- الخروج للحديبية وبيعة الرضوان .
- 5- صلح الحديبية وفيه :
  - 1- اعتراف قريش بالدولة الإسلامية .
  - 2- وضع الحرب عشر سنين .
  - 3- قطع الأحلاف بين قريش واليهود .
- 6- فتح خيبر . . آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب.
- 7- نزول سورة الفتح .

مضت خمس سنواتٍ والنبي ﷺ في المدينة لا يهدأ من تلقي الصدمات مواجهة المكائد .

وفي السنة السادسة هدأ وضع المدينة بعد خلاصها من بني قريظة، وكسرت شوكة النفاق، ولم يبق في المدينة مصرح بنفاقٍ بعد أن رأوا ما جرى لإخوانهم يوم الخندق وبنو قريظة، وأمن المسلمون في المدينة سائر هذه السنة، باستثناء بعض الأخبار التي كانت ترد عن عزم بعض القبائل على الاعتداء على المدينة. فكان

النبي ﷺ يذهب لتأديب هذه القبائل، أو يرسل مَنْ يُؤدبها قَبْلَ تجمَع قوتها ل حرب المسلمين .

### -سَرَايَا السَّنَةِ السَّادِسَةِ :

-لقد كان جَوّ الجزيرة العربية قَبلياً، وكانت الحروب شائعة بين القبائل بهدف السلب والنهب، وكانت شريعة الصحراء :

"وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يَظْلَمِ".

وكان فيما حول المدينة أعرابٌ جاهليّون من بني فزارة وتميم، تمشهم الحرب فيغيرون على بعض أطراف المدينة، وينهبون ويسرقون.

فكان النبيّ يرسل السرايا المختلفة لردّ هذه الغزوات قبل أن تحصل .

فقد سار النبيّ ﷺ لغزو بني لحيان، وهم الذين غدروا بأصحابه في الرّجيع فهربّ القوم ولم يلق قتالاً .

وسار إلى ماء "ذي قرد" إلى عيننة بن حصن الفزاري، وكان قد أغار على المدينة، وسلب ونهب وقَتَلَ راعياً كان يرعى غَنماً بظاهر المدينة، ولكنّ عيننة فرّ بمن معه، فلم يبق يلقه النبيّ ﷺ ، .

وأرسل سريةً إلى ذي القصّة والجموم، وهي أسماء مواضع بظاهر المدينة فيها قبائل الأعراب .

وأرسل سريةً إلى العيص تعترضُ تجارةً لقريش، فغنمت القافلة وأسرت رجالها .  
وأرسل سريةً إلى الطرف ووادي القرى ودومة الجندل والهجع، وكلّها لم يحصل فيها قتال، ولكنها كانت تُرهب جموع الأعراب المتربصة بغنائم المدينة .

## مقتل أبي رافع :

وفي شهر رمضان أرسل النبي ﷺ خمسةً من أصحابه من الخزرج لقتل أبي رافع "سلام بن أبي الحقيق، وكان أبو رافع من زعماء بني النضير، وساهم في جيش الأحزاب وأمدّهم بالمال وهو تاجرُ الحجاز الأكبر، ثم لجأ إلى يهود خيبر وأخذ يحرّضهم على حرب رسول الله ﷺ، فذهب الصحابة إليه وقتلوه في داره، فدفَعوا بقتله حرباً كانت وشيكة الوقوع .

يختار أهون الضررين . .

إن كان لا بد من دم يراق . .

فدم الأفاعي أولى من دم الحمام .

- ولم تكن هذه السرايا والغزوات التأديبية ذات أثر كبير على المدينة، فالعدد الذي كان يخرج فيها قليلٌ ولم يحدث ضجّة في المدينة، وهذا ما جعل المدينة في أمانٍ واستقرارٍ .

وَفَرَعَ النبي ﷺ ليعلم الناس دينهم ويوضح لهم أحكام الشريعة، وكان ممّا شرّع في هذه السنة الحج والعمرة .

## -صَلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ :

في آخر السنة السادسة وفي شهر ذي القعدة، رأى رسول الله ﷺ في الرؤيا أنّه يطوف بالبيت مع أصحابه، ورؤيا الأنبياء حق، فما هي إلا أن ذكرها لأصحابه حتى هاج شوق الصحابة لزيارة البيت، ويطوفوا به .

واجتمع حول النبي ﷺ ألفٌ وأربعمائة من أصحابه، كلهم يريد زيارة بيت الله الحرام .

وفي ذي القعدة خرج النبي ﷺ بهم معتمراً لا يريد حرباً، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربِهِ، وليعلموا أَنَّهُ إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

وارتفعت أصوات الصحابة من حول النبي ﷺ وهم يهلّلون ويكبرون :  
"لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..." .

دعاة الحق رجال أشواق .  
حنينهم إلى السجود أعظم من فرحهم  
بالغنائم وشوقهم إلى الله أكبر من حرصهم  
على الحياة .

### قريش تستعد لمواجهة الرسول :

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: رسول الله، هذه قريشٌ قد سمعت بمسيرك، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل (وهي النوق الحلوب وأولادها) وقد نزلوا "بذي طوى" يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى "كراع الغميم". فقال رسول الله ﷺ: يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر



العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزل أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد به هذه السالفة!! .

### الرّسول يغيّر طريقه :

ثم قال: مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من بني أسلم: أنا يا رسول الله. فسلك بهم طريقاً وعرّاً كثير الحجارة بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شقّ ذلك على المسلمين، وأفضوا إلى أرضٍ سهلةٍ عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: "قولوا نستغفر الله ونتوب إليه". فقال: والله إنها للحطّة<sup>(1)</sup> التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

وهكذا فإنّ النبي ﷺ جهد أن لا يلقي خيل قريش، حرصاً على حقن الدماء ونشر الإخاء، وما زال في مسيره الذي سار فيه حتى نزل في ثنية المرار قرب الحديبية .

تجنب السفهاء سياسة حكيمة .  
ودعاة الخير لا يشغلهم نزاع طائش  
عن مقاصدهم في نشر الإخاء .

فلما اطمان رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً من قريش في رجالٍ من خزاعة. فكلّمه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمة، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا

(1) إشارة إلى قوله تعالى " {وقولوا حطّة} ومعناه: اللهم حطّ عنا ذنوبنا.

إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمدٍ، إنَّ محمداً لم يأتِ لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت .

فاتهموهم وجبَّهوهم<sup>(1)</sup> وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً، ولا تحدّث بذلك عنا العرب .

وكانت خزاعة على كفرها تنصح لرسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف، فلما رآه رسول الله مقبلاً قال: هذا رجلٌ غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمته، قال له رسول الله ﷺ نحواً ممّا قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُليّس بن علقمة-أو ابن زبان-، وكان يومئذٍ سيّد الأحابيش وهم حلفاء قريش بمكة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إنّ هذا من قومٍ يتأهّون يعبدون الله ويعظمونه، فابعثوا الهدى<sup>(1)</sup> في وجهه حتى يراه .

رجل الدعوة خير حكيم . .

يخاطب كل قوم بما يفقهون  
ويسلك إلى قلوبهم أقوم طريق .

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عُرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى.

(1) جبّه: خاطبه بما يكره.

(1) الهدى: هو الأنعام التي يسوقها الحجاج للنحر في البيت الحرام.

فقال لهم ذلك، فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. فغضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم!. أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد! فقالوا له: مه، كف عنا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أو شاب الناس<sup>(2)</sup> ثم جئت بهم إلى بيضتك<sup>(3)</sup> لتفضها بهم<sup>(4)</sup>؟ إنها قريش قد خرجت، معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً. وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً! .

فوثب أبو بكر الصديق وكان خلف النبي ﷺ فقال: امصص بظر اللات، نحن نتكشّف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة. قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها .

ثم جعل يتناول حية رسول الله ﷺ وهو يكلمه. والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول حية رسول الله ﷺ ، ويقول: اكف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك! فيقول عروة: ويحك! ما أفظك وأغلظك! فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال هذا

---

(2) الأوشاب: الأخلاط.

(3) بيضة الرجل: قبيلته وعشيرته.

(4) تفضها: تكسرهما.

ابن أخيك المغيرة بن شعبة. قال: أي عُذْر! . . ، وهل غسلت سوأتك إلاّ بالأمس<sup>(1)</sup>، فكلّمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلاّ ابندروا وضوءه، ولا يبصق بصافاً إلاّ ابندروه، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إنيّ جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنّجاشي في ملكه، وإنيّ والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمّد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم .

آداب الحب... .  
تتلقاها الجوارح عن القلوب العاشقة  
لا عن الخطب المدبجة .

وإنّ رسول الله ﷺ دعا حُرَاشَ بنَ أميّة الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: "الثعلب" ليبلغ أشرافهم عنه ُ ما جاء له، فعمقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله، حتى عاد إلى رسول الله ﷺ.

### -الرّسول يرسل عثمان لقريش مفاوضاً :

ثم دعا النبي ﷺ عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيها، وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجلٍ أعزّ بها مني: عثمان بن عفان .

(1) كان المغيرة ثقيفياً من قوم عروة وكان قد قتل قوماً في الجاهلية فوداهم عروة.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأتِ لحربٍ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة .

المؤمن الحق . لا يستنكف عن أمر قائده .  
ولكنه لا يوفر رأياً حكيماً فيه مصلحة الأمة .

فخرج عثمان إلى مكة، فلقى أبا بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل .

### بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ :

ولما بلغ النبي ﷺ ما تحدث به الناس من قتل عثمان غضب غضباً شديداً، ثم جمع أصحابه تحت شجرة قرب ماء الحديبية، فدعاهم إلى المبايعة على الموت .

المؤمنون جسد واحد . .  
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى  
يحملون . . ولكن لا يجبنون . يغضبون . . ولكن لا يظلمون .

فاجتمع حوله الأصحاب فبايعوه واحداً واحداً إلا رجلاً واحداً كان ضعيف الإيمان فاختبأ تحت ناقة . وفي هذه البيعة الصادقة نزل قول الله عز وجل :

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (1) .

وإِذَا سُمِّيَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَهَا وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهَا .

ثم أتى رسول الله ﷺ أَنَّ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ مَقْتَلِ عَثْمَانَ بَاطِلٌ .

ولما علمت قريش بما كان من أمر البيعة، وأيقنت أن المسلمين قد عقدوا العزم على دخول البيت، بعثت سهيل بن عمرو مفاوضاً ومصالحاً. وكان سهيل بن عمرو وخطيب قريش، وكان زعيماً مطاعاً فيها، فلما رآه النبي ﷺ قال: أبشروا فقد سهل أمركم .

وقام النبي ﷺ إلى سهيل بن عمرو ويخبره بغاية قدومه، وأنه جاء معتمراً زائراً للبيت، لا يريد حرباً ولا قتالاً، وسهيل بن عمرو يلطُّ بالباطل ويرaug في القول، حتى اتفق مع النبي ﷺ على صلح توضع فيه الحرب ويأمن الناس في شروط، ظاهرها ليس في مصلحة المسلمين .

رجل الهدى . . لا يوفر صلحاً فيه حقن الدماء .

إلا ويسعى إليه .

ثم دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك! فقال رسول الله ﷺ: والله إني لرسول الله ولو كذبتُموني، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، .

(1) سورة الفتح: 17.

دعوة الحق لا يهتمها لون الشعارات  
طالما كانت مضامينها مبادئ راسخة .

واصطلحا على وضع الحرب عن النَّاس عشر سنين يأمن فيها النَّاس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنّه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمّد لم يردوه عليه! .

ومما جاء في نص الصلح: "وإن بيننا عيبة مكفوفة<sup>(1)</sup> وأنّه لا إسلال وإغلال- (لا سرقة ولا خيانة)- وأنّه من أحب من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وأنتك ترجع عنّا عامك هذا فلا تدخل علينا بمكة، وأنّه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الرّاكب، السيّوف في القرب لا تدخلها بغيرها. "

وثار الأصحاب لهذا الصّلح الظّالم في ظاهره، ووثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكرٍ فقال: يا أبا بكرٍ أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نُعطي الدّنية في ديننا!! .

قال أبو بكر: يا عمر ألزم غرزه- أمره- فإني أشهد أنّه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنّه رسول الله! .

ثم أتى رسول الله، فقال: ألسنت برسول الله! قال: بلى قال: أولسنا بالمسلمين! قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدّنية في ديننا؟ .

(1) ذكر في لسان العرب: أن الأزهري قال: أراد به أن الشر بيننا مكفوف.

قال: "أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعني".

قيادة الدعوة .

لا تقاد من عواطف الشباب الثائرة  
بل من حكمة الشيوخ الناضجة .

وجعل معسكر الصحابة يغلي بالوجد، والنبّي ﷺ فرح راض بما أمضى مع القوم

من ميثاق .

طعم النصر . . قد يكون مرأكالعلم للحاضر الشاهد  
ولكن تأتي الأيام ببركاته وحلاوته  
فتشرق بها أنفس الذين لا يتعجلون .

{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

-ولما أمضى رسول الله الكتاب وأشهد عليه جماعة من المؤمنين ورجالاً من الكافرين، جاء إلى معسكر المسلمين أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وكان شاباً قد أسلم فوثقه أبوه سهيل بن عمرو بالحديد، لئلا يهاجر إلى المدينة وفيما كان أبوه يفاوض النبي، أعانته بعض المستضعفين في مكة، ففك أغلاله، وخرج إلى رسول الله بالحديبية .

فلما رآه سهيل بن عمرو وقام إليه يضرب وجهه ويأخذ بثوبه، ثم قال: يا محمد قد جئت القضية بيني وبينك قبل أن يأتي هذا!! قال: صدقت .

فجعل سهيل يدفع أبا جندل ويلطمه، وأخذ غصناً من شوك فجعل يضربه على وجهه إمعاناً في المكابرة، وإصراراً على الباطل .



وجعل أبو جندل يقول: يا معشر المسلمين، أُرِّدُ المشركين يفتنونني في ديني .  
ورسول الله يقول: يا أبا جندل، إنَّا قد أعطينا القوم عهدنا وموائقتنا، وإنَّ الله  
جاعلٌ لما ترى فَرَجاً ومخرجاً .

القائد الحكيم . .  
يختار مواقفه على أساس من الخبرة والتفكير العميق  
ولا تزحزحه عنها المواقف الهائجة .  
ولو تفترت منها القلوب .

وانقلب الأصحاب وبهم من الهم والغمّ ما لا يعلمه إلاّ الله، ووثبَ عمر بن  
الخطاب فمشى إلى جانب أبي جندل، وجعل يديني مقبض السّيف من كفّ  
أبي جندل ويقول: يا أبا جندل، إنّما هم المشركون وإنّما دم أحدهم دم كلبٍ،  
وكان يريد أن يأخذ أبو جندل السّيف فيضربَ به أباه، وقال أبو جندل  
بعديذٍ: والله ما معني أن أصدّ أبي إلاّ خشية أن ينتقضَ ميثاق النبيّ ﷺ .  
ثم قال رسول الله ﷺ لِمَنْ معه من الناس: "قوموا فانحروا، واحلقوا وحلّوا،  
فلم يجبه أحدٌ إلى ذلك بعد أن بَلَغَ بهم الدهول كل مبلغ، فدخل مغضباً على  
أم سلمة فقال لها: هلك الناس أمرتهم فلم يمتثلوا!! . . قالت أمّ سلمة: يا  
رسول الله، إنّ النَّاس قد دخلهم أمرٌ عظيمٌ مما أدخَلتَ على نفسك من المشقة  
في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح، فاخرج يا رسول الله فلا تكلم أحداً حتى  
تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك .

فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يخلق لبعضٍ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً من شدة الغم .

الزوجة الصالحة . .

تؤدي دورها الكبير . . بصدق وكفاءة  
إلى جانب الدعوة .

ولما انصرف رسول الله من الحديبية، أنزل الله عليه :

{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسَبِّحَ  
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } (1) .

فأقبلَ عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، أو فتح هو يا رسول الله؟. فقال نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح. فعاد عمر يسأل قال: يا رسول الله، ألسنت كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال النبي ﷺ: أكنت حدثتكم أنكم تدخلون هذا العام؟ قال: لا. قال: فإنك آتية فمطوف به إن شاء الله .

المؤمن ليس معصوماً من الشك . .  
يتردد ولكن لا يتمرّد،  
لا يزال سؤولاً عقولاً حتى يبلغ اليقين .

(1) سورة الفتح.

وسأله عمر: فقال يا رسول الله كيف نردّ مَنْ جاءنا مسلماً ولا يردّون مَنْ رَجَعَ إليهم؟!...!

فقال النبي ﷺ: "مَنْ ذَهَبَ مِنْنا فلا رَدَّه الله، وَمَنْ جاءنا منهم فرددناه فإنَّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً".

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (1) .  
وانقلب المسلمون إلى المدينة مع نبيهم ﷺ وهم في حيرة من أمرهم، فهم لا يشكون أنه فتح مبین، ولكنهم لا يفهمون كيف يكون ذلك الصلح المجحف نصراً مبيناً!! .

وقد جاءت الأيام بصدق ما بشرهم به النبي ﷺ .  
فقد كان العهد اعترافاً رسمياً بدولة الإسلام من أشد خصوم الإسلام عداوةً في جزيرة العرب .

وإذا عاهد القوي ضعيفاً كان معناه الإذلال والتوهينا  
وقد انقطع بهذا الحلف كل نشاط التفاق في المدينة، وصارت العرب تنظر إلى المسلمين نظرةً أخرى .

وهكذا ودّع رسول الله ﷺ السنّة السادسة، بعد أن هيا فرصة السّلام الراجعة والتي ستعود على الإسلام بأعظم البركات في أمدٍ قريب... .

(1) سورة آل عمران: 144 .

## فتح خيبر :

بعد عودة النبي ﷺ من الحديبية بعشرين عاماً، نادى في المسلمين بنفير الجهاد إلى خيبر. فوصلها في أواخر ذي الحجة ومعه ألف وستمئة مقاتل. . وخيبر هي معقل اليهود المركزي في جزيرة العرب، ففيها قلاعهم وحصونهم وأموالهم، وإليها لجأ يهود قينقاع والنضير بعد إجلائهم من المدينة، وقد بدؤوا يعدون العدة، ويستعدون للانتقام من المسلمين بعد أن رأوا ما حلّ بإخوانهم يهود بني قريظة .

وكان تحالف قريش مع اليهود أكبر خطرٍ يهدد الجماعة المسلمة في كل حين، فكان صلح الحديبية بمثابة قطعٍ لحلف التآمر بين يهود وقريش .

وكان مع النبي ﷺ ألفٌ وستمئة رجل، جلُّهم ممن شهد الحديبية، فضرب الحصار من فوره حول قلاع خيبر وحصونها، وتجهّز اليهود في ألفٍ وأربعمائة مقاتل، ولاؤهم مع سلام بن مشكم، فمكث المسلمون ستة أيام، فلم يفتح عليهم أي حصنٍ من حصونها .

ثم قال رسول الله ﷺ: **لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبه اللهُ ورسولُهُ!**

فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها؟ .

فلما أصبحوا غدوا إليه متطلعين إلى أخذها، فنادى النبي ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: أنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من أن يكون لك حمر النعم .

وإنما ساق رسول الله هذا النصح الرّشيد حتى يقطع تطّلع النفوس إلى المغنم المعجّلة، فإنّ ثروة اليهود (إذا هزموا) ضخمة. ولكن ثواب مقاتليهم إذا اهتدوا أكبر!! .

الجهاد في الإسلام...

رسالة دعوة إخاء لا وسيلة كسب وثراء إن  
الله أرسل محمداً هادياً ولم يرسله جابياً .

-وابتدا القتال حول الحصون، فجعلت تسقط واحداً إثر واحدٍ في أيدي المسلمين، فسقط حصن ناعم ثم حصن القموص بعد عشرين يوماً. وكانوا كلّما تهاوى حصنٌ لجأوا إلى الذي يليه، حتى اجتمعوا في حصني الأظبية والوطيح، وتحصّنا فيهما أشدّ التحصين، واستمر القتال أربعة عشر يوماً حول هذا الحصن، وبرز فيه من مقاتلي المسلمين عليّ بن أبي طالب وأبو دجانة، وكان حصناً منيعاً صعباً حتى نصب رسول الله المنجنيق وهم بهدمه .

ولما تيقنوا من عزم النبي ﷺ على هدم حصونهم، ورأوا أنهم مغلوبون لا محالة نزلوا فاستسلموا. وقد صالحهم رسول الله ﷺ بما صالح به بني النضير من قبل، على أن يخرجوا من خيبر ولهم ما حملت إبلهم فرضوا بذلك، ثمّ إنهم تضرعوا إليه أن يبيقهم على أرضائهم، بحيث يزرعوها بنصف ما تخرج من غلال، على أن تكون ملكيتها للمسلمين، فرضي رسول الله ﷺ بذلك على أن يخرجهم منها متى شاء .

وقد بقي اليهود في خيبر يزرعوها بنصف ما تخرجه من غلال، طيلة حياة النبيّ وخلافة أبي بكرٍ وشطراً من خلافة عمر، حيث أخرجهم منها لوقوع الغدر منهم في عهده .

وعقب انصرافه ﷺ من خيبر، أدرك أصحابه الكرام وهم يسوقون الغنائم العظيمة من خيبر أدركوا معنى الفتح الذي بشرهم به الله عقب الحديدية، وأنزل الله

عز وجل: { وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدُّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } .

### يهود فدك :

كانت فدك أرضاً من خير تسكنها يهود، ولم تكن ذات قلاع وحصون، ولذلك فإنهم ما إن انكشفت معركة خبير حتى سارعوا في الدخول فيما دَخَلَ فِيهِ إِخْوَانُهُمْ فِي خَيْبَرَ، وَقَسَّمَتْ أَرْضَهُمْ قِسْمَةَ الْفِيءِ، بَيْنَمَا قَسَّمَتْ أَرْضَ خَيْبَرَ قِسْمَةَ الْغَنَائِمِ .

### زواج النبي ﷺ بصفية :

وعاد النبي ﷺ إلى مثل ما فعل مع بني المصطلق بزواجه من ابنة زعيمهم جويرية بنت الحارث، فتزوج من ابنة زعيم بني النضير صفية بنت حبي بن أخطب، وكان أبوها قد خرج مع بني النضير يوم خرجوا إلى بني قريظة، وحرصهم على نقض العهد يوم الخندق، ثم خرجت هي مع زوجها سلام بن مشكم إلى خيبر، وقد قتل أبوها

يوم قريظة وقتل زوجها يوم خيبر وكانت هي في السبايا، فأعتقها رسول الله ﷺ وأكرمها وتزوجها، وصارت من أمهات المؤمنين .

الداعية الحق .  
شديد الرحمة بالخلق .  
يبدل من راحة بيته ونفسه .  
ليخفف آلام الآخرين . ولو كانوا على غير دين .

وبذلك فقد اندفع الناس إلى الإحسان في سباياهم وأسراهم من يهود خيبر، وذلك إكراماً لزوجة النبي ﷺ .  
ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة بعد فتح خيبر في مطلع السنة السابعة .  
خبر أبي نضير :

-أما مالظت فيه قريش من الباطل في صلح الحديبية فقد عادَ وبالأعلى عليها، إذ جاء إلى المدينة أبو بصير عتاب بن أسيد مسلماً فاراً من قريش. وما هي إلا أن جاءت قريش في طلبه، فدفعه رسول الله ﷺ بحسب الميثاق والمعاهدة وقال :  
" يا أبا بصير إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك " .

ومضى أبو بصير مع الرجلين حتى خرجوا جميعاً من المدينة، حتى وفي بدمية النبي ﷺ لكنه أبي أن يسلم عنقه إلى جلاديه، وحاكمهم قبل أن يحاكموه، واحتال في الطريق عليهما فأخذ سيفاً أحدهما فضرب به عنقه وفرّ صاحبه مدعوراً حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بما كان، فما هي إلا أن طلع أبو بصير والسيف بيده فقال: يا رسول الله قد وفيت بدمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه! .

المؤمن. . حين يدعى للحق فهو حبيب  
وديع ولكنه حين يقاد لحكم الغاب أسد  
منيع! . .

فقال رسول الله: "ويل أمه، مسعر حربٍ لو كان معه رجال".  
وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر في موضع يقال له "العيص"، وأقام معتصماً  
بدينه معتزاً بما استنار به قلبه من الإيمان، وقد أدرك أنه لا مأمَنَ له في مكة، ولا  
مقام له في المدينة، وصار يهدد قوافل قريش .  
وتسامع المستضعفون المعذبون في مكة بخبر أبي بصير، فأروا في ذلك فرصةً  
يخلصون بها من أذى المشركين، ولا يرحلون رسول الله ﷺ فيما عاهد به القوم .  
وكانَ أول من لحق بأبي بصير أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وتبعه إخوانه من  
الضعفاء، حتى اجتمع إليه نحو سبعين، فكانوا أول منظمة فدائية في الإسلام،  
وجعلوا يهدّون كل قوافل قريش الظالمة، بعد أن منعتهم من حرية الاعتقاد في مكة،  
ونعمة الهجرة إلى المدينة .  
يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .  
ولم يطل ذلك بالقوم، فسرعانَ ما جاء إلى النبي ﷺ وفدٌ من قريش، يرجونه أن  
يقبل أبا بصير ومن معه في المدينة، وأن يلغي الشرط الثاني من شروط صلح  
الحديبية، والذي ينصّ على عدم قبول المهاجرين إلى المدينة .  
أمّا المهاجرات فلم يردّ رسول الله ﷺ منهنّ أحداً أصلاً، فقد نزل عليه قولُ الله  
عزّ وجلّ :



{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ  
بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ  
يَحِلُّونَ لَهُنَّ } (1) .

---

(1) سورة الممتحنة: 10 .

## السَّنةُ السَّابِعةُ لِلهِجْرَةِ "19 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة السابعة للهجرة :

- 1- عودة مهاجري الحبشة .
- 2- بدء قدوم وفود القبائل المسلمة .
- 3- قدوم الأشعريين .
- 4- تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب قريش بعد قيام حركة أبي بصيرز
- 5- زواج النبي برملة بنت أبي سفيان وبدء تحول قريش إلى الإسلام .
- 6- إرسال الرسل إلى الملوك .
- 7- إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي .
- 8- عمرة القضاء أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين .

دَخَلَتْ السَّنةُ السَّابِعةُ وقد استراحَ رسولُ اللهِ ﷺ فيها من خصومه الرئيسيين .  
أما قريش فقد صالحها على أن يضع الحرب معها عشر سنين .  
وأما اليهود فقد دكَّ آخر معاقلهم في خيبر، وصاروا أجراء المسلمين بلا عهدٍ  
ولا عقدٍ . وأن له ﷺ أن يهنأ بالسلام ليكون رجل السلام كما كان رجل الحرب .

## عودة مهاجري الحبشة :

بعد صلح الحديبية مباشرة، أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة، ليعود بالمهاجرين الأوائل إلى النبي ﷺ وليخطب له رملة بنت أبي سفيان. فالتقى عمرو بالنجاشي وأخبره الخبر، فقدم النجاشي سفينتين للمهاجرين، وبعث بشكره وهداياه للنبي ﷺ مع العائدين.

ووصل وفد المهاجرين إلى النبي ﷺ وهو في خيبر، فسُرَّ بهم سروراً عظيماً، وعانق ابن عمه جعفر بن أبي طالب وكان رئيس الوفد، وقال: والله لا أدري بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ . .

وكان قدوم المهاجرين بدايةً لمرحلة جديدة من الدعوة والجهاد، وسموا (أصحاب المهجرتين).

## الزواج برملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) :

كان صلح الحديبية في الظاهر هدنة عسكرية بين طرفين متحاربين، ولكنه كان عند النبي ﷺ بداية ثورة إصلاحية في جزيرة العرب عموماً، وفي قريش بشكل أخص .

وقد انتقى ﷺ ألد أعدائه من قريش (أبو سفيان) ليخوض معه هذه المرة حرباً بلا سنان، غايتها قتل العداوة المستحكمة في قلبه .

- فأرسل إلى الحبشة عمرو بن أمية الضمري ليخطب له رملة بنت -أبي سفيان وذلك قبل أن يرجع المهاجرون إلى المدينة، وكانت من المسلمات اللواتي هاجرن إلى الحبشة، وكان زوجها عبيد الله بن جحش قد تنصّر فبقيت وحدها غريبة في

الحبشة، فزوجها له خالها عثمان بن أبي العاص، ودفع النجاشي صداقها وهو أربعمائة دينار، وبعثها إلى النبي ﷺ.

فكان هذا الزواج الكريم نقطة تحوّل في حياة زعيم الشرك والوثنية في قريش أبي سفيان، ولما بلغه خبر الزواج وأن رسول الله قد غدا صهره لم يتمالك نفسه أن قال: "هو الفحل لا يجده أنفه"، وذلك على عادته في الفخر والتعالي . وبدأ بذلك غلواء الحقد الجاهلي العمى يتلاشى شيئاً فشيئاً .

كل الوسائل . . يستخدمها الداعية الحق

في تحويل البغضاء إلى محبة

وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين .

\* \* \*

وهكذا . . فإنه ما إن صممت طبول الحرب . . واجتمع شمل الأصحاب في المدينة، حتى انطلقت جحافل الهداية ومواكب الدعاة إلى الآفاق :  
{ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا }<sup>(1)</sup>  
ولول مرة طرقت أسماع ملوك الروم والعجم وزعماء القبائل الكبرى دعوة التوحيد .

فكيف كان الجواب؟؟...

الدعوة الإسلامية . . دعوة سلام لا دعوة حرب . .

(1) سورة الحزاب: 39.

والعهد الذهبي لانتشار الدعوة، كان في شهور

السلام التي تخللت كفاح النبي ﷺ.

## مكاتبة الملوك :

كانت شعوب العالم في عهد البعثة تزرح نير الظلم والجهل والاستبداد، وكان لابدّ لنور النبوة أن يشرق في العالمين.

ولما استقرّ الأمر للنبي ﷺ بعد صلح الحديبية وفتح خيبر، تفرّغ للدعوة إلى الله عزّ وجلّ، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام .

إلى هرقل :

كانت بلاد الشام تحت حكم الرومان البيزنطيين؛ وكانت عاصمتهم في القسطنطينية، وكان هرقل عاملاً للقيصر على بلاد الشام، وكان من أهل الكتاب وله علم بالكتب والنبوءات، وكان مراد النبي ﷺ أن يرفع تسلطه عن أهل الشام، ليختاروا من الدين ما يرون أنه الحق، فأرسل إليه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب هذا نصّه :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"من محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } .

وختمه بخاتمه الذي نقش عليه، محمد رسول الله .

الداعية الحق .

يختار أوسع الأبواب إلى قلوب محاوريه  
فيسلك إليها بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلما قرأ هرقل الكتاب، أدرك بما أوتي من علم سابق أنه النبي الموعود .  
وَطَلَّبَ مِنْ رَجَالِهِ أَنْ يَحْضُرُوا لَهُ وَفَدَاءً مِنْ تِجَارِ مَكَّةَ الَّذِينَ اعْتَادُوا أَنْ يَتَجَرُوا فِي الشَّامِ فَحَضُرُوا، وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَاسْتَنْطَقَهُ أَمَامَ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْذِبُوهُ إِذَا كَذَبَ، فَسَأَلَهُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ فَقَالَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، فَسَأَلَهُ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قَالَ: لَا، فَسَأَلَهُ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قَالَ: لَا، فَسَأَلَهُ: فَأَشْرَافَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعْفَاءُ هُمْ؟ قَالَ: بَلِ ضَعْفَاءُ هُمْ، فَسَأَلَهُ: أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: بَلِ يَزِيدُونَ، فَسَأَلَهُ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا. فَسَأَلَهُ هِرْقَلُ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، فَسَأَلَهُ مَاذَا يُأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَوْلَا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِفَافِ وَالصَّلَةِ. فَقَالَ هِرْقَلُ لَتَرْجَمَانَهُ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ فِيكُمْ، وَكَذَلِكَ الرِّسْلُ تَبَعَتْ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَثَقَلْتُ

رجلٌ يتأسى بقولٍ قيلَ قبله، وسألتك هل كانَ من آباءه من ملكٍ فذكرت أنه لا، فلو كانَ من آباءه من ملكٍ لقلتُ رجلٌ يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قَبْلَ أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذبَ على الناس ويكذب على الله، وسألتك أأشرفُ النَّاس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالطُ بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر .

سلوك الدعاة جزء من رسالتهم دعوة الحق.  
 . شريفة الغاية نظيفة الوسيلة .

وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصَّلاة والصَّديق والعفاف، فإن كانَ ما تقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه .

الحق أبلج . . واضح من ذاته . . لا تنكره نفس  
 حر ما إن تشرق شمسُه حتى يحس القلب دفئها  
 وحنانها .

ولما خرج أبو سفيان قال لأصحابه: لقد أمرُّ أمرُّ ابن أبي كبشة، إنَّه يخافه ملك بني الأصفر، وكان يقول بعد أن أسلم: ما زلتُ منذ لقيت هرقل موقناً أنه سيظهر

حتى أدخل الله عليّ الإسلام. ثم إن هرقل جمع دهاقنته وبطارقته وعظماء الروم في قاعة مغلقة، وخطب فيهم فقال:

"يا معشر الروم: هل لكم في الفلاح والرّشد وأن يثبت لكم ملككم. فاتبعوا هذا النبيّ" فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلّقت .  
فلما رأى هرقل قد أغشى بصره بعد أن استبان له نور الحق، وأصمّ أذنيه بعد أن أذن لصوت الإيمان .

عبيد الطين. . قلوبهم خربة

لا تقوى على مقاومة غرائز الطين

رغم ما ظهر لها من قوة الحق .

إلى كسرى :

- كانت العراق وفارس نحا الحكم الساساني الفارسي، وكان كسرى هو الإمبراطور الفارسي عليها، وعاصمته المدائن، فأرسل رسول الله ﷺ إليه عبد الله بن حذافة السهمي، وحمله رسالةً هذا نصّها :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيّاً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم الجوس .

المؤمن الحق. . واثق بدعوته راسخ اليقين ينطق

بلسان الحق ور يهرب سيف الظالمين .



فلما قرأ كسرى الكتاب مزّقه وصرخ في وجه الرّسول، ويلك. . لولا أن الرسل لا تقتل لمزقت جلدك .

ثمّ أرسل إلى (باذان) عامله على اليمن يأمره أن يوجه إلى محمّد ﷺ رجلين يحضرانه إليه ليضرب عنقه .

فأرسل باذان رجلين في طلب النبي ﷺ، فقال لهما: من أمركما بهذا؟ فقالوا ربنا (يريدان كسرى) فقال لهما: أبلغا صاحبكما أنّ ربّي قتل ربّه كسرى في هذه الليلة، وأنّ الله تبارك وتعالى سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله، فعاد الرجلان وأخبرا باذان بخبر رسول الله ﷺ فما مكثوا غير بعيدٍ حتى وافت الرّسل من لدنّ فارس بما صنع الله بكسرى كما أخبر النبي ﷺ تماماً، وفي اليوم والساعة نفسها، وكان ذلك سبباً في إسلام باذان ومن معه من أهل اليمن، وقدومهم على النبي ﷺ في عام الوفود كما سنرى فيما بعد...

وهكذا... فإنّ كسرى ردّ أبشع ردّ، وأنكر أشدّ الإنكار، ومزّق كتاب النبي ﷺ وما هي إلّا بضع سنين حتى كانت جيوش القادسيّة تفرع باب المدائن، وتمزّق ملك كسرى وامبراطوريته، "ومان حقاً علينا نصرُ المؤمنين"...

### إلى النجاشي :

أما النجاشي فقد سبقت منه المودة وظهر منه التصديق، وأكرم وفادة المهاجرين وفاضت عيناه بالدمع لما سمع من الحق .

فأرسل إليه النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكان واحداً من أبرع الناس فصاحة ومنطقاً، وحمله كتاباً جاء فيه :  
"بسم الله الرحمن الرحيم"

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة .  
أما بعد :

فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن،  
وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم الطاهرة البتول، الطيبة  
الحصينة، فحملت بعيسى، فخلق الله تعالى من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده،  
وإني أدعوك إلى الله وحده، لاشريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبني وتوقن  
بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت  
ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى " .

الداعية الحكيم

يخاطب الناس بلسان المحبة والمودة والرحم  
رغم ما في عقائدهم من انحراف وفساد .

فلما قرأ النجاشي الكتاب، تأثر به ونزل عن سريره وجلس على الأرض وقال:  
"لو كنت أستطيع أن آتبه لأتيته".

وتكلم عمرو بن أمية فآثني على النجاشي لحبه للحق، وأظهر له حب النبي ﷺ  
له، وكان عمرو بن أمية الضمري حكيماً رائعاً في دعوته للنجاشي، فقال له:  
"يا أصحمة... (وهو اسم النجاشي) إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك  
كأنتك في الرقة علينا منّا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنّا لم نضنّ بك خيراً قط إلا  
لنناه، ولم نخفك على شيء إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل  
بيننا وبينك شاهد لا يردّ، وقاضٍ لا يجوز. وفي ذلك توقع الجدّ، وإصابة الفصل،  
وإلا فأنت في هذا النبيّ الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبيّ ﷺ رسله

في الناس فرجاك لما لم يرجهم، وأمنك على ما خافهم عليه، بخير سالف، وأجرٍ  
ينتظر".

الداعية الحكيم لطيف القول منبسط  
الوجه يتحسس مساقط التأثير في القلوب  
الشاردة فيفيء بها إلى الحق .

ثم قال النجاشي: "أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة  
موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس أشفى من  
الخبر، ولكن أعواني من الحبشة قليل، فانظري حتى أكثر الأعوان وألين القلوب.  
ثم كتب إلى رسول الله كتاباً دفعه إلى عمرو بن أمية الضمري وفيه :  
"بسم الله الرحمن الرحيم"

إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحابه، سلامٌ عليك يا نبي الله من الله  
ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله  
فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما  
ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد عرفنا ابن عمك (جعفر بن أبي طالب)  
وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن  
عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

لقد علم النجاشي أن معرفة الحق تستلزم اتباعه، فلم يبال بعرشه ولا بملكه في  
سبيل اتباع الخير والحق والهدى.

-إلى المنذر بن ساوى :

كان المنذر بن ساوى والياً على البحرين فكتب إليه النبي ﷺ كتاباً، يدعو فيه وقوفه إلى الإسلام، وأرسله مع العلاء بن الحضرمي، فتكلم العلاء وعرض له الإسلام وأحسن في الكلام، فكان مما قال له: يا منذر: إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شرّ دين، ليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم (ما يتنزه) عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به، ولا زال العلاء يعرض عليه الإسلام، ويقدم له الحجج والبراهين حتى أسلم المنذر، .

دعاة الحق . . رجال موهوبون . في كلامهم  
حكمة وذكاء . . وفي وجوههم رحمة وشفاء .

ودعا قومه للإسلام، فمنهم من أسلم ومنهم من بقي على دينه، فأرسل إلى النبي ﷺ يستأذنه فيهم، فنهان النبي ﷺ أن يكرههم على الإسلام. ثم تتالى دخول الناس في الإسلام بعد، فما بقي في البحرين أحدٌ لم ينطق بشهادة الحق. وأقرّ رسول الله ﷺ المنذر على البحرين توفي في السنة الحادية عشرة.

**إلى ملك عُمان :**

كانت عُمان ترتبط ولاءً بقياصرة الروم، وكان لها ما يشبه الحكم الذاتي، وقد وُلِّي الحكم عليها أخوان هما :

جيفر بن الجلندي وأخوه عبد بن الجلندي، فكتب إليهما رسول الله ﷺ كتاباً مع عمرو بن العاص جاء فيه :

"بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم"

"من محمّد رسول الله إلى جيفر وعبد ابنيّ الجلندي، سلام على من اتبع الهدى،

أمّا بعد: فإنّي أدعوكم بدعاية الإسلام أسلماً تسلماً، فإنّي رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أسلمتما وليتكما، وإن أبيتما أن تقرّ بالإسلام فإنّ ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما".

ومضى عمرو بن العاص بالكتاب إلى عمان، فدخل على عبد بن الجلندي وهو الأصغر والأحلم منهما، فما زال به حتى أسلم، ثم أعانه على إسلام أخيه الذي راوغ واستكبر، ثم ما لبث أن فاء إلى الحقّ وهداه الله.

بعض الناس أقرب للهدى من بعض  
والداعية الحكيم .  
يعالج نفور البعيد بإيناس القريب .

إلى المقوقس:

كانت مصر تحت حكم الرومان أيضاً، وكان لها ما يشبه الحكم الذاتي، والسيطرة فيه للأقباط وهم الغالبية من أهل مصر، ولقب زعيمهم "المقوقس"، فأرسل رسول الله ﷺ إليه حاطب بن أبي بلتعة، وحمله كتاباً جاء فيه: "من محمّد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلامٌ على من اتبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلّم تسلم، أسلم يؤتكَ اللهُ أجرَكَ مرتين، وإن تولّيت فإنما عَلَيْكَ إثمُ أهل القبط } ويا أهل الكتاب إلى كلمةٍ سواي بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون }".

فقال المقوقس: ما منعه إن كَانَ نبيّاً أن يدعُو على مَنْ خالفه وأخرجه من قومه؟ فقال حاطب: ألسنتَ تشهد بأنّ عيسى بن مريم رسول الله، فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟

الداعية الحق . حاضر الحجة .  
قوي البرهان . واسع الثقافة .

فأعجب المقوقس بذلك ورضيه، وكان قد سمع شيئاً عن الإسلام. ثم أنه أحسن وفادة حاطب وأكرمه وأحسن منزله، وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً فيه اعتذار رقيق، وقول شفيق، وأرسل مع حاطب بن أبي بلتعة جملة هدايا النبي ﷺ فيها طيب وجارية، وهي (مارية القبطية) التي أعتقها النبي ﷺ وتزوجها، وأنجبت له ولده إبراهيم الذي مات صغيراً.

الجماعة المسلمة .  
توفي بعهد حليفها المسلم .  
ولو لم يوافقها في كامل الاعتقاد .

وقد بشر النبي ﷺ أصحابه بفتح مصر فقال:

"ستفتح عليكم مصر بعدي، فاستوصوا بالأقباط خيراً، فإنّ لكم فيهم صهراً

ورحماً"، ولم يدخل المقوقس في الإسلام .

هذه بعض الكتب التي وصلتنا من مكاتبات رسول الله للملوك، وكما ترى فإنها

وصلت إلى أعظم الملوك يومئذٍ، وكم كُنّا نتمنى لو نقل لنا التاريخ بدقة أكبر كل

الكلمات التي قالها أولئك الدعاة، الذين خرجوا في الآفاق يبلغون رسالات النبي ﷺ.

وكان من أثر هذه المكاتبات أن دَخَلَ ملوك الحبشة وعمان واليمن والبحرين في الإسلام، ولا شك أنّ ذلك كان من أعظم الفتوح في الإسلام .  
وحقق الإسلام في شهور قليلة بعد الحديبية ما لم يتحقق له طيلة فترة الرسالة، وما ذلك إلا لأنّ الإسلام دعوةٌ فكرٍ وقلبٍ، تحتاج إلى ظروف الأمن والسلام، ليحمل دعاؤها نور هديها بالحجة الواضحة والبلاغ المبين، وهذا معنى قول الله عقب الحديبية: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } .

قال الزهري :

"ما فتح في الإسلام قبل الحديبية فتحٌ أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، لم يكلم أحدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في ذينك السنتين بعد الحديبية مثل ما كان في الإسلام قيل ذلك أو أكثر!! .  
عُمْرَةُ الْقُضَاءِ:

-وفي آخر هذه السنة مضى النبي ﷺ في ألفٍ وخمسمائة من أصحابه، لأداء العمرة بحسب ما تنص عليه شروط عقد الحديبية: أن يعودوا في العام القابل فيقيموا ثلاثة أيام، واحتاط النبي ﷺ من غدر قريش، فجلب معه السلاح وتركه قريباً من مكة، وخلف عنده مائتي رجلٍ لحراسته .

المؤمن وفيّ طيب .

لكنه لا يفطر بوسائل الحيطه والحذر .

وصل رسول الله ﷺ مكة في اليوم السابع من ذي القعدة، ليس معه إلا سلاح المسافر، السيوف في أغمادها. دخلوها مهللين مكبرين. كان رسول الله ﷺ قد أعدّ لهذه الأيام الثلاثة برنامجاً متكاملًا، يعرض فيه الإسلام نظاماً وحيوية وقوة انسجاماً . وكانَ دهاقنة قريش ورؤوس الكفر فيها قد توقعوا ذلك، فأمروا الناس أن يخرجوا من مكة طيلة هذه الأيام الثلاثة، حتى لا تقع أبصارهم على صورة حية ناطقة لدين الحق فيميلوا إليه .

عقيدة الحق . . لا تحتاج إلى بريق السيوف ليظهر لأؤها بحسبها أن تجد أذنًا صاغية لتجد طريقها إلى القلوب .

غير أن عامة أهل مكة لم يخرجوا ولم يستجيبوا، وشاهدت أعينهم لأول مرة صورة حية ناطقة عن الإسلام الحق في المسجد الحرام والبيت الحرام. وبالفعل فقد بدأ رسول الله ﷺ ينفذ ما رسمه وخططه، فكانَ للطواف والسعي وأصوات التكبير والتهليل المنسجمة الصادقة، أعظم الأثر في نفوس عامة قريش. وكان المشركون من قريش قد أشاعوا في الناس أن المسلمين أصيبوا بحمى يثرب، وقد صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه<sup>(1)</sup> وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأاً أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن، وخرج يهرول وأصحابه معه، حتى إذا واراها البيت منهم واستلم الركن

(1) اضطبع: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى وجعل طرفه على منكبه الأيسر.



اليمني، مشى حتى استلم الركن الأسود، ثم هروا كذلك ثلاثة أطوافٍ ومشى سائرهما .

وكانَ لصوت بلال في الأذان سحر سرى في نفوس القرشيين، ورأى المستضعفون منهم كيف صعد ذلك العبد المعذب في المهجير إلى ظهر الكعبة ليقول: الله أكبر . . الله أكبر .

البرنامج الإعلامي في دعوة الحق .  
جزء من رسالة البلاغ .

وخلال هذه الأيام الثلاثة التقى رسول الله سرّاً وجهراً بعددٍ من سادة قريش، وكتب إلى آخرين يدعوهم إلى الإسلام، ويرفع من قلوبهم الشحنةاء.

وخلال هذه الأيام الثلاثة أيضاً، اختار رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت من شريفات قريش، وكلف عمه العباس أن يخطبها له، وتمت الخطوبة في هذه الأيام الثلاثة، وتقرر أن يكون الزواج في اليوم الرابع. وهكذا فقد أراهم النبي ﷺ خلال هذه الأيام من قوته ما أراهم من حبه، واراهم من عظمة الإسلام وعزة أهله ما أراهم من بساطته وفطريته ورحمانيته .

... وفي اليوم الثالث انتقى رؤوس الكفر أشدهم غلظةً وفضاظَةً، (حُوَيْطِب بن عبد العزّي) ليقوم بإخراج النبي ﷺ من مكة .

فخرج حويطب في جماعة من المشركين إلى النبي ﷺ ثم قال :

يا محمد قد انقضى أجلك فاخرج عنا! .

فقال النبي ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم

طعاماً فحضرتموه .

فقال حويطب غاضباً: يا محمد لا حاجة لنا في طعامك، فخرج عنا! .  
 فهم أصحاب النبي ﷺ ان يتردوا حويطب، وصرخ فيه سعد بن عبادة:  
 كذبت، والله لا يبرح منها إلا طائعاً راضياً. ليست بأرضك ولا بأرض أبيك، غير  
 أن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك وقال برقة وحنان: يا سعد. لا تؤذوا قوماً زارونا في  
 رحالنا! .

الكلمة الطيبة. . عنوان دائم على شفة الداعية الحكيم  
 وهي أفعال في الإصلاح من الجيوش الجرارة .

ومع ذلك كله فقد خرج رسول الله من مكة كما يريدون، لكنه أقام بـ "سرف"،  
 وهو موضع جميل يبعد عن مكة نحواً من ستة أميال وهناك أقام حفلة الزفاف ودعا  
 إليها أهل مكة، وجعل الناس في مكة يتسربون إلى حفلة "سرف" بالرغم من حنق  
 ساداتهم وغضبهم.

كل وسائل الألفة والحب. . في خدمة رسالة السلام  
 كل مصاهرات النبي. . كانت لخدمة الرسالة .

وفي "سرف" بسطت الموائد لوليمة هائلة كانت مليئة بالبهجة والسرور، ولم يبق  
 واحد ممن حضر الوليمة من أهل مكة-وما أكثرهم- إلا وقد ارتفعت من قلبه  
 البغضاء والشحناء التي اجتهدت قريش في زرعها فيهم طيلة عشرين عاماً من  
 العداة المجنون.

وفي عمره القضاء جاء تصديق قول الله عز وجل: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ  
 الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٍ مُّخْلِفينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ  
 لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِأَلْهَدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ  
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ  
الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا<sup>(1)</sup> .

وخرج رسول الله ﷺ من عمرة القضاء، وقد أدى ما جاء من أجله في غاية  
النجاح، وقذف الرعب والحب معاً في نفوس قريش، وهياهم بذلك للدخول في  
الإسلام فيما بعد .

وأفهمهم أنهم بدخولهم في الإسلام سيكونون أكثر عزاً، وأجمع كلمةً، وأكثر  
تعظيماً للبيت الحرام والشهر الحرام .  
وهكذا . فقد كانت عمرة القضاء معرضاً إسلامياً ناجحاً في قلب عاصمة  
المشركين، جاءت ثمراته بعد حين .

(1) سورة الفتح: 27-29.

## السنة الثامنة للهجرة "20 بعد البعثة"

أهم حوادث السنة الثامنة للهجرة:

- 1- القبائل المهتدية بسرايا الدعاة ترسل وفودها إلى المدينة.
- 2- إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.
- 3- تمرد الحارث الغساني وقتله لرسول النبي ﷺ.
- 4- غزوة مؤتة أول لقاء بين المسلمين وبين الروم.
- 5- وفاة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة يوم مؤتة.
- 6- نقض بني بكر حلفاء قريش لصلح الحديبية واشتراك قريش معهم في محاربة خزاعة (حلفاء النبي ﷺ).
- 7- الفتح الأعظم "فتح مكة".
- 8- إسلام أبي سفيان.
- 9- إسلام معظم زعماء قريش.
- 10- الخروج لملاقاة هوزان وغطفان في غزوة حنين.
- 11- حصار الطائف إلى دخول الشهر الحرام.
- 12- توزيع غنائم حنين ثم رد السبايا إلى أهاليهن.
- 13- عمرة الجعرانة.
- 14- تعيين عتاب بن أسيد والياً على مكة وإعلانها مدينة إسلامية.
- 15- عودة النبي ﷺ إلى المدينة.

بعد مكاتبة الملوك ودخول بعضهم في الإسلام وبعد عمرة القضاء، وما تركته من أثر طيب في نفوس القرشيين، وما دخلهم من حب وإكبار للنبي ﷺ وأصحابه، أدرك السادة في مكة أنه لم يعد بالإمكان جرّ الناس إلى حرب جديدة مع النبي ﷺ، وبدأ عقلاء مكة تدريجياً يتحولون إلى الإسلام.

### إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة:

كانت قريش تعدّ خالد بن الوليد ليتبوا مكانة أبيه "الوليد بن المغيرة" شريف قريش وسيدها، وهو الذي قال فيه المشركون ما حكاه الله عنهم:

{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ }<sup>(1)</sup>.

فالقريتان: مكة والطائف، وعظيم مكة: الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف: عروة بن مسعود الثقفي. والحق أنّ خالداً كان يملك من صفات الزعامة والسيادة ما كان لأبيه، وقد كان قائد الخيل في حروب قريش، وكانت خيله هي التي التفت خلف المسلمين يوم أحد، وغيّرت نتيجة المعركة. وقد عرّف رسول الله ﷺ منزلة خالد، فجعل يدعو إلى الإسلام ويرغبه به. وكان الوليد بن الوليد أخو خالد قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وصحب النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ أن يكتب لخالد بن الوليد فكتب إليه:

<sup>(1)</sup> سورة الزخرف: 31.

## "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

أمّا بعد: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك...  
عقلك، ومثل الإسلام يجمله أحد؟! وقد سألتني رسول الله عنك فقال: أين  
خالد؟! فقلت: يأتي الله به فقال: ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل  
نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له، ولقد مناه على غيره.  
فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة".

توجيه الدعوة إلى الأشراف  
يأتي بمن وراءهم من الناس.

وما زال خالد في صراع بين هوى نفسه وفطرة قلبه، حتى كان يوم عمرة  
القضاء، ووقع في قلبه حسن ما رأى من صلاة المسلمين، وطوافهم، وكتب إليه  
النبي ﷺ خفية: "يا خالد... أسلم أعطك أعنة الخيل".

الداعية الحكيم. . يسلك مع الناس كل سبل الهداية  
بإقناع العقل. . وري القلب. . وإرضاء الطموح.

أما عمرو بن العاص فلم يكن يقل عن خالد شأناً ودهاءً، وكان أبوه العاص  
بن وائل من دهاة قريش وسادتها، وقد هياً ولدته عمراً لتسلم الزعامة في قريش،  
وكان عمرو من أفصح الناس منطقاً وأحسنهم وجهاً، وكان عمر بن الخطاب  
إذا رأى رجلاً عاثراً أو عيبياً يقول: أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص  
واحد، وقد أقام عمرو بدهائه وشخصيته الفذة صداقات حميمة مع عددٍ من  
الملوك، أشهرهم النجاشي ملك الحبشة.

وبذلك ترى أنّ خالداً وعمرو كانت تتنازعهما قوتان، قوة الزّعامة التي كانت تمدّ لهما أسبابها، وقوة الإيمان الذي بدأ يشرق في النفس.

أعظم الناس عقولاً ومعرفة  
هم أجدر الناس بمعرفة الحق.

فما هي إلا أن انصرف النبيّ ﷺ من عمرة القضاء، حتى خرج خالدٌ في إثره يتطلب سبيل الحق، ولقي في الطريق عثمان بن طلحة يتبغى الإسلام والهجرة، وهو ابن طلحة بن أبي طلحة سادن الكعبة وكان قد قتل يوم أحد، فكانت السدانة لولده عثمان فسار الرّجلان يقصدان المدينة المنورة، ولقيا في الطريق عمرو بن العاص، وكان قد وقع في قلبه ما وقع في قلب خالد، فسار الثلاثة حتى أتوا رسول الله ﷺ، فلما رأهم سُرَّ بهم وقال لأصحابه: رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها (خير أبنائها)، وتقدّم خالدٌ فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله، فقال له النبيّ ﷺ: "الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير"، فقال خالد: يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدتها عليك، فقال له: "الإسلام يحبُّ ما كان قبله" ثم تقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فبايعاه على الإسلام.

تجدون الناس

معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

## سرايا الدّعاة:

-السريّة هي الجماعة التي تخرج بأمر النبي ﷺ في مصلحةٍ من مصالح المسلمين، وقد بعثَ رسول الله ﷺ في حياته ما يزيد على الثلاثين سرية، تعددت أغراضها.

وفي هذا العام أكثر النبي ﷺ من سرايا الدّعاة إلى سائر الجزيرة العربية.

### مجموعة كعب بن عمير:

أرسل النبي ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر داعياً إلى بني قضاة من أرض الشّام، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، وكان رُدّهم أبشع رُدّ، ثم إنهم عمدوا إلى رسل النبي ﷺ يقتلوهم، فدافع الأصحاب عن أنفسهم حتى اشتدّ ضرب المشركين، وقضوا شهداءً أبراراً وهم يبلغون رسالة الله.

الدعوة تضحية وفداء.

كانوا يخرجون من أجلها عن ديارهم وأمواهم.

### مجموعة أبي عبيدة بن الجراح:

وفي رجب أرسل أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجلٍ فيهم عمر بن الخطاب، بغرض نشر الدّعوة بين القبائل السّاحليّة.

وهكذا فقد انتشر المئات من أصحاب رسول الله ﷺ في مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة ينشرون الدّعوة، ويعلمون الناس أمر دينهم، وكان الكثير من الدّعاة ينزل عند القوم ويقيم فيهم، ويموت عندهم، وهو يبلغهم رسالة الله. وقد آتت تلك البعوث أكلها، وبدأت الوفود تقدم على النبي ﷺ مبايعةً على الإسلام.



وقد جعلنا الحديث عن الوفود في السنة التاسعة، لأنها سميت: "عام الوفود"، ، وإن كان الكثير من الوفود قد حضر قبل ذلك.

### غزوة مؤتة: (جمادى الأولى):

تسمى معركة مؤتة: (غزوة مؤتة) مع أن النبي ﷺ لم يشهدها، وهي السرية الوحيدة التي سميت "غزوة" من سرايا النبي ﷺ ، وذلك للظروف التي أحاطت بها، ولضخامة جيش الروم فيها، وسبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ كان قد أرسل الحارث بن عمير إلى ملك بصرى، يدعوه إلى الإسلام، وقبل أن يصل، تمنع قتل الرسل والسفراء والتعرض لهم، فكانت هذه الحادثة تحدياً للمسلمين، وصارت بمثابة إعلان الحرب عليهم، فلم يكن أمام النبي ﷺ بد من إرسال جيش لقتال الروم، فأرسل في جمادى الأولى من هذه السنة جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وقال لهم: أمير القوم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليترض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم.

الأمة المسلمة . . وديعة طاهرة  
لكنها لا تسكت على ضيم يقترفه الطاغون  
دم المسلم أمانة غالية في عنق المسلمين  
لا ترفأ جفونهم حتى تعود للأمة عزتها.

وانطلق الجيش من المدينة قاصداً بلاد الشام مزوداً بوصايا رسول الله ﷺ ، مشيعاً بدعوات المسلمين، وعلم الروم بخروج جيش المسلمين، فجيشوا جيشاً كبيراً: مائة ألف من الروم، ومائة ألفٍ من نصارى العرب. وتردد المسلمون في دخول هذه المعركة غير المتكافئة مطلقاً 200/3!! . .

إلا أن عبد الله بن رواحة قام فقال: يا قوم إن التي تكرهونها لهي الشهادة التي خرجتم تطلبونها، والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عددٍ ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا فوالله لقد رأيتنا يوم بدرٍ ما معنا إلا فرسان، ويوم أحد ما معنا إلا فرسٌ واحد، انطلقوا فإتما هي إحدى الحسينين، إمّا ظهورٌ عليهم فذلك ما وعدنا الله ورسوله، وإمّا الشهادة. فلحق بإخواننا نرافقهم في الجنان.

وأهبت هذه الكلمات جيش المسلمين، فمَضُوا إلى لقاء العدو لا يباليون بشيءٍ، والتقى الجيشان في قرية مؤتة، وقاتل زيدٌ براءة رسول الله ﷺ حتى قتل، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره فقطعت يساره فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وقد أصيب بتسعين طعنة،

المسلم الحق . .

يموت وراية الإسلام نصب عينيه.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل بها أشد القتال، حتى نسي نفسه

وصار يرتجز:

يا نَفْسُ إِلَّا تَقْتُلِي تَمَوِي	هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت	إن تفعلي فعلمها هُدَيْتِ

فجاءه ابن عمّ له بقطعةٍ من اللحم، وقال له: شدّ بهذا صُلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت فأخذها، وأكل منها لقمةً ثم سمع صوتاً من جانب الميدان، فرمى بالطعام وقال لنفسه: وأنتِ في الدنيا!!، وقام فقاتل حتى قتل.

وهكذا فقد قضى الشهداء الثلاثة في ساعات قليلةٍ نجبهم، وسقطت الرّاية. واجتمع ناس من أصحاب النبي ﷺ حول الرّاية، فدفعوها إلى خالد بن الوليد، فكانت معه إلى آخر النهار.

وجمع خالد بن الوليد إخوانه في اللّيل، ورأى أن الحكمة تقضي أن يضع حداً للمعركة، فالحماس وحده لا ينفع شيئاً في هذه المعركة غير المتكافئة.

الحرب خدعة.  
والقائد الحكيم. . لا تقوده الشجاعة إلى  
الانتحار  
ولا يحمله ضعف موقفه على الفرار.

وقد ظهرت عبقرية خالد العسكريّة في هذه الغزوة حيث أمن انسحابَ الجيش ببراعة، من غير أن يسيء إلى سمعته، وبأقل الخسائر الممكنة فجعل الميمنة محل القلب، والقلب محل الميسرة، والميسرة محل الميمنة، وأمر رجالاً أن يثيروا نقع الغبار بخيولهم كل ساعة.

فلما أصبح الرُّوم، ورأوا اختلاف الوجوه والرايات ثم رأوا نقع الغبار يثور كل ساعة، وقع في نفوسهم أن مددَّ القوم متصل، وأن النّجّادات تردهم كل ساعة ففتر حماسهم، ووقع الخوف في نفوسهم، فناوشهم خالد حتى ألجأ بعضهم إلى الفرار ثم رجع بجيشه إلى الصحراء، فظنَّ الروم أنه يستدرجهم إليها فلم يتبعوه. وبذلك ضَمِنَ خالد سلامة الجيش الصغير، وعاد به إلى المدينة، بعد أن ترك الجيش الرُّومي الجُرَّار في حيرةٍ خائبة: لا يدرون أهم في نصر أم هزيمة؟!... ولا يفهمون، هل انتهت المعركة أم هم في مناورةٍ غير مفهومة؟. .

ولما رجع خالد بجيش مؤتة، صار الأطفال والنساء في المدينة يقولون: أنتم الفرّارون.

فنهاهم رسول الله ﷺ وقال: بل أنتم الكرّارون إن شاء الله. وسمّى النبي ﷺ خالداً ذلك اليوم: سيف الله المسلول.

قد يُغلب المسلم يوماً  
ولكن لا يجوز أن تغلب إرادته.

وما كان رسول الله ﷺ ليترك يوم مؤتة لشماتة خصوم الإسلام، وتجرؤ الأعراب والرُّوم على المدينة، فأرسل سرية أخرى بقيادة عمرو بن العاص، وأردفها بسرية أبي عبيدة بن الجراح فقامت بمطاردة الأعراب الذين اشتركوا مع الرُّوم يوم مؤتة، وسميت هذه الغزوة: ذات السلاسل. ولم يحصل في تلك الوقائع قتال يذكر، غير أنها قطعت شماتة الأعراب يوم مؤتة.

وهكذا فإنه باستثناء سريتي مؤتة وذات السلاسل، فإن الفترة التي أعقبت صلح الحديبية وفتح خيبر كانت فترة سلام وأمن، وقد قام دعاة الإسلام فيها بدورهم الكبير في هداية الناس وتعليمهم وإرشادهم. ولكن بقيت عيون المؤمنين معلقة بمكة، وهي بحسب صلح الحديبية، ستبقى تحت حكم قريش عشر سنين، وليس للمؤمنين أن يدخلوها إلا بإذن قريش وإشراف رقبائها. وصارت قلوب المؤمنين تسأل الله مكة... فماذا كان خلف ستار الغيب. . .؟ ...

### نَقْضُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ:

كانت خزاعة قد دخلت في حلف النبي ﷺ بعد الحديبية، كما دخل بنو بكر في حلف قريش، وكان بين الحيين ثار جاهلي قديم. وفي شعبان من السنة الثامنة ثار بنو بكر على خزاعة، يصيبون منهم ثأرهم، ولجأت خزاعة إلى الحرم تستجير به، فلم تهدأ ثائرة بني بكر وجعلت قريش تظاهروهم وتؤيدهم حتى أصابوا من خزاعة مقتلة عظيمة. وسارعت خزاعة إلى المدينة المنورة تناشد النبي ﷺ حلفها المتين، وقال رسولهم: عمرو بن سالم:

يا رب إني ناشدُ محمداً	حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا(1)
------------------------	-----------------------------

(1) الأتلد: القديم.

ونقضوا ميثاقك المؤكدا	-إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا
وقتلونا رگعاً وسجداً	-هم بيّتونا بالوتير هجدا
	فانصُرْ هداك الله نصراً أعتدا(2)

-فلم يزد النبي ﷺ أن قال: "نصرت".

القائد الحكيم. . حريص على الوفاء  
لأحلافه لكن مواقفه لا ترسمها المواقف  
الهائجة.

-وأدركت قريش سوءَ صنيعها، وعلمت أن النبي ﷺ وعد خزاعة بالنصرة، وانخلعت لذلك قلوب المشركين، وسرعان ما جاء أبو سفيان إلى المدينة. وكان النبي ﷺ قد قال: كأني بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ في العقد ويزيد في المدة. وكلم أبو سفيان النبي ﷺ في أمر الصلح، فلم يردّ عليه بشيءٍ ثم غدا إلى أبي بكر وعمر وعلي فلم يشفعوا له بشيء.

ودخل على ابنته رملة زوجة النبي ﷺ، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة، ثم تزوّجها النبي ﷺ على ما بيّنا، فطوت عنه الفراش، فعجب أبو سفيان وقال: يا بنيّة "ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني، فقالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجلٌ مشرك، فخرج من عندها خائباً منكسراً لم يظفر بشيء.

الإسلام...نكس قيم الجاهلية

(2)أعتد: من العتيد وهو الحاضر.

ونصب مكانها قيم الحق.

وارتدّ أبو سفيان عائداً إلى مكة من غير أن يفهم شيئاً، فلا هو ظفر بعفو النبيّ فيطمئن؟. ولا هو فهم نيته فيستعد!.  
وباتت قريش لياليها شرّ ليال، لا تدري ما الله صانع بها؟!!

### فتح مكة

ولم يحدث رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه بعزمه، غير أنّه أمرهم أن يتجهزوا، حتى اجتمع معه نحو عشرة آلاف رجل ودخل أبو بكرٍ على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال: أيّ بنيّة، أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهّز، قال: فأين تريئه يريد؟. قالت: لا والله ما أدري. ثم سار رسول الله ﷺ بمن معه من الناس نحو الشام، حتى تحدث الناس أنّه يريد الرّوم، وانصرفت عيون قريش في المدينة تطمئن أهل مكة أنّ النبيّ ﷺ ماضٍ إلى الشام يؤدّب الرّوم بعد وقعة مؤتة.

وعادت قريش إلى غفوتها ورقادها بعد أن طمأنها المنافقون، ولم يعد يقلقها إلاّ كلمة النبيّ لرسول خزاعة: عمرو بن سالم: "نصرت!".

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان

القائد الحكيم . لا يجعل أسرار تديره على ألسنة  
خلانه.

ولما جاوز رسول الله ﷺ حرتي المدينة، أخبر أصحابه بعزمه السير إلى مكة،  
وضرب حول الجيش طوقاً من أصحابه، فلا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه  
أحد، ثم تحوّل الجيش على طريق ساحل البحر إلى مكة.  
وكان خروج رسول الله ﷺ من المدينة يوم العاشر من رمضان، وكان سيره  
عشرة أيام، وفيها هاجر العباس بن عبد المطلب بأهله مسلماً، ويرى بعض  
أهل السير أنّ هجرته كانت أسبق من ذلك.

وقد استبقى النبي ﷺ العباس معه، وأرسل أهله إلى المدينة.  
وفي الطريق أيضاً جاء أبو سفيان بن الحارث ابن عم النبي ﷺ ، وعبد الله  
بن أبي أمية بن المغيرة يريدان الإسلام، وكان أبو سفيان هذا، قد أفرط في  
حرب النبي ﷺ وهجائه رغم ما بينها من رحم، ورغم طول ما صحبه قبل  
البعثة، وعرف خلقه وأمانته، وكان شِعْرُهُ شديداً على الإسلام، وكان كلامه  
يقع في عقول الناس، لما يعرفون من قرابته ورحمه مع النبي ﷺ.

شدة القرب حجاب.

والناس ما لم يتجردوا من أنانيتهم وحظوظهم  
فلن ترى أبصارهم نور الحقيقة.



فلما استأذنت لهما أم سلمة على النبي ﷺ قالت: يا رسول الله ابن عمك وصهرك فقال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال...

ولكن توبة الرجلين كانت صادقة، وقال أبو سفيان بن الحارث والله ليأذن لي أو لآخذن بيد ولدي هذا، ثم لنضر بن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً.

وقال له علي بن أبي طالب يا أبا سفيان: إن النبي ﷺ لا يجب أن يكون أحد أحسن منه جواباً، فأتته من قبل وجهه، فقل كما قال إخوة يوسف: "تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين" ففعل أبو سفيان ما أمره علي، فرق لهما النبي عليه الصلاة والسلام وقال:

"لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"

الحق سلطان في النهاية. .  
ولكن هيئات أن يبلغ الذين حجبتهم  
أهواؤهم مقام الأولين السابقين.

وأخذ الجيش العظيم طريقه بصمت حتى بلغ "مر الظهران" على مشارف مكة، ولما صارت مكة في قبضة الجيش الظافر، أمر رسول الله سائر الناس أن يوقدوا النار، فأوقدت عشرة آلاف نارٍ في ليلَةٍ واحدة، وبدا الجيش كما لو كان مائة جيشٍ.

## إسلامُ أبي سفيان بن حرب:

فلَمَّا رأى العَبَّاسُ ذلك قال: وإصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنَّه لهلاكُ قريش إلى آخر الدهر.

قال العَبَّاسُ: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرَّجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلِّي أجدُ بعض الخطابة أو صاحب لب، أو ذا حاجة، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوا قبل أن يدخلها عليهم عنوةً. قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَّيل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كالليلَّة نيراناً قط ولا عسكرياً. ويقول بُدَّيل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب<sup>(1)</sup> ويقول أبو سفيان: خزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها!.

قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة! فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قلتُ: نعم. قال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلتُ: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في النَّاسِ، وإصباح قريش والله! قال: فما الحيلة، فداك أبي وأمي؟ قلتُ: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ، فاستأمنه لك.

(1) حمشتها الحرب: أحرقتها واصلت بناها.

فركب خلفي ورجع صاحبا. فجئت به كلما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ. ثم خرج يشتم نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء. فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقدٍ ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه. قلت: يا رسول الله، إنّي قد أجرته! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل! فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنّه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلاً يا عباس، فلاسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

القائد الحكيم . لا يقضي في أمرٍ  
حتى يُقلِّبه من سائر وجوهه.

قال العباس: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: وَيْحَكَ يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟! . قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعد! قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم تعلم أنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال عمر مغضباً: لو قطعنا رأسك لزال الشكّ كلّهُ!!...

فورة الشباب وهياجه. .

لا تستوعب حكمة الشيوخ وتجاربهم  
والداعية الحكيم ينطلق في رعاية مبادئه  
من خبرة وحكمة واستبصار.

فقال له العباس: ويحك! أسلم وأشهد أم لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن تضرب عنقك.

قال: فشهد شهادة الحق فأسلم.

—مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سَفِيانٍ فَهُوَ آمِنٌ:

قال العباس: قُلْتُ يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلاً يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: "نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن".

الداعية الحكيم. .

ينزل الناس منازلهم، ويعرف أقدارهم.  
ويقنعهم أنهم بالإسلام يكونون أكثر عزاً.

وصار أبو سفيان سيد قريش المطاع يتقلب في كفّ النبي ﷺ حائراً قلقاً، لا يجد من البأس ما يدفع به جيش النبي ﷺ عن مكة، ولا يجد من الإيمان ما يغلبُ به شهوته، ويدخل فيما دخل فيه الناس.

وصار رسول الله ﷺ يتألفه بالمودة والعطاء، ويخلع قلبه بما يريه من بأس جيش المسلمين.

فلما ذهبَ لينصرفَ قالَ رسولُ الله ﷺ: يا عباس احبسَه بمضيق الوادي عند خطم الجبل<sup>(1)</sup> حتى تمرّ جنود الله فيراها.

عبقرية الإصلاح.  
أن تملأ أعدائك خوفاً وحباً.

قال العباس: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسَه، ومرّت القبائل على راياتها، كلّما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول سُليم فيقول: ما لي ولسُليم. ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عبّاس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة. فيقول: ما لي ولمزينة. حتى نفذت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرّ به رسول الله ﷺ في كتيبته "الخضراء"<sup>(1)</sup> فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم،

<sup>(1)</sup> خطم الجبل: ملقى الجبل بالوادي.

<sup>(1)</sup> إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عبّاس، مَنْ هؤُلاءِ؟ قلتُ هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤُلاءِ قبل ولا طاقة! والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً! قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة!. قال: فنعم إذن. قلت: النّجاء<sup>(2)</sup> إلى قومك. فخرج أبو سفيان مذعوراً حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن!.

الحكمة والمدارة.

جعلت رؤوس الكفر وطواغيت الحرب

سفراء السلام وداعة الصلح.

فقامت إليه زوجته هند بن عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا هذا الحميت الدّسيم الأحمس<sup>(3)</sup> قُبْح من طليعة قوم!...

قال: ويلكم، لا تغرّتكم هذه من أنفسكم، فإنّه قد جاءكم ما لا قبّل لكم به، فَمَنْ دَخَلَ دار أبي سفيان فهو آمن.

قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنّا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن! فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

(2) النّجاء: الإسراع.

(3) شهبته هند بالأحمس شديد اللحم لضخامته وسمنه.

وأسقط في يد قريش، بعد أن رأت زعيمها الأكبر ينهار حائراً كاسفاً، فما وجد الناس ما يقولون، حتى كان جيش الفتح يدخل مكة من شعبها الأربع:

1-فرقة الزبير بن العوام من جهة الشرق.

2-وفرقة أبي عبيدة من جهة الشمال.

3-وفرقة سعد بن عباد من جهة الغرب.

4-وفرقة خالد بن الوليد من جنوب مكة.

وكان أمره لسائر الصحابة أن لا يريقوا شيئاً من الدماء.

رسالة الحق . . رسالة سلام وحب

ليس في قاموسها باب للتشفي والانتقام.

ودخل رسول الله ﷺ مكة والناس من حوله، خاشعاً لربه يضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عنثونه (لحيته) ليكاد يمسّ ظهر راحلته.

المؤمن الحق . .

لا يغيب عن باله ذكر الله وشكره

إذا اتسع ملكه شعر بفقره إلى الله

وإذا عظم نصره أحسن بذلته بين يدي

الله.

ومضى كذلك حتى دخل البيت مهلاً مليباً وهو يقرأ سورة الفتح:

{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ  
وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } (1).

وبلغ الكعبة، فاستلم الحجر وطاف بالبيت، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فَنَجَعَلَ يطعنها بعودٍ كان في يده فتتهالك وهو يقول: الله أكبر. .  
جاء الحق وزهق الباطل. . إنَّ الباطل كان زهوقاً! . .  
وكانَ يوماً عجباً. . ورأت الدَّهماء من أهل مكة أن تلك الآلهة التي كانت  
ترجوها وتخشاها، خرَّت بطعنة عودٍ، ورأت أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم. .  
وأنهم يَهْلِكُونَ ولا يُهْلِكُونَ.

أول أركان الأمة المسلمة

صفاء التوحيد.

ثم دعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة الحجبي، وكان صاحب مفتاح الكعبة،  
فجاءه بالمفتاح، فدخلها ﷺ آمناً مطمئناً راضياً، وكانت قريش قد جعلت  
آلهتها "هبل" في جوف الكعبة. فكسره رسول الله ﷺ وأخرجه من الكعبة،  
وكانَ فيها تصاوير إبراهيم يستقسم بالأزلام، فطمسها رسول الله ﷺ بيده  
الشَّريفة، ثم صَلَّى بين السارين في جوف الكعبة والناس من حول البيت،  
يرقبون بعيونهم وقلوبهم تلك اللَّحظات الحاسمة في تاريخ العرب.  
وأمر النبي ﷺ بلائاً فصعد الكعبة، ورفع صوته بالأذان، حتى اجتمع الناس،  
مؤمنهم وكافرهم حول البيت، وخرج النبي ﷺ وقال:

(1) سورة الفتح.



"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده جاء الحق وزهد الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً" ثم التفت إلى رؤوس قريش، ولم تكن بأيديهم تلك السيوف التي طعنوا بها أصحابه! ولم يكن على أكتافهم حديدٌ يدرؤون به سيف العدل. وقاموا بين يديه صاغرين، وقد انفرط عقدهم، وتفرّق جمعهم، وتقطعت بهم الأسباب. فقام فيهم موقف العزيز من الدليل وقال: "ما تظنون أنّي فاعلٌ بكم؟". قالوا: خيراً. . أخ كريم وابن أخ كريم.

-زكّرت لحظات قاسية... تحسّس فيها المجرمون أعناقهم، وهم يذكرون سيّ الظلم والعنت التي صرفوها في حرب الإسلام، والظالم يخشى سطوة الحق، وصولّة العدل... .

وأشرق وجه النبي ﷺ وقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

رسالة الحق  
ليست غايتها قتل الكافرين  
بل غايتها قتل الكفر والحق المستكن في  
صدورهم.  
الطلاق.. . تحولوا بسرعة من أخصام عنيدين  
للإسلام إلى رجال البلاغ والفتوح في الآفاق.

وراحت الكائنات جميعاً جذلانة فرحة، تتحدث بيوم المنّ الأعظم، يوم المرحة.

## سدانة البيت

وجاء العباس إلى النبي ﷺ، وسأله أن يعطيه مفتاح البيت ليجتمع له شرف الرفادة والسدانة، فدفعه إليه ﷺ فجاء عثمان بن طلحة إلى النبي ﷺ يسأله المفتاح، وقد وجد في نفسه موجدة بالغة، فما هي إلا لحظات حتى نزل الوحي بقول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (1).

فدعا الي ﷺ عثمان بن أبي طلحة فدفع إليه المفتاح، ثم قال: "خذوها يا بني شيبة لا يأخذها منكم إلا ظالم".

الإسلام دين الوفاء.  
ومن أجل إعادة مفتاح... نزل وحي من  
السماء.

ولا يزال مفتاح الكعبة إلى اليوم في ولد عثمان من بني شيبة.  
ومكث ﷺ أياماً يبايع الرجال والنساء في مكة، ودَخَلَ الناس في دين الله أفواجاً وقبل رسول الله ﷺ من رؤوس مكة دخولهم في الإسلام، وهو أعلم بدخائل نفوسهم التي كانت لم تنزل في شكِّ مريب. .

(1) سورة انساء: 58.

## هدم الأصنام:

هدم رسول الله ﷺ بيده (360) صنماً كانت حول البيت، وهدم صنم هيل الذي كان بداخله، ومحا ما كان فيه من تصاوير إبراهيم وإسماعيل وعيسى ابن مريم.

ثم نادى فقال: "من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره".

وأرسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً فهدم العزى. وبعث عمرو بن العاص إلى سواع فهدمها، وبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فهدمها، وبذلك اطمأن النبي ﷺ على عقيدة التوحيد وقد هدم ما بقي من أوثان العرب.

بالدعوة الصادقة وبالحكمة والموعظة الحسنة  
تحول سدنة الأوثان وعبادها إلى صقور حازمة  
تحطم بفأس العدل أوهام الوثنية الجاهلية.

## غزوة هوزان (حنين):

مضى شهر رمضان وفيه كانت الضربة القاصمة للوثنية العربية، وتلقى النبي ﷺ أنباء سراياه التي عادت من كسر الأصنام غائمة ظافرة.

وكان لمكة جارتها التاريخية: الطائف التي تقاسمها الشرف والقوة منذ الجاهلية، وفيها هوزان وثقيف من أمنع قبائل العرب وأقواها. وكان سقوط قريش لهم ليسودوا بذلك العرب، فبدؤوا يجمعون جموعاً عظيمة للإغارة على البلد الحرام، وإخراج المسلمين منها قبل أن يحل بهم ما حل بقريش.

وعلى الفور أمر النبي ﷺ المسلمين أن ينفروا نفرة رجل واحد إلى هوزان، فوافاهم عند وادي حنين وقد جمعوا نحواً من ثلاثين ألف مقاتل من ثقيف وجشم ونضر وقيس بن عيلان، ورئيسهم مالك بن عوف، وفيهم دريد بن الصمة من عباقرة الحرب والعرب.

وكان النبي ﷺ قد أخذ من صفوان بن أمية سلاحاً كثيراً -عارية مؤداة- وهو يؤمئذٍ رجل مشرك، كما أخذ من رؤوس قريش مالاً وخيلاً يستعين به على قتال القوم. وتقدم المسلمون وهم اثنا عشر ألف مقاتل إلى وادي حنين، وقبل أن يتمكنوا في الوادي ويتوزعوا فيه، انقضت عليهم كتائب المقاتلين من هوزان جماعات جماعات، وكانت مباغطة عنيفة ولى على أثرها المسلمون الأدبار لا يلوي أحد على أحد. وجعل رسول الله ﷺ ينادي: أنا الرسول لا كذب أنا ابن عبد المطلب، والناس يفرون من كل جانب، ولم يثبت معه ﷺ إلا نفر لا يتجاوزون المائتين، وقال بعضهم: لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً.

وفي ساعة العسرة العصبية ظهر النفاق على أشده، وراح أولئك الرؤوس المكّيون الذين خرجوا مع النبي ولما يتمكن الإيمان في قلوبهم، راحوا يبشرون

بأفول دولة الإسلام، وظهر منهم الحقد والشماتة، وقال أبو سفيان: والله لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وقال آخر: بطل السحر اليوم! . .  
ولم تضعف عزيمة النبي ﷺ بل دعا عمه العباس، وكان جهوري الصوت، فجعل ينادي المهاجرين والأنصار: يا أصحاب بدر، يا أصحاب الشجرة، حتى التفّ الناس حول النبي ﷺ، .

المواقف العصبية ليست هي التي تصنع الرجال  
إنها-فقط-تكشف عن معادتهم وحقائقهم.

وأمسك النبي بحفنة من تراب فذرهما في المشركين وهو يقول: شأهت الوجوه، فما بقيت عين إلا دخلها التراب، وانكشف المشركون وتبعهم الأصحاب، وركبوا بهم السيف حتى دفعوهم إلى أسفل الوادي، ففر قوم إلى أوطاس وقوم إلى حصن الطائف فتحصنوا فيه تاركين نساءهم وأموالهم وذرايهم غنائم في يد المسلمين.

### أوطاس:

فأرسل رسول الله ﷺ إلى من اجتمع في أوطاس أبا عامر الأشعري في رجال المسلمين، فقتل أبو عامر وحمل الراية ابن عمه أبو موسى الأشعري فنصره الله وغنم مغنم كثيرة. وبقي أمام النبي ﷺ يوم ينتصف فيه ممن لجأ من هوزان إلى حصن الطائف.

## غنائم حنين:

كانت غنائم حنين عظيمة كبيرة فيها سبي ومال، وكان سبب ذلك أنهم أخرجوا أموالهم ونساءهم معهم حتى لا يجبنوا عن القتال. وقد اختار النبي ﷺ أن يترك الغنائم بلا قسمة رجاء أن يسلم أصحابها، أو يساومهم بها على عقد حسن جوار. وبقيت الغنائم مجموعة في الجعرانة إلى حين فرغ النبي من غزوة الطائف.

## غزوة الطائف:

توجه النبي ﷺ إلى تلك الألوف المؤلفة من هوزان التي لجأت إلى حصون الطائف، فما كان النبي ﷺ ليتركهم فيها يهددون الحرم الآمن وجماعة المسلمين من غير أن يضع حداً لعدوانهم وبأسهم. وخرج النبي ﷺ إلى الطائف بمن معه من الناس، وكانت مدينة محصنة ذات أسوار عالية وأبواب متينة، فحاصرها النبي ﷺ شهراً كاملاً، وطال الحصار، واتخذ رسول الله ﷺ المنجنيق والدبابات لهدم الحصون، ولكنها كانت أمنع من ذلك، وجعل الصحابة يقطعون أعناب مزارع الطائف، فأرسل أهل الطائف إلى النبي ﷺ يتوسلون إليه أن يتركها فنهى المسلمين عن قطعها، ثم أعلن النبي ﷺ أنه سيعتق كل عبد يأتيه من الطائف، فتسلل إليه عدد منهم، فعلم النبي ﷺ منهم أن أهل الحصن قد جهزوا أنفسهم لحصار سنة، وأنهم عازمون على

البقاء حتى نفاذ الزاد، ثم يقاتلون بعده حتى لا يبقى رجل منهم، فرأى النبي ﷺ أن الحصار لا يجدي وأن العدو قد انكسرت شوكته وأمن مكره وشره، ورأى أن الأشهر الحرم قد أهلت فرحل بأصحابه قافلاً، إلى مكة.

وفي الطريق قال له أصحابه: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فلم يجبهم رسول الله ﷺ وإنما نظر إلى حصون ثقيف التي أغلقت منافذ الاستجابة للحق، وعزمت على الكيد له ثم نظر إلى السماء وقال: "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم"... وهذا ما حصل بعد حين.

### توزيع الغنائم:

وغادر رسول الله ﷺ الطائف قافلاً إلى الجعرانة حيث ترك الغنائم الوافرة نحو شهر كامل... رجاء أن يسلم أصحابها فتعود لهم. ولم يسبق للمسلمين أن نالوا في غزوة ما نالوا في حنين من الغنائم، فقد خرج المشركون بكل ما لديهم من المال والنساء والأولاد فكانوا غنيمة المسلمين.

وأحصيت غنائم حنين فكانت أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة أوقية من الفضة، وستة آلاف من النساء والبنين، وبدأ النبي ﷺ بتوزيع المال.

ولجأ النبي ﷺ إلى استخدام سلاح المال لقتل العداوة في قلوب نفر من أشرف قريش وسادات العرب، ومن ثم تأليف قلوبهم إلى الإسلام، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ -وهو الذي قال ما قال عند ظهور هزيمة المسلمين في

أول حنين-فقال له: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً، فتبسم عليه السلام، فقال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله، فقال ﷺ: يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: ولا بني يزيد، فقال ﷺ: زنا ليزيد أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: ولا بني معاوية يا رسول الله، فقال ﷺ: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: إنك كريم، فذاك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعمة المحارب كنت، ثم سالمتك فنعمة المسالم أنت، جزاك الله خيراً.

وأعطى رسول الله ﷺ-صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة ثانية، ثم الثالثة، ثم رآه ينظر إلى شعب مملوء نعماً وشاء، فقال له: أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟ قال: نعم، قال ﷺ: هو لك بما فيه، فما كان من صفوان إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

تألف القلوب سياسة حكيمة  
والداعية الحكيم ينتزع البغضاء من قلوب الناس بكل الوسائل  
ثم يرسخ فيها غراس الحب والوئام.

وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، والأقرع بن حابس مثلها، وأعطى أناساً آخرين يتألف بها قلوبهم، وكانت تلك حكمة عظيمة من النبي ﷺ، فما تزال مصالح أقوام أقوى من عقائدهم، وقطع بذلك دسائس ومؤامرات كثيرة كان يمكن أن يكيدوها للإسلام وأهله، ولما دخل نور الإيمان إلى قلوبهم صاروا كالسابقين الأولين في بذلهم وجهدهم وجهادهم، وأخرج الله من أصلابهم



وذرايرهم قادة لجيوش الفتح الإسلامي، وأعلاماً نشروا رسالة الحق والخير في ربوع الأرض.

ثم أحصى النبي ﷺ ما بقي من الغنائم ووزعه على المجاهدين، فاجتمع عليه الأعراب وهم يلحون عليه ويقولون: يا رسول الله اقسم علينا فيئنا فما زالوا به حتى أجزؤوه إلى شجرة، فعلق بها رداؤه فقال لهم: أدول علي ردائي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر ثمامة نعمً لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. ثم أخذ وبرة من بغير وقال: والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم.

ووثب أعرابي إلى رسول الله ﷺ فجذبه جذبة شديدة من برده الخشن أثرت في عنق رسول الله ﷺ وقال له: مُر لي من مال الله الذي عندك، فضحك رسول الله ﷺ مع ألمه وأمر له بعطاء.

وبلغه قول بعض الأعراب: إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فغضب وقال: ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر!...

ليس الزهد في الدنيا مطلباً سهلاً  
ولا تزال شهوات الدنيا تقوم وتنام في نفس  
المسلم حتى يكتمل لديه اليقين.

والحق أنه لم تكن فتنة غنائم حنين بأقل من فتنة الهزيمة في أولها، حتى أن الأنصار أنفسهم قد خفيت عليهم حكمة توزيع الغنائم على المؤلفة قلوبهم،

وخصوصاً من قريش وحرماهم منها، فقال بعضهم: إن هذا هو العجب، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا نقطر من دمائهم! وكثر الحديث في ذلك بين الأنصار، فجاء سعد بن عبادة إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: أعلمت ما قالت الأنصار؟، فقال: ما قالوا؟، قال: يا رسول الله إنهم يقولون: إنك أعطيت قومك وعشيرتك، وهم حديثو عهد بالإسلام وتركت الأنصار!! . . فقال: فما تقول أنت يا سعد، قال: يا رسول الله، والله ما أقول إلا كما قال قومي، فقال النبي ﷺ، فادعهم لي يا سعد، فدعاهم سعد، فلما اجتمعوا عند النبي ﷺ قال لهم:

يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي وعالةً فأغناكم الله بي، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم، قالوا: بلى، والله ورسوله أمنُّ وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار، قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله؟ فقال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخدولاً فنصرناك وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا- نعيمها- تألفت بها قلوب قوم ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرؤاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. .

نعيم الحب الصادق  
أعظم حضوراً في القلب من كل نعيم الدنيا  
ووقود الدعوة الناجحة  
الحب الصادق بين المرئي والمريد.

وبعد أن أنهى النبي ﷺ قسمة الغنائم، جاءه وفد من هوزان يستعطفون في ردّ أموالهم وأهليهم، فخيرهم بين المال والأهل فاختاروا الأهل، فنزل لهم النبي ﷺ عمّا كان له ولبني عبد المطلب، وخطب الناس فقال لهم، أمّا بعد: فإنّ إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أردّ عليهم سبيهم، فمن أحبّ أن يطيب بذلك فليفعل، فردّ الناس عليهم سباياهم، وحبّس النبي ﷺ أهل زعيمهم مالك بن عوف وقال لهم: أخبروه أنه إن أتى مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأخبر مالك بذلك، فأعظم في نفسه هذا الكرم، وتسلسل من قومه خفية إلى رسول الله ﷺ، فأعلن إسلامه وحسن إسلامه، وأمره النبي ﷺ على من أسلم من قومه.

### العودة إلى المدينة:

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر الغنائم، خرج من الجعرانة معتمراً حتى دخل البيت والأصحاب معه.

وكانت عمرته ﷺ في آخر ذي القعدة. وخشيت الأنصار أن يبقى رسول الله ﷺ في مكة ويتركهم ومدينتهم، فقال بعضهم لبعض: أترون رسول الله إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟! فقال لهم النبي ﷺ: معاذ الله... المحيا محياكم، والممات مماتكم يا معشر الأنصار.

المؤمن وفي كريم

لا ينسى عند الرخاء من واساه يوم الشدة.

ثم استخلف رسول الله ﷺ على مكة عتاب بن أسيد وهو شاب لم يجاوز العشرين من عمره، وفي هذا حكمة كبيرة، فعتاب شاب لم يشترك من قبل في معركة، وليس لأحد من قريش عنده دم ولا مال، وقريش وإن أسلمت إلا أن حمية الجاهلية لم تتلاش من قلوبها بعد، فلا يصلح لها إلا مثل عتاب.

الداعية الحكيم

حريص على دفن أحقاد الجاهلية

لا تحمله نشوة النصر على التشفي والانتقام.

وجعل له النبي ﷺ أجراً: درهم في كل يوم، فقال عتاب للناس: أجاج الله كبد من جاع على درهم، لقد رزقني رسول الله درهماً كل يوم فليست بي حاجة لأحد.

وكذلك فإن رسول الله ﷺ خلف أيضاً معاذ بن جبل في مكة، يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن.

دعوة الإسلام تسير بخطين متوازيين متكاملين  
سياسة وثقافة، دولة وفكر، خليفة وعالم.

وهكذا طوى النبي ﷺ العام الثامن قرير العين هني البال بعد أن فتح الله عليه بلده، وأمنه من عدوه، وعاد إلى المدينة ليستأنف الدعوة من جديد.  
وفي هذه السنة حج بالناس عتاب بن أسيد، ولم يشهد النبي ﷺ الحج، ولا أرسل أميراً من قبله على الناس، وأديت مناسك التوحيد في الحج لأول مرة رغم وجود أفراد من المشركين من قبائل العرب.

## السنة التاسعة للهجرة " 21 بعد البعثة "

أهم حوادث السنة التاسعة:

- 1- إرسال السرايا لهدم الأصنام في جزيرة العرب.
  - 2- دخول قبائل العرب الكبرى في الإسلام.
  - 3- استقبال وفود كافة القبائل العربية تقريباً، وتعيين الولاة والأمراء على أقاليم الجزيرة العربية.
  - 4- وفاة النجاشي.
  - 5- إسلام ثقيف آخر المدن الكبرى في جزيرة العرب.
  - 6- خروج النبي لملاقاة جيش الروم في تبوك.
  - 7- عقد الأحلاف مع عرب الروم والفرس وضمان الحدود الشمالية للدولة الإسلامية.
  - 8- نزول سورة التوبة.
  - 9- انحسار النفاق وموت رأس المنافقين عبد الله بن أبي.
  - 10- حج أبي بكر.
- دخلت السنة التاسعة وقد فرغ النبي ﷺ من خصوم الإسلام في جزيرة العرب، وصارت أعظم قوتين في جزيرة العرب- مكة والطائف- مدينتين إسلاميتين.
- ولما تم للنبي ﷺ ذلك، أدى عمرة الجعرانة شكراً لله وانصرف إلى المدينة فوصلها مطلع ذي الحجة.

وأقام رسول الله ﷺ طيلة السنة التاسعة في المدينة المنورة، يستقبل الوفود التي قدمت تعلن دخولها في الإسلام، لم يخرج منها إلا خمسين يوماً في عزوة تبوك.

ومع أن الوفود بدأت في السنة السابعة عقب صلح الحديبية إلا أنها بلغت أوجها في السنة التاسعة، حتى سمي هذا العام "عام الوفود" لكثرة ما جاء النبي ﷺ من الوفود.

وكانت هذه الوفود ترد إلى المدينة فيضرب لهم رسول الله ﷺ منزلاً لرواحلهم قرب مسجده الشريف، فيقيمون فيه أياماً ضيوفاً مكرمين، فيسمعون من النبي ﷺ بيانه وموعظته، وينتدب لهم من علماء الصحابة من يجيبهم عما يسألون، ويشرح لهم ما يجهلون، ثم يدعوهم إلى الإسلام في رفق ولين، بعد أن يكونوا قد رأوا بأعينهم حال المؤمنين في توادهم وتراحمهم وعشرتهم وتعاونهم وعبادتهم فتقترب بذلك قلوبهم من الحق.

وكان النبي ﷺ يعين للقوم إذا أسلموا أميراً منهم، ويرسل معهم من أصحابه من يعلمهم أمور دينهم، ويقوم بنشر الدعوة فيما يليهم من القرى والقبائل.

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (1).

وقل أن يأتي وفد من قبائل العرب إلى المدينة ثم يرجعوا ولم يعمر الإيمان قلوبهم.

(1) يوسف: 109.

وهكذا... فقد سارت حركة الدعوة في بلاد العرب تنتشر بالحوار والإقناع، وما انتشر الإسلام في جزيرة العرب إلا عبر مئات من أولئك الدعاة، الذين خرجوا إلى القبائل مهاجرين صادقين، مخلفين وراءهم متاع الدنيا وبها رجها، مؤذنين في صحراء العرب ووهادها بأفول الشرك.. . وبزوغ فجر الإسلام. ولسنا نملك وسيلة كافية نخصي بها الدعاة الذين خرجوا في هذه الرسالة الشريفة، ولا نعرف على وجه الدقة ترتيب تلك الوفود التي قدمت المدينة بتأثير أولئك الدعاة الصادقين. ولكننا نسردهم سرداً كما وردوا في كتب السير.

### سرايا الدعاة:

فور وصوله ﷺ إلى المدينة بعد الفتح بدأ بإرسال سرايا الدعاة من جديد إلى قبائل العرب، يدعوها إلى الإسلام، وينظم لها أمور دينها، ويرد كيد من يدبر للمسلمين ويكيد لهم.

### إلى قبيلة صداء:

فأرسل قيس بن سعد في أربعمائة من أصحابه إلى قبيلة صداء في اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، وكانوا قد دخلوها في الإسلام قبل أن يصلهم وفد رسول الله ﷺ، ولما وصل الوفد أقام فيهم يعلمهم مبادئ الإسلام.

### إلى بني كعب:



وأرسل بشر بن سفيان إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم، فمنعهم بنو تميم من ذلك، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ عيينة بن حصن في خمسين فارساً، فحاربوهم وأسروا عدداً منهم، فجاء في أثرهم وفد من تميم ونزلوا على رسول الله ﷺ، فما زال بهم حتى أسلموا، فرد عليهم أسراهم، وأقاموا مدة في المدينة يتعلمون القرآن ويتفقهون في دين الله قبل عودتهم إلى بلادهم.

### إلى طيء:

وأرسل علي بن أبي طالب في خمسين فارساً لهدم صنم طيء (الغلس) فهدمه وأحرقه، فحاربت طيء، فتغلب عليهم وأسر عدداً منهم، وكان في الأسرى سفانة ابنة حاتم الطائي (كريم العرب)، فلما قامت بين يدي رسول الله ﷺ أكرمها إليها ثم أطلقها، فأخبر بذلك أخوها عدي بن حاتم فسارع إلى رسول الله ﷺ، فلما لقيه أكرمه وأحسن وفادته ثم أخذه إلى منزله، فلقيته في الطريق امرأة عجوز، فأخذت تسأل النبي ﷺ وهو ينصت لها ولا يأنف منها حتى طال مقامها، قال عدي: فوق حب النبي ﷺ في قلبي وقلت في نفسي: هذا خلق الأنبياء لا خلق الملوك، ولما دخلا البيت تناول ﷺ وسادة فقدمها لعدي وجلس هو على الأرض، فزاد حب عدي للنبي ﷺ.

الداعية الحق .

صورة ناطقة عن الإسلام

في سائر أقواله وأحواله.

ثم جلس رسول الله ﷺ يحاوره في النصرانية، وطال مجلسهما، وما زال به حتى هداه الله للإسلام، وعاد عدي إلى قومه داعياً أميناً، وثبت على إيمانه يوم الردة، وحمل زكاة طيء إلى أبو بكر، وشهد المشاهد في العراق، وروى الحديث عن النبي ﷺ.

إلى اليمن:

وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليمن رسولين ثم عززهما بثالث: أرسل أولاً: معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري، وجعل كل واحدٍ منهما على مخلاف من مخاليف اليمن، وكان اليمن مخاليفين-أي قسمين-وأمرهما بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرهما فقال: "يسرّوا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا".

ومضى الداعيان العظيمان، كل منهما في المخلاف الذي حدده رسول الله ﷺ، وصارت بيوتهما قبلة لأهل اليمن، يرحلون إليها فيتعلمون أمر دينهم ويسلكون إلى ربهم، وصارت وفود اليمن تقدم إلى المدينة تبايع النبي ﷺ، وتدخل في الإسلام بدعوة أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، رغم أن أبا موسى كان عمره لا يزيد على 28 سنة.

كما أن معاذاً كان يبلغ من العمر 27 سنة.

الشباب . . عماد الدعوة الإسلامية  
وعلى أكتافهم تقوم أعظم حركات الإصلاح.

وكانت بعض قبائل اليمن قد سبق منها الإيمان والتصديق، ولكن لم يكن اليمن ليصبح إقليمياً إسلامياً خالصاً لولا جهاد هذين الشابين الناجحين من دعاة الإسلام ورجاله.

إلى همدان:

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى همدان- خاصة وهي كبرى قبائل اليمن أرسل علي بن أبي طالب في جماعة من الدعاة، فيهم: البراء بن عازب، وكان خالد بن الوليد قد أقام في همدان ستة أشهر من قبل فلم يفلح في دعوتهم للإسلام. فلما وصل علي بن أبي طالب إلى القوم خرجوا إليه، فصف أصحابه صفاً واحداً ثم تقدم فصلّى بهم ركعتين، وهمدان ينظرون ويعجبون، حتى إذا أخذ الجلال مأخذه من القوم وانشرحت صدورهم لرسول الهداية والخير تقدّم علي بن أبي طالب فأمرهم ونهاهم وبشرهم وأنذرهم، وكان قد أوتي من الفصاحة والبلاغة ما لم يؤته إلا رسول الله ﷺ. فلما اطمأنت قلوب القوم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ يدعوهم فيه إلى الإسلام، فأسلمت همدان جميعاً.

الداعية الحكيم بارع في إلقاء الموعدة

لا يلقي بذار الحكمة إلا بعد أن يهيئ الأرض الصالحة.

فكتب علي إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلام القوم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً لله، ثم رفع رأسه وقال: "السلام على همدان السلام على همدان".

وأقام علي في القوم مدة يعلمهم الإسلام، ويرسل دعائه في أطراف البلاد حتى دخلت همدان وما حولها في الإسلام، وراحت رسلهم إلى النبي ﷺ في المدينة تبايعه على الإسلام على ما سنبيه في خبر الوفود- إن شاء الله-.

### وفود العرب:

كان الدعاة الذين انتشروا في الآفاق بدءاً من السنة السادسة للهجرة عقب صلح الحديبية قد أدوا رسالتهم على أتم وجه، وبدءاً من السنة السابعة صارت وفود القبائل العربية التي اهتدت بالدعاة تصل إلى المدينة المنورة، لتبايع النبي ﷺ وتحظى بصحبته ولقياه.

وفي الحق فإن تاريخ هذه الوفود لم يدرون على وجه الدقة، وإنما نلتقطه التقاطاً من كتب السيرة التي أوردته متناثراً بين السنين، ولكنه بمجمله يرسم لنا صورة صادقة عن تأثير أولئك الدعاة في مختلف الأماكن التي نزلوها، وبه تعلم أن السبيل الأول لنشر الإسلام في سائر بقاع الجزيرة العربية إنما كان الحجة والإقناع، وليس القتال والسيف، وإن كان السيف قد جرد في كثير من المواطن، فإنه كان لحماية الدعوة والدعاة، والدفاع المشروع عن النفس، ولم يكن في يوم من الأيام عدواناً بادئاً.

### وفد الأزد:

كانت منازل الأزد بين عمان وحضرموت إلى جوار جبل يقال له: "كشر"، وكان أول من أسلم منها "صرد بن عبد الله الأزدي" في وفد من أصحابه، قدموا فبايعوا النبي ﷺ، فأرسلهم النبي ﷺ إلى بلادهم دعاة مصلحين، فساروا فيهم بسيرة النبي ﷺ، فأمنت طائفة من قومهم وكفرت طائفة، وما زالوا بهم حتى وقعت بين الحيين وقعة كانت العاقبة فيها للمتقين. وجرت الوقعة في مدينة قريبة من "كشر" اسمها جُرش.

{ أَلَمْ (1) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }.

وبعد الوقعة كسرت شوكة المشركين، وزال خوف الضعفاء من بطشهم وعلوهم، فتحول أكثر الأزد والجرشيين والختعميين إلى الإسلام، ووفدوا على النبي ﷺ فبايعوه، فأحسن ضيافتهم وجائزتهم وقال لهم: في أي بلاد الله جبل "شكر"؟

قالوا: يا رسول الله في بلادنا جبل يقال له "كشر". قال: إنه ليس بكشر بل هو "شكر"، وسمي الجبل في يومها "جبل الشكر"، وعادت وفود الأزد إلى بلادهم وأميرها "صرد بن عبد الله الأزدي"، ولا زال "صرد" عاملاً على جرش لرسول الله ﷺ حتى توفي.

وفد بني عبد القيس:

كان بنو عبد القيس من "ربيعة" وكان النبي من "مضر"، ومضر وربيعة أعظم حين من أحياء العرب، وقد قام التنافس الشديد بينهما في الجاهلية، حتى صار الجمع بين الحيين ضرباً من المستحيل.

وكانت منازل بني عبد القيس قريباً من البحرين، وكانت النصرانية قد تسربت من نجران إلى بعض بيوت بني عبد القيس، فأضعفت في نفوسهم العصبية الوثنية التي كانت فاشية في أحياء العرب.

وقد وصل بعض دعاة رسول الله ﷺ إلى نواحي منازل بني عبد القيس، فانتظر حكماؤهم دخول الأشهر الحرم، حيث توجه وفد منهم إلى المدينة المنورة وفيهم زعيمهم: الجارود بن بشر بن المعلى، وكان رجلاً نصرانياً، فأنزلهم النبي ﷺ في المسجد، وضرب لهم فيه قبة خاصة، وأحسن ضيافتهم، وخلا بهم مراراً يدعوهم إلى الإسلام حتى شرح الله صدورهم للحق، فأمنوا جميعاً ثم انقلبوا إلى بلادهم ينشرون الإسلام في كل وجه.

{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}.

### إسلام دوس:

كانت منازل دوس في اليمن، وهي بطن من بطون الأزد. وكان أول من أسلم من دوس "الطفيل بن عمرو الدوسي"، وكان امرئاً شاعراً حكيماً مطاعاً في قومه، قدم مكة ورسول الله ﷺ فيها قبل أن يهاجر، ولما وصل مكة أحاطت به قريش تحذره أمر النبي ﷺ، ولم يزالوا به حتى حشا آذانه بالكرسف

لئلا يسمع صوت النبي ﷺ، غير أنه أعرض عن ذلك ونزع الكرسي من أذنيه وقال: والله إني لرجل لبيب شاعر ولا يخفى علي أمر هذا الرجل، فما يمنعني أن أسمع ما يقول؟ فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته.

لا شيء أخوف على الباطل من مواجهة الحق  
ولا شيء أشهى للحق من مقارعة الباطل.

ثم مضى إلى بيت النبي ﷺ فخلا به، وجعل يسأله عن الإسلام ورسول الله ﷺ يخبره ويدعوه، ويتلو عليه من القرآن الكريم حتى شرح الله صدره للإسلام، فأقام في مكة أياماً يتعلم خلالها أمر دينه، ثم غدا إلى دوس بعد أن استأذن رسول الله ﷺ في دعوتهم للإسلام، فأذن له وباركه ودعا له.

وبدأ الطفيل بدعوة عشيرته وخاصته، فدخل أهله في الإسلام، ثم بدأ بدعوة قومه فتأخروا عنه وامتنعوا منه، وإنما أخرجهم عن الإسلام انغماسهم في الزنا والشهوات، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره خبرهم، وسأله أن يدعو عليهم، فقال النبي ﷺ: "اللهم اهد دوساً، اللهم اهد دوساً" ثم قال للطفيل: "ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله تعالى وارفق بهم".

الإيمان حبيب قريب . .

وإنما يحول بين الناس وبين الهدى

مواقع الشهوات في نفوسهم.

ورجع الطفيل إلى دوس بعد أن أقام أياماً عند النبي ﷺ، تعلم من بره وحكمته ودعوته، واستأنف الدعوة في قومه من جديد، يستأني بهم ويفرق،

وما زال بهم حتى تحولوا إلى الإسلام راغبين، وكان من أشهر من آمن بدعوة الطفيل: المحدث الكبير أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي.

وعند انصراف النبي ﷺ من فتح خيبر وصل إلى المدينة وفد دوس، وأميرهم الطفيل وفيهم أبو هريرة، فخرج بهم النبي ﷺ وأكرمهم وقسم لهم من غنائم خيبر، وخلف فيهم من أصحابه من يعلمهم ما نزل من القرآن الكريم.

إسلام طيء:

تنتشر قبائل طيء في منطقة الأحساء جنوب بادية الشام، وقد بدأ الإسلام في حاتم الطائي الذي صار مضرب المثل في الكرم والجود، غير أنه لم يدرك النبي ﷺ.

أما ولده عدي بن حاتم خليفته في الكرم والسؤدد، فأليك خبر تحوله إلى الإسلام كما يرويّه بنفسه "من رواية البخاري":

قال عدي بن حاتم: "لما بعث النبي ﷺ كرهته كراهية شديدة، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشد مما كرهته فقلت: لو أتيتته فإن كان كاذباً لم يخف عليّ وإن كان صادقاً اتبعته، فأقبلت فلما قدمت المدينة استشرفني الناس، فقالوا: عدي بن حاتم فقال لي: يا عدي أسلم تسلم، قلت: إن لي ديناً قال: أنا أعلم بدينك منك، ألسنت ترأس قومك؟ قلت: بلى، قال: ألسنت تأكل المربع؟ قلت: بلى، قال: فإن ذلك لا يحل لك في دينك، .

الداعية الحكيم واسع الثقافة والمعرفة



يعرف شرائع الأولين كما يعرفها أربابها  
ثم يحاكمهم إلى شريعة الحق.

ثم قال: أسلم تسلم قد أظن أنه إنما يمنعك غضاضة تراها ممن حولي، وأنتك تركت الناس علينا إلباً<sup>(1)</sup> واحداً، قال: هل أتيت الحيرة؟ قلت: لم آتها وقد علمت مكانها، قال: يوشك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز، فقلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته، قال عدي: فرأيت اثنتين الظعينة وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة".

وأقام عدي في المدينة زمناً يتعلم من النبي ﷺ، ثم انقلب إلى قومه وقد فشا فيهم الإسلام، فأقام فيهم يدعوهم ويعلمهم حتى دخلوا جميعاً في الإسلام. وفي السنة العاشرة، حضر وفد طيء إلى النبي ﷺ ولم يكن فيه عدي بن حاتم، بل كان فيه زيد الخيل وهو من رؤساء طيء وأجوادها، ولما دخل على النبي ﷺ سماه: زيد الخير وقال: "ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيتته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه".

الإسلام شريعة النفوس السامية.  
وخيار الناس وأجوادهم أقربهم إلى الهدى والنور.

(1) إلباً واحداً: من التائب، وهو الاجتماع على الأذى.

وبعد موت النبي ﷺ ارتدت طيء إلاّ عدي بن حاتم الذي نشط في هدايتهم وإصلاحهم، وحمل زكاة قومه إلى أبي بكر، وما زال يستأني بهم ويترفق حتى ردهم إلى الإيمان.

وإذا لم يكن دخول طيء في الإسلام على يد عدي وحده فقد كانت توبتهم من الردة، وعودتهم إلى الإسلام على يد عدي بن حاتم وحده بلا ريب.  
**إسلام كندة:**

كندة من أكبر قبائل العرب، وزعماء كندة من بين سائر العرب كانوا يسمون بالملوك "ملوك كندة"، وكانت منازلهم شرق الطائف، غير أنه لم يكن للروم ولا للفرس عليهم أي سلطان. وكانت لهم عاصمة مركزية اسمها "الفاو" وهي اليوم قرية صغيرة. وقد وصل دعاة النبي إلى كندة بعد صلح الحديبية، كما كان لخروج النبي ﷺ إلى تبوك في السنة التاسعة، وتحالفه مع القبائل من حول كندة أثر في تحديد موقفهم من النبي ﷺ.

وقد حضر وفد كندة إلى النبي ﷺ في ثمانين راكباً، رئيسهم الأشعث بن قيس، وهو من أجود العرب وفرسانهم، وكانت بينه وبين العباس بن عبد المطلب تجارات، فجعل النبي ﷺ يذكره بها ملاطفاً مباسطاً، وأحسن النبي ﷺ نزلهم وأكرم وفادتهم، وعرف لهم قدرهم، وأقاموا في المدينة أياماً يتعلمون الإسلام.

الداعية الحكيم أليف ودود

ينزل الناس منازلهم ويعرف أقدارهم  
ويشدهم بوشائج الذكرى والقربى والرحم.

### إسلام بنو حارث بن كعب:

كانت بنو الحارث بن كعب من أمتع قبائل العرب وأقواها، وكانت منازلهم بنجران حصينة قوية، نفرتهم نفرة رجل واحد لا يظلمون ولا يُظلمون. ولا شك أن قوماً هذه أخلاقهم ومكارمهم أسرع استجابة للحق من غيرهم، فأرسل إليهم النبي ﷺ مجموعة من الدعاة بإمرة خالد بن الوليد، فانطلقوا يضربون في كل وجه في نجران، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وخلال شهور قليلة تحول بنو الحارث بن كعب إلى الإسلام، حتى اشتد إيمانهم، فانصرفوا وقد أمر عليهم النبي ﷺ قيس بن الحصين، وصارت منازلهم مركزاً لنشر الدعوة في جنوب الحجاز.

تجدون الناس معادن  
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا  
فقهوا.

### إسلام حمير:

حمير أعرق الحواضر العربية في الجنوب، وتاريخ حضارتهم طويل وحافل، وقد كان ملوك حمير يسيطرون على أكثر أرض اليمن من سواد بحر العرب، ولم يُسجل وفود دعاة عليهم قبل دخولهم في الإسلام، ويبدو أن إسلام القوم لم يكن عن معرفة ويقين، بل كان عن اعتبار سياسي، إذ ظهر لهم تحول أكثر

العرب إلى الإسلام وانحسار جيوش الروم أمام جيش النبي ﷺ، فأحبوا أن يدخلوا فيما يضمن لهم مواقعهم ومصالحهم.

فأرسلوا رسولاً إلى النبي ﷺ نبأ دخولهم في الإسلام، ومفارقتهم للشرك، فوصل إلى المدينة عقب عودة النبي ﷺ من تبوك.

وقد أدرك النبي ﷺ دوافع القوم في تحولهم إلى الإسلام، فأرسل إليهم كوكبة من الدعاة العلماء فيهم: معاذ بن جبل، ومالك بن عباد، وعقبة بن عمرو، ومالك بن عبدة، وعبد الله بن زيد، ومالك بن مرارة وهو رسول القوم وغيرهم.

الداعية الحق بصير حكيم  
لا تأخذه روعة النطق بكلمة الحق  
عن دراسة دوافع قائلها وآرهم  
وإنما يكون إصلاحه في إكمال ما بدؤوه. وتوجيه ما  
عمروه.

وانطلقت كوكبة الدعاة في اليمن تؤدي رسالتها في الدعوة والبلاغ تحت حماية ملوك حمير، الذين أعلنوا إسلامهم: زرعة ذي يزن، الحارث بن عبد كلال، نعيم بن عبد كلال، النعمان ذي رعين.

ولم يمض وقت طويل حتى أرسل النبي ﷺ مجموعة أخرى من الدعاة، فيهم عمرو بن حزم، تشد أزر الجماعة الأولى، وتبلغهم ما نزل من أحكام شرعية، وزوده النبي ﷺ بكتاب حافل، فيه تفصيل كثير من أحكام الإسلام. ولا شك أن هؤلاء الدعاة السبعة الذين ذكرنا أسماءهم ليسوا وحدهم الذين اهتمت بهم

اليمن وحضرموت، بل هناك أسماء أخرى ساهمت في ذلك الإصلاح العظيم نسيها التاريخ.

ولئن أغفلتها كتب المؤرخين فإنها لم تسقط من ديوان رب العالمين.

### إسلام بني سعد بن بكر:

يعتبر بنو سعد بن بكر بطناً من بطون هوزان، وهم الذين أرضعوا النبي ﷺ، وكانت منازلهم بين الحجاز ونجد.

ولما خرجت سرايا الدعوة في الآفاق، نزل منهم طائفة في بني سعد بن بكر فأقاموا فيهم يدعوهم إلى الله، غير أن القوم لم يطمئنوا لحديثهم، فأرسلوا وافدهم إلى النبي ﷺ وهو "ضمام بن ثعلبة"، فجاء حتى قدم المدينة فانتهى إلى النبي ﷺ، فجعل يستحلفه ويستوثق منه في شأن الرسالة والدعوة، وكان ضمام شديداً في مساء لته فكان مما سأله قال:

أنشدك بالله إلهك وإله أهلك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك: الله بعثك إلينا رسولاً، قال: اللهم نعم.

ثم سأله عن فرائض الإسلام فريضة فريضة، وتعلم الحلال والحرام وتلاوة القرآن. وأقام ضمام في المدينة المنورة زماناً يستمع فيه إلى النبي ﷺ، ويصحب أصحابه حتى استقر في قلبه صدق النبي ﷺ، وامتلاً قلبه إيماناً وحناناً، ثم استأذن النبي ﷺ في الخروج إلى قومه ودعوتهم، فأذن له النبي ﷺ فانطلق إليهم، فما تلبث إلا قليلاً حتى شرح الله صدورهم للإسلام، وما أمسى أحد في بني سعد بن بكر إلا دخل في الإسلام.

كلمة الحق من فم المخلص الأمين  
قريبة حبيبة من قلوب العالمين.

إسلام تجيب:

قدم وفد نجيب من اليمن وعدده ثلاثة عشر رجلاً، ولسنا ندري سبب دخولهم في الإسلام، ولا أسماء الدعوة الذين اهتموا بهم، وأغلب الظن أنهم اهتموا بدعوة معاذ بن جبل وأصحابه، وقد حضروا إلى المدينة المنورة فلقوا رسول الله ﷺ، وسمعوا من أصحابه وسألوا عن علم كثير من الكتاب والسنن. ثم تعجلوا فبادروا إلى رحالهم، فقبل لهم: ما يعجلكم؟ قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا إياه وما رد به علينا". وانقلبوا إلى حيهم دعاة مصلحين، وقد رأت أعينهم مجتمع الهدى الحق، وما زالوا في قومهم بالدعوة والهداية حتى تحولت تجيب كلها إلى الإسلام. وقدام وفد تجيب على النبي ﷺ مرة أخرى في حجة الوداع.

إسلام بلي:

كانت منازل بلي في اليمن وكانوا قوماً أهل جود وكرم وضيافة. وقد قدم وفدهم بدعوة من الصحابي الجليل رويفع بن ثابت البلوي المقيم في المدينة المنورة.

وقد نزل القوم عند رويفع، وكان قد سبق لهم أن سمعوا عن النبي ﷺ من خلال دعواته المنتشرين في الآفاق، فلما نزلوا عند رويفع وهو من قومهم،

فوعظهم وحذرهم وأنذرهم، ثم قدم بهم على النبي ﷺ مسلمين طاهرين وقال:  
هؤلاء قومي يا رسول الله.

المؤمن الصادق. . يحب قومه وهو إليهم حبيب  
وينفق من ماله ونفسه في هدايتهم إلى الله.

فسرّ بهم النبي ﷺ وحدثهم وعلمهم، ثم جعل يزورهم في دار رويغ حيث  
نزلوا أياماً في ضيافته. وهكذا فقد جعل رويغ داره مقراً لنشر الهداية واستقبال  
ضيوف الإسلام.

وانقلب وفد بليّ بعدئذٍ إلى بلادهم دعاة مصلحين، حتى تحولت بلي كلها  
إلى الإسلام.

إسلام صداء:

كانت منازل صداء باليمن كبيرة واسعة، وكان أول من أسلم منهم زياد بن  
الحارث الصدائي، وكان رجلاً مطاعاً في قومه، أسلم بعد عمرة القضاء، ثم مضى  
إلى بلاده فأخبر قومه بخبر الإسلام، وجاء بوفد منهم يعد خمسة عشر رجلاً،  
فبايعوا النبي ﷺ.

واستأذن سعد بن عبادة سيد الخزرج النبي ﷺ في استضافة الوفد فأذن له،  
فأنزلهم عنده، فأكرمهم وأحسن وفادتهم، وكان سعد من أجواد العرب وأشرفهم.

المؤمنون أعوان على الخير  
الدعوة إلى الله واجب لا يتخلف عنه أحد والمؤمن  
الحق. . حريص على أداء واجبه في البلاغ.

وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يترددون على دار سعد، ويتعاونون في إكرام الوفد وتعليمهم أحكام الإسلام، وإقراءهم للقرآن، وما زالوا بهم، حتى خرجوا من المدينة دعاة عاملين، تفيض نفوسهم بالإيمان، وراحوا يضربون في أرض صداء يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد نحو عامين من الدعوة المستمرة جاء وفد من صداء يعد مائة رجل، فلقوا النبي ﷺ في حجة الوداع، فبايعوه عن سائر "صداة" بيعة الإيمان، وانقلبوا إلى بلادهم بنعمة من الله وفضل، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم.

### إسلام غفار وأسلم:

كانت مضارب غفار على طريق التجارة إلى الشام، إلى جوار مضارب أسلم، وكان الحيان لهما منعة في الجاهلية. وقد أسلمت غفار وأسلم، بدعوة أبي ذر: جندب بن جنادة الغفاري، وكان رجلاً متأهلاً في الجاهلية صادق اللهجة سليم الطوية، جاءه أخوه أنيس وكان قافلاً من مكة فقال له: قد رأيت بها رجلاً يسمى بالصائب أشبه الناس بك يا أبا ذر.

فمضى أبو ذر حتى وصل مكة، فنزل عند علي بن أبي طالب فأكرمه وأحسن نزله، ثم أتى به النبي ﷺ بعد ثلاث، فسمع منه حتى اطمأن قلبه، ثم دفعه النبي ﷺ إلى أبي بكر، فما زال به يدعو إلى الإسلام، ويناجيه هو وعلي حتى شرح الله صدره للإسلام.

وأقام أبو ذر بمكة أياماً، يسمع من النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعلي حتى أشرفت نفسه ورق قلبه، فاستأذن النبي ﷺ في دعوة غفار، فأذن له فمضى



إلى قومه يدعوهم إلى الله، فأسلم أخوه ثم أمه ثم عشيرته حتى أسلمت غفار كلها، فوفد بهم مهاجراً إلى رسول الله بعد بدر، فأقام منهم من أقام ورجع منهم من رجع. وقد تأثرت قبيلة أسلم بدعوة أبي ذر أيضاً، فجاء معه أشرفها يبائعون النبي ﷺ، فقال لهم رسول الله: "غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله"

العارف بالله.. . فاعل بطبعه  
إذا سكت احترق... وإذا نطق احترق

وبعد... هذه أخبار الإسلام ثلاث عشرة قبيلة عربية كبرى تحولت كلها إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال دعاة رسول الله ﷺ الذين بثهم في الآفاق. وقد رأيت من قبل تحول المدن الكبرى الثلاثة: مكة والطائف والمدينة إلى الإسلام.

وهناك قبائل أخرى ذكرت أخبارها كتب السير مثل: غامد وسلامان والنخع وعذرة وبهراء وخولان ومحارب وفزارة، أعرضنا عن ذكرها لأنه لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية التي ترسم صورة تحول تلك القبائل إلى الإسلام. والمؤسف أن أخبار إسلام القبائل لم يدون بشكل دقيق فقد كان الدعاة يخرجون إلى القبائل بدعوتهم إلى الله، فيختلطون بالناس، وقد تطول غيبتهم وقد يدركهم الموت، وربما عدا عليهم أشرار الناس فقتلوهم فيطويهم تاريخ الصحراء الصامت، ويسقطون في سفر التاريخ، وتنسأهم الأيام، سيما وإن تربيتهم كانت على أساس الإخلاص لله وحده، والإعراض عن مظاهر الرياء.

ولكن هذه الأسماء العظيمة خالدة ولا شك في سفر الملكوت الأعلى عند من لا يضيع عنده أجر المحسنين.

### موت النجاشي:

وفي رجب من هذه السنة، مات ملك الحبشة "النجاشي" أصحمة بن الأبحر، فحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً، لما بدر منه من صدق وعناية بالصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة، ونعاه إلى أصحابه، وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه صلاة الغائب.

وحين مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبحر النجاشي قوموا بنا نصلي عليه، فقال قوم من الصحابة كيف نصلي على رجل نصراني ليس على ديننا؟ فانزل الله تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله شريع الحساب)

### آل عمران 199

ثم قال قوم: يا رسول الله إنه لم يكن يستقبل قبلتنا، فقد كان يصلي إلى بيت المقدس!

فأنزل الله تعالى: والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع

### عليم) البقرة 115

## غزوة تبوك:

لقد دانت عاصمة الجزيرة العربية مكة لرسول الله ﷺ، وهاهو الإسلام يعم جزيرة العرب وييسط نور الله ورحمته عليها، وهذا ما كان يؤرق دولة الروم في الشمال، فقيام دولة العرب الموحدة في جوارهم يعد ضرباً لمصالحهم في جزيرة العرب، وتهديداً لاستبدادهم وظلمهم في بلاد الشام.

وراحت أنباء ظهور الإسلام في كل مكان من جزيرة العرب تطرق مسامع ملوك الروم، وكان قد زاد من رعبهم تلك الرسالة التي وجهها النبي ﷺ -إلى ملكهم في السنة السابقة يدعوه فيها إلى الإسلام، فأرأوا أنه لا مجال أمامهم إلا أن يقضوا على تلك الرسالة قبل أن تقضي على جبروتهم وملكهم.

مجتمع الإسلام مجتمع محبة وسلام  
لكنه لا يواجه مكائد الطاغوت بطيب قلبه وحسن ظنه...  
بل يعدُّ عدة اللقاء كما تقتضي ضرورة المواجهة.

{وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ}

وكان يوم مؤتة تجربة قاسية للمسلمين، ولكنه أفهم الروم أن المسلمين ليسوا لقمة سائغة تسخرها رومية في هواها كما هو حال حلفائها من العرب الغساسنة. ورأوا أن ثلاثة آلاف من المسلمين استطاعت أن تقف في وجه مائة ألف منهم يوم مؤتة، ثم بلغ الروم نبأ فتح مكة فأخذوا يجمعون الجيوش، ويعدون العدة لحرب رسول الله ﷺ.

وبلغ ذلك النبي ﷺ فأخذ يستعد لهذه الحرب فأرسل إلى القبائل المسلمة المجاورة، يدعوهم فيها إلى الخروج، وأمرهم بالصدقة، وحث الموسرين على تجهيز المعسرين، فتبادر الناس ينفقون أموالهم ويتنافسون في تجهيز الجيش.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي فقال لي رسول الله ﷺ: "ما أبقيت لأهلك؟" فقلت: مثله، وأتى أبو بكر ما عنده فقال: "يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟" فقال: "أبقيت لهم الله ورسوله، فقال عمر: لا أسبقه إلى شيء بعدها أبداً.

المؤمن الحق .

لا يضمن بنفسه وما له في سبيل الله

{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ }

وتصدق عثمان بعشرة آلاف دينار وثلاثمائة بغير بجهازها، حتى قال رسول الله ﷺ: لا يضر عثمان ما فعل بعدها، وتصدق كذلك عبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم بالمال الكثير، وساهمت النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن، حتى أن المرأة كانت تلقي في ثوب مبسوط أمام رسول الله ﷺ ما معها من الأساور والخلاخيل والقلائد والأقراط.

ومع هذا لم تكف النفقة لهذا الجيش، فقد جاء نفر من فقراء المدينة إلى رسول الله ﷺ، يسألونه أن يحملهم على ما عنده من الركائب، فجعل يقول لهم

ولا أجد ما أحملكم عليه، فينصرفون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على ما فاتهم من شرف الجهاد، وصحبة النبي ﷺ في غزوة تبوك حتى سمو "البكائين".

المؤمن الصادق.. .

يسارع إلى الجهاد مسارعة الناس إلى الحياة  
ويشتاق إلى الله شوق الناس إلى العافية.

وجاء المنافقون والمعذرون من الأعراب، وأخذوا يلتمسون الأعذار أمام رسول الله ﷺ، ويستأذنون في القعود فيأذن لهم لا يبالي بهم. وعسكر رسول الله ﷺ بثلاثين ألفاً من المسلمين في ثنية الوداع، وعسكر قريباً منه عبد الله بن أبي سلول في جمع من أصحابه المنافقين، فلما سار رسول الله ﷺ بالجيش، تخلف ابن أبي مع أصحابه ليثبط من همة المسلمين، وكان الناس كلما قالوا لرسول الله ﷺ تخلف فلان أجاهم: "دعوة فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه".

ومضى جيش العسرة: عسرة كل شيء: السفر بعيد باتجاه الشام، والوقت صيف، والحر شديد، والرواحل لا تكفي المسلمين حتى كان الاثنان والثلاثة يتعاقبون على البعير، والماء قليل، والزاد يسير حتى أن النفر كانوا يتداولون التمرة بينهم، يمصها الأول ثم يشرب عليها ثم يمصها الثاني ويشرب عليها على قلة من الماء، ثم استسقى رسول الله ﷺ ربه فما أسرع ما جاء الغيث، فارتوى وارتوى أصحاب النبي ﷺ.

وتأخر أبو خيثمة عن الجيش وبقي مع أهله، فرجع يوماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأته في بستان له، وقد هيأتا له مجلساً وبرّدتا الماء وجهازتا الطعام، فنظر أبو خيثمة وقال: رسول الله في لهب الشمس والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالعدل، فأسرع ليلحق برسول الله ﷺ حتى أدركه في تبوك فدعا رسول الله بخير.

المؤمن قد تضعف همته يوماً.

لكن ما إن يستيقظ في قلبه الإيمان، حتى يستعيد همته وعافيته

{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }

ووصل رسول الله ﷺ تبوك، حيث كان قد بلغه اجتماع الروم فلم يجد فيها أحداً، وكانت جموع الروم قد تفرقت لما بلغها مقدم النبي ﷺ، فمكث شهراً في تبوك يرسل دعواته وسراياه إلى القبائل على أطراف الشام، فممنهم من دخل في الإسلام ومنهم من عاهده النبي ﷺ على شروط يؤديها. ولم يرجع النبي ﷺ حتى ضمن لدولة الإسلام حدوداً آمنة على طول حدود بلاد الروم. وخلال رجوعه ﷺ، نزل عليه ما نزل من سورة التوبة (الفاضحة)، يفضح المنافقين والمتخلفين عن رسول الله ﷺ، وكانت سورة التوبة من أشد ما نزل في المنافقين.

وكان أصحاب النبي ﷺ يقولون: ما زلنا نقرأ في سورة التوبة مما نزل في المنافقين: ومنهم. . ومنهم. . ومنهم حتى خشينا ألا يبقى منا أحد!...

تخلف كعب بن مالك وصاحبيه:

لم يتخلف في هذه الغزوة عن رسول الله ﷺ أحد إلا منافق أو معذور وثلاثة من المؤمنين الصادقين: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولترك الحديث لكعب يحدثنا عن خبر تخلفه:

يقول كعب: كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن النبي ﷺ يوم تبوك. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وري بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ-يريد الديوان-قال كعب: فما رجل يريد أن يغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أتجهز بشيء، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه. فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد للناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً.

فقلت أتجهز بعده ليوم أو يومين، ثم ألحقه فغدوت بعد أن فصلوا-خرجوا من المدينة-لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً. ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً.

فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن ارتحل فأدرکه، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكننت إذا خرجت في الناس- بعد خروج رسول الله ﷺ - فطفت فيهم، أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرنني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أطل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له- وكانوا بضعة وثمانين رجلاً- فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله. فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد اتبعت ظهرك- يعني اشتريت ناقة تملكك-؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه



بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

المؤمن واضح صريح مع قيادته  
ينظر إلى مريية نظرة المريض إلى الطبيب  
لا يكذبه ولا يكتمه.

فقال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك". فقامت. وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي. ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقليل لهما مثل ما قيل لك. فقلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين قد شهدا بداراً لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الدنيا-تغيرت علي الدنيا- فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهم يبيكان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج

فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام.

فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم.

المسلمون في طاعتهم وولائهم أمة واحدة لا تبلغ بهم عواطفهم-مهما رقت- حداً يخرجون به عن الطاعة بالمعروف.

ففاضت عيناى، وتوليت حتى تسورت الجدار...

قال: فينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له: حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك.

المؤمن ممتحن.

ومحنة العطاء أخطر من محنة الحرمان.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء. فتيممت بها التّور فسجرتة بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ

يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

ولاء المؤمن لقضيته ورسالته  
قبل كل ولاء، وفوق كل انتماء.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك. قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى-قام-على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر... قال فخرت ساجداً، .

المؤمن يفرح بمغفرة الله.  
فرحاً يشغله عن كل نعيم.

وعرفت أن قد جاء فرج. وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوباً، فكسوته إياهما ببشراه. والله ما أملك غيرها يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فرحاً يهنئوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو برق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، .

التوبة النصوح غالية عزيزة

لا ينالها إلا من تخلص من هوى نفسه.

قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي يخير، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من

المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث- منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ- أحسن مما  
أبلايني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني  
لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت.  
وأنزل الله على رسول الله ﷺ:

{ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ  
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (1).

فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط- بعد أن هدايني للإسلام- أعظم، في نفسي  
من صدقي لرسول الله ﷺ ألا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله  
قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى:

{ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ  
وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (95) يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا  
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (2).

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله  
ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله  
فيه، فبذلك قال الله:

(1) سورة التوبة: 117.

(2) سورة التوبة: 95.

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (1).

وليس الذي ذكر الله خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

وهكذا فقد رجع النبي ﷺ إلى المدينة من تبوك في أواخر شعبان وقد ضمن حدود الدولة الإسلامية من جهة الروم، وقطع كثيراً من أحلافهم في العرب. وظهر للناس أن سلطان دولة الروم قد أخذ يتراجع أمام سلطان دولة الحق، ولم يعد الخوف يمنع أحداً من الدخول في الإسلام بعد أن تبين لهم الهدى والحق. وعاد النبي ﷺ إلى المدينة ليجد وفود العرب في انتظاره فيها، وليستأنف رسالته في الدعوة والبلاغ من جديد.

وفد ثقيف:

كان النبي ﷺ قد انصرف من غزوة الطائف وثقيف في حصونها عند اقتراب دخول الشهر الحرام ذي القعدة، وإنما تركهم رجاء أن يصرف الله قلوبهم عن غوايتهم إلى الحق المبين.

فما لبث أن جاءه عروة بن مسعود الثقفي، وهو من رؤوس ثقيف وخيارهم، فأقام في المدينة ما شاء الله، ثم اطمأن قلبه بالإسلام فأسلم بين يدي النبي، ثم سأله أن يرجع إلى قومه ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام، فقال له النبي ﷺ مشفقاً عليه: "إنهم قاتلوك" ولكن عروة وقد أشرق في نفسه الإيمان، وغلبه الحنان على قومه،

(1) سورة التوبة: 118.

رجا أن يهديهم الله عز وجل كما هداه، وذكر حبهم وإعظامهم له فعاد يستأذن النبي ﷺ في دعوتهم وقال: "يا رسول الله لو وجدني قومي نائماً ما أيقظوني"، فقال له النبي ﷺ: "أنت وذاك".

فخرج يدعوهم إلى الإسلام، فما تلبثوا حتى رموه بالنبل من كل وجه فأصابوه، فقال وهو في سكرات الموت: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي.

فقال فيه رسول الله ﷺ: "إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه".

ثم أقامت ثقيف على ذلك شهراً، ثم شرح الله صدورهم للإسلام، ورأوا أن العرب تدخل فيه أفواجاً، وأيقنوا أن لا عزة لهم بعدئذٍ إلا بالإسلام، فأرسلوا عبد يليل بن عمرو إلى المدينة المنورة مفاوضاً، يضمن لثقيف امتيازاتها في جزيرة العرب، ولما حضر وفد ثقيف أكرمهم النبي ﷺ وسر بهم، وضرب لهم خيمة في ناحية المسجد رجاء أن تلين قلوبهم للإسلام بما يرون من سلوك أصحاب النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يدخل الإيمان إلى قلوبهم من أعينهم قبل أن يدخله من آذانهم.

وكان هؤلاء يترددون على رسول الله ﷺ، ويخلفون في رحالهم عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سناً، فكان عثمان إذا رجع قومه إلى رحالهم مضى إلى رسول الله ﷺ يتعلم من القرآن، فإذا وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر وتعلم منه حتى تعلم شيئاً كثيراً من القرآن.

ولم يطل بهم الوقت وهم يرقبون جلال الإسلام، فما لبث الإيمان أن دخل إلى قلوبهم.

الإسلام. . أعذب من الماء البارد على القلوب الظائمة  
ما إن تراه الأنفس في جلاله وجماله. .

حتى تحن له وتستسلم إليه.

لكنهم أرادوا أن يساوموا في شيء من حقوق الدين، فطلبوا إعفاءهم من الصلاة والسماح لهم بالزنا والربا والخمر، واستأذنوه في تأخير هدم صنمهم اللات، فرفض النبي ﷺ أهواءهم، وبين لهم أن هذا الدين لا تصلح فيه الفاحشة، وما زال بهم يحاورهم ويتألفهم حتى شرح الله صدورهم للإسلام، فبايعهم النبي ﷺ وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص بما يحفظ من كتاب الله، .

أحق الناس بالإمارة أكثرهم علماً والأنساب  
والأحساب والمواهب. .  
محكومة بميزان العلم.

وأرسل في أثرهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة الثقفي وأبو سفيان بن حرب- زعيم الوثنية السابق- مع سرية من أصحابه، فهدموا صنمهم اللات، وحسن إسلامهم هؤلاء حتى قال المغيرة بن شعبة: لا أعلم قوماً من العرب كانوا أصح إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله وكتابة منهم.  
وكان هذا جواب دعوة النبي ﷺ: "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم".

**موت عبد الله بن أبي سلول:**

كان عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في المدينة، وكان لا يفتأ يكد للإسلام وللمسلمين، رجاء أن يعود إليه مجده السابق في زعامة المدينة، وكان النبي ﷺ يحسن صحبته، ويتجاوز عن كثير من مساوئه ومكائده، وكان عبد الله بن أبي كغيره من المشركين يجد في قلبه صدق النبي ﷺ، ولكن لا يجد في همته الإرادة التي تسوقه إلى الحق، فيذعن له ويؤمن به.



وبعد تسع سنين من النفاق المر، وقع الرجل في سكرات الموت، وذكر ما كان من عداوته للنبي ﷺ وأصحابه، وأيقن بما يوقن به الفاجر ساعة النزع، فأوصى ولده أن يكفنه بقميص النبي ﷺ ويرجوه في الصلاة عليه.

ولما مات عبد الله بن أبي، جاء ولده عبد الله بن عبد الله وكان شاباً صالحاً إلى النبي ﷺ فأبلغه وصية أبيه، وما أسرع ما استجاب النبي ﷺ لرجائه ونزع قميصه ودفعه إليه! فدهش الناس! وقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله أتكفنه بقميصك؟ وقد قال ما قال وفعل ما فعل؟! فقال له النبي ﷺ: يا عمر وما يغني عنه قميصي، إني لأرجو أن يدخل الله بقميصي هذا من بقي من أصحابه في الإسلام.

الدعاة. . يسخرون كل الظروف لخدمة الرسالة  
وليس من خلق الدعاة: الشماتة والانتقام.

ولما فرغوا من تجهيزه قام النبي ﷺ ليصلي عليه، فوقف عمر بينه وبين القبلة وقال: يا رسول الله أتصلي على عدو الله القاتل كذا يوم كذا؟! وجعل يعدد أيامه، فقال له النبي ﷺ: "يا عمر أحر عني إني قد خيرت فاخترت، قد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أعلم أي إن زدت على السبعين غفر له لزدت".

محمد ﷺ نبي الرحمة  
والرحمة هي صورة الإسلام الغالبة  
{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

ثم صلى عليه النبي ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره.

كان موت ابن أبي في رجب بعد تسع سنوات من النفاق المر والكيد للإسلام والمسلمين، وموته ارتاح المسلمون من رأس النفاق في المدينة، وجعل أصحابه يعجبون من حسن عهد النبي ﷺ معه، وهو أعلم بنفاقه وكذبه، فدفعهم ذلك إلى الندم على نفاقهم، وتاب أقوام منهم وصلحوا وحسن إيمانهم.

ثم إن الله عز وجل نهى نبيه ﷺ أن يصلي على المنافقين من بعد أو يستغفر لهم فقال:

{ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (1).

وكانت هذه إحدى موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حج أبي بكر:

وفي أواخر ذي القعدة، أرسل النبي ﷺ أبا بكر أميراً بالناس للحج إلى بيت الله الحرام، وبقي هو في المدينة يتابع أعمال الدعوة واستقبال الوفود، ولم يرغب رسول الله ﷺ بالخروج إلى الحج، لما كان فيه من بقايا المشركين الذين يتنسكون بغير التوحيد، وربما طافوا بالبيت عراة، ولم يكن النبي ﷺ ليصدهم للعقود التي بينه وبينهم. كما أن اشتغال رسول الله ﷺ باستقبال الوفود في هذا العام، حال أيضاً دون حجه إلى البيت الحرام.

ولما كان أبو بكر في بعض الطريق، نزل الوحي الأمين بآيات من سورة التوبة (براءة)، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب في أثر أبي بكر، وأمره أن يقرأ السورة

(1) سورة التوبة: 83.

على الناس في مجتمعهم، فقرأها عليهم وفيها أن من لم يكن في عهد مع المسلمين  
فله مهلة أربعة أشهر يخرج بعدها من الحرم، ومن كان في عهد فله إلى انقضاء مدة  
العهد، وهو قول الله عز وجل:

{وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ  
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِيرِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ} (2).

وبذلك قضى الإسلام نهائياً على معالم الشرك في مكة دون أن يغدر بأحد من  
الناس، بل أعطاهم الفرصة الكافية ليغادروا البلد الأمين، وأكمل لذوي العهود  
عهودهم وحفظ للبيت حرمة وقدسيتها.

الإسلام يحترم عهود الناس ومواثيقها  
ولا يدفعه اقتداره وهميته أن يفرط في عقود الآخرين.

وجاءت السورة أيضاً بتحريم دخول المشركين إلى البلد الحرام:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ  
هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (1).  
ومنذ أن نزلت هذه الآية العظيمة، لم يدخل أرض الحرم الآمن رجل مشرك،  
ورزق الله أهل الحرم من الغنى والمال كما وعد سبحانه وتعالى: وهو أصدق القائلين.

(2) سورة التوبة: 3.

(1) سورة التوبة: 27.

## السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلهَجْرَةِ "22 بَعْدَ البَعَثَةِ"

أهم حوادث السنة العاشرة:

- 1- اكتمال دخول الجزيرة العربية في الإسلام.
- 2- تشريع أحكام أهل الذمة و قدوم نصارى نجران.
- 3- ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.
- 4- حجة الوداع وإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية.

دخلت هذه السنة والنبي ﷺ يستقبل الوفود القادمة إلى المدينة، ويعلمهم دينهم، ويرسل معهم الدعاة والمعلمين.

وكان للصيحة التي نادى بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الحج الأكبر أثرها الكبير، فقد أحس المكابرون أنه لم يعد لهم بقاء في بلاد سادها التوحيد، وصارت وفود القبائل تقدم المدينة المنورة بعضها ليدخل في الإسلام رغباً طائعاً، وبعضها ليدخل في عقود تحالف وجوار تأتلف مع العهد الجديد، وكم من وفد جاؤوا مساومين مجادلين، فرجعوا وقد عمر الإيمان قلوبهم، ودخلوا فيما دخل الناس فيه من الحق.

## وفد نجران:

تقع نجران في شمال اليمن مما يلي الحجاز، وقد دخلت إليها النصرانية عن طريق الحبشة، وصار للنصرانية فيها معابد وكنائس، وقد جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ في المرة الأولى قبل هجرته إلى المدينة كما ذكرنا من قبل، ثم جاء الوفد مرة ثانية بعد أن أرسل إليهم النبي ﷺ كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام، فأقام الوفد في مسجد رسول الله ﷺ يأكلون ويشربون وينامون، وقاموا يصلون بصلاتهم إلى قبلتهم-بيت المقدس-فقام الصحابة ليمنعوهم، فأمرهم النبي ﷺ فتركوهم وسمح لهم بالصلاة حسب عادتهم في مسجده الشريف، .

الإسلام فتح باب الحوار مع أتباع الديانات من أوسع أبوابه  
وسجل أول دعوة تاريخية للحوار بين الديانات.

ومكثوا كذلك بضع عشرة ليلة يعرض عليهم النبي ﷺ الإسلام، ويبين لهم وهم يجادلون ويكابرون، ولما رأى أنهم لا يبتغون الحق والهدى، وإنما هم أتباع هوى أراد أن يظهر استكبارهم، فجاء بأهل بيته وطلب من الوفد المباهلة؛ والمباهلة: أن يقوم الفريقان ليهتلاان إلى الله عز وجل أن يلعن الكاذب منهما، وذلك قول الله عز وجل:

{ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا

أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (1).

فتردد القوم عن الدخول في المباهلة، وجعل بعضهم يؤخر بعضاً عن ذلك. حتى أحجموا وعرضوا على النبي ﷺ أن يقرهم في بلادهم على ما هم فيه، وأنهم يؤدون جزية بلادهم إلى المدينة، فرضي النبي ﷺ ذلك، وكتب إليهم كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتبه محمد النبي ﷺ لنجران:

"إنه لنجران جوار الله تعالى وذمة محمد النبي ﷺ وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وتبعهم، وألا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانته، وكل ما تحت أيديهم من مال، وليس عليهم ربية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطاء أرضهم جيش، .

أحكام أهل الذمة

كانت صورة من التسامح الإسلامي

مع سائر أبناء الطوائف.

(1) آل عمران: 60.

ومن سأل منهم حقاً، فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فدمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بحرب".  
ثم فصل في الصحيفة بيان ما يؤدونه من الجزية.

### ظهور مسيلمة الكذاب:

قدم مسيلمة بن حبيب في وفد بني حنيفة إلى النبي ﷺ كما قدمت وفود العرب، فنزلوا على النبي ﷺ وتحلف عنهم مسيلمة في الرحال، فدعاهم النبي ﷺ وأخبرهم بما افترض الله عليهم وما حرم، فأمنت طائفة منهم، ثم انقلبوا إلى اليمامة، فلما وصلوا زعم مسيلمة أنه أوحى إليه كما أوحى إلى محمد، وجعل يسجع من الأسجاع، وينظم من كلام الكهان والمنجمين ما فتن به قلوب أصحابه، فاتبعوه في ضلالتهم، وصادف ذلك هوى قومه، فشدوا على يده، يريدون بذلك منازعة النبي ﷺ فيما أكرمه الله به من الوحي.

وكتب مسيلمة إلى النبي ﷺ كتاباً فيه:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله!...

أما بعد: فإنني قد أشركت في الأمر. لك نصف الأرض من قبلك، ولنا نصف الأرض من قبلنا، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فلما قرأ النبي ﷺ كتاب مسيلمة كتب إليه:

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب!  
أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

### دعوة الحق تضحية وفداء

ودعوة الباطل نزاع على المصالح.

فغضب مسيلمة وأصحابه، وقتلوا رسول النبي ﷺ وراحوا يعدون على من حولهم من القبائل، ويتهيئون لحرب النبي ﷺ.  
وفي تميم ظهرت امرأة يقال لها سجاح بنت الحارث التميمية فادعت النبوة أيضاً، واتصل بها مسيلمة فتزوجها، واجتمع الكذابان على حرب النبي ﷺ، وافتراء الكذب والدجل على لسان الوحي.  
وسمي مسيلمة نفسه رحمن اليمامة، غير أن رسول الله سماه: مسيلمة الكذاب، واشتهر بهذا الاسم حتى لا يكاد يعرف بغيره.  
واستمر فجور مسيلمة وبدعته إلى عهد أبي بكر حتى قتله الأصحاب في وقعة اليمامة في حديقة الموت، بعد أن عاد على قومه بفساد كبير وشر مستطير.  
أما سجاج التميمية فقد عادت إلى الإسلام، وعاشت حتى خلافة معاوية.



## ظهور الأسود العنسي:

وكذلك ظهر في اليمن الأسود العنسي، فادعى النبوة أيضاً، وآمن به جماعة من قومه، غير أن مؤمني اليمن، وقد رسخ الإيمان في نفوسهم، لم يمهلوا هذا الطاغية الضال، فقتلوه في داره، وذلك قبيل وفاة النبي ﷺ بأيام قليلة.

تنتشر الضلالات حيث يقل العلماء  
فالعلم والمعرفة سلاح صارم في وجه  
الدجاجة الكذابين.

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك كما أخبر الوحي ساعة وقوعه فقال:  
"قتل الليلة الأسود العنسي الكذاب، قتله العبد الصالح فيروز الديلمي".

## رمضان:

وفي رمضان من هذه السنة، جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فأقرأه القرآن مرتين، وكان يقرئه القرآن في رمضان مرة واحدة، وقال النبي ﷺ: "إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل رمضان مرة، وإنه عارضني في العام مرتين وما أراه إلا قد حضر جلبي".

## حجة الوداع:

وعقب رمضان أعلن رسول الله ﷺ في الناس أنه يريد الحج، فقدم المدينة خلق كثير، كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله ﷺ في حجته.

فخرج ﷺ في الرابع والعشرين من ذي القعدة، وأحرم بالناس من ذي الحليفة (ميقات أهل المدينة)، وجعلت الوفود تنضم إليه كما نزل منزلاً في الطريق، وهو يعلمهم مناسك الحج ومواقيته، حتى بلغ الحجيج مائة وأربعة عشر ألفاً من المسلمين.

ودخل رسول الله ﷺ مكة قارناً، وكان قد واعد علياً أن يسوق الهدى من اليمن، فجاء بثلاث وستين بدنة، وكان في أصحابه ﷺ من أفرَدَ ومن قرَنَ، ومن تمتَّع، فأقرَّ كلاً منهم.

ثم سار بالناس حتى دخل البيت الحرام ملبياً مكبراً فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ودعاؤه يومئذٍ، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، حيناً ربنا بالسلام،

وكان ممّا دعا به ﷺ: "اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير الوجل المشفق المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل ابتهاج الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضريب، من خضعت لك رقبتك، وفاضت لك عبرته، وذلل لك جسده، ورغم لك أنفه".

تأمل عبارات التضرع والتذلل من النبي ﷺ  
وهو الفاتح الظافر المنتصر.

وجعل يلتفت للناس فيقول: "أيها الناس خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا".

حتى إذا قام بهم في عرفات، واكمل النَّسك، قام بهم في نمرة (موضع في عرفات عند حد الحل والحرم بني عليه اليوم مسجد نمرة) ضارِعاً مكبِّراً فخطب في النَّاس خطبة الوداع وفيها:

"أيها الناس اسمعوا قولي، فإنني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف أبداً. أيها الناس أتدرون في أيِّ شهرٍ أنتم؟ قالوا: فسكنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أستم في شهرٍ حرام؟، قالوا: بلى، ثم قال: أيها الناس أتدرون في أي بلدٍ أنتم؟ قالوا: فسكنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أستم في بلدٍ حرام قالوا: بلى. فقال: أيها النَّاس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإنَّ كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله تعالى أنه لا ربا، وإنَّ ربا عمِّي العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

### الداعية الحق . . يجري أحكام الإسلام

في بيته وأهله قبل أن تكون مشروعاً يدعو الناس إليه  
"أقيموا دولة الإسلام على أنفسكم تقم لكم في أرضكم".

وأنَّ كل دمٍ كان في الجاهلية موضوع، وإنَّ أوَّل دمٍ أضعه دم ابن عمِّي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، (وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله هذيل)، فهو أوَّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها النَّاس، فإنَّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنَّه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ممَّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيُّها النَّاس: إنَّما النسيء زيادةٌ في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحللوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيُّها النَّاس: فإنَّ لكم على نساءكم حقاً، ولهنَّ عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن<sup>(1)</sup> فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشةٍ مبينة، فإن فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع، وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنَّهنَّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً، وإنَّكم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، .

حقوق المرأة في الإسلام مضمونة مكفولة جعلها  
الإسلام: كلمة الله. . بعد أن كانت من سقط  
المتاع.

فاعقلوا أيُّها النَّاس قولي، فإنني قد بلغت، وقد تركتُ فيكم ما إن استعصمتم به، فلن تضلُّوا أبداً، أمراً بيناً. كتاب الله وسنة نبيِّه.

(1) معناها يدخلن بيوتكم من لا تريدون دخولهم.

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن المسلم أخ للمسلم، وإنّ المسلمين إخوة، فلا يجلّ لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت".

-وكان يشدّد على الناس في المسألة فيقول: ألا هل بلغت فيقولون: اللهم نعم، ونزل عليه يومئذ قول الله عزّ وجل: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }، وفاضت عبرة النبي ﷺ وأحسّ الناس بأنّها كلمات مودّع، وكان يوماً مشهوداً.

وانصرف النبي ﷺ من عرفات فبات في المزدلفة، ثم رمى جمرة العقبة، ونحر البدن بيده الشريفة، وتصدّق بلحومها وجلودها في المساكين، ثم حلق وتحلّل وتوجه إلى البيت الحرام، فطاف طواف الإفاضة، وسعى بين الصفا والمروة والناس من حوله، يأخذون عنه مناسكهم، ويحفظون أوامره ووصاياه.

ورجع بعدئذٍ إلى منى في أيام التشريق، وجعل يكثر من الصدقات، ورمى فيها الجمار، وكان يكثر في الناس من الموعدة، فالقلوب رطبة والنفوس خاشعة والجوارح طائعة. .

وهكذا فقد تمّت مناسك الحج الأكبر، وحفظ الناس عنه كلّ كلمةٍ قالها، وكل حركة مشاها، ليكون ذلك من بعد ذلك سنة للعالمين.

وفي أواخر ذي الحجة وصل النبي ﷺ إلى المدينة من جديد بعد أن طوى عامه العاشر فيها وقد اطمأن قلبه بما رأى من انتشار الإسلام في بلاد العرب، وراح يقلّب النظر في أصحابه من حوله الذين سيقومون ببلاغ الرسالة من بعده في

الأرض، وقلبه يخفق نبضات الشوق إلى الله عزّ وجلّ، وكأنّه يسمع دعوة الله عزّ وجلّ:

طال شوق الأبرار إليّ وأنا أشدّ إليهم شوقاً.

## السنة الحادية عشرة للهجرة "23 بعد البعثة"

أهم حوادث السنة الحادية عشرة:

1- إعداد جيش أسامة لغزو الروم.

2- مرض النبي ﷺ.

3- وفاة النبي ﷺ 12/ربيع أول/11هـ.

4- بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة.

ب

دأت هذه السنة وقد عاد النبي ﷺ من حجة الوداع بعد أن نزل عليه قول الله

عز وجل: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا } (1).

وبذلك فقد رجع النبي ﷺ إلى المدينة وهو مطمئن لما رأى من إقبال الناس على

الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجاً.

جيش أسامة:

وبلغ النبي ﷺ أن الروم يتجهزون للإغارة على المدينة، فنفر الناس للجهاد

وجهر جيشاً من أصحابه في أواخر صفر، وجعل عليه أسامة بن زيد بن حارثة،

ولم يكن قد جاوز السابعة عشرة من عمره، وكان في الجيش كبار الصحابة كأبي

بكر وعمر، .

(1) سورة المائدة: 3.

الداعية الحق .

إذا صح منه اليقين . لا يبالي موقعه في معركة الجهاد  
قائداً مشهوراً... أم جندياً مأموراً... أم خادماً مغموراً.

لكنى الجيش لم يتحرك، فقد شغلوا بما هو أهم من ذلك، وهو مرض رسول الله  
ﷺ الذي أخذ يشتد شيئاً فشيئاً، فاستبطن الناس في بعث جيش أسامة، وقال  
بعضهم متعجباً مرتاباً: استعمل غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار!  
فلما سمع بذلك رسول الله ﷺ خرج وهو في مرضه عاصباً رأسه وقال: "أيها  
الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لمن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من  
قبله، وإنه لخليق بالإمارة وإن كان أبوه لخليقاً بها"، ثم خرج جيش أسامة وعسكر  
قريباً من المدينة، وجعل الناس يتلاحقون به، لكن رسول الله ﷺ ثقل واشتد به  
المرض، فأقام أسامة ينتظر ثم عاد إلى المدينة.

مرض رسول الله:

ولما اشتد المرض برسول الله ﷺ، استأذن أزواجه أن يمرض عند عائشة فأذن له،  
فخرج إلى بيتها محمولاً بين رجلين من أصحابه، ومع ذلك كان ﷺ حريصاً على  
أن يصلي بالمسلمين كلما حضرت الصلاة، وأن يعظهم وينصحهم كلما وجد في  
نفسه قوة، وحضرت الصلاة ذات يوم وقد اشتد به وجعه، وكاد أن يغمى عليه  
فقال: أهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم،  
ففعّلوا ذلك وخرج ﷺ وجلس على المنبر، فكان أول ما تكلم به أن صلى على



أصحاب أحد فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال: "إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله"، عندها بكى أبو بكر وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبا بكر لا تبك، ثم قال: أيها الناس إن أمنَّ الناس علي في صحبتي ومالي أبو بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده.

ولم يزل رسول الله ﷺ حريصاً على أن يصلي بالناس، حتى غلبه المرض وأعجزه عن الخروج، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فصلى أبو بكر بهم سبع عشرة مرة.

وزادت شدة المرض بالنبي ﷺ، وقالت فاطمة: واكرب أبتاه!! . فقال لها ﷺ: "لا كرب على أبيك بعد اليوم".

ودخل عليه أسامة بن زيد وقد عجز عن الكلام، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه يدعو له. ولما كان يوم الاثنين الأخير، خرج ﷺ إلى الناس، وهم يصلون الصبح خلف أبي بكر، وجعل ينظر إليهم وهو يبتسم، فانتبه المسلمون فكادوا يفتنون في صلاتهم فرحاً برؤيته، فأشار إليهم أن اثبتوا، وتبسم رسول الله ﷺ وعاد إلى حجرته.

المؤمن يفيض قلبه حباً وشوقاً إلى مربيه

بينه وبين المرابي كما بين الأصحاب والنبي ﷺ.

وظن الناس أن هذا الخروج يبشر بشفائه، فلما قضيت الصلاة، سار الناس في حوائجهم، وخرج أبو بكر إلى بعض نواحي المدينة لحاجته.

وعاد رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة، وخرج علي إلى الناس فقالوا له: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، ولكنها كانت صحوة الموت، ثم ثقل المرض برسول الله ﷺ، فاضطجع في حجرة عائشة، وجعل ينظر إلى سواك في يد رجل، فناولته عائشة إياه بعد أن لينته، وجعل يستاك به استيாகاً شديداً، ثم وضعه وبه رهق شديد، ثم ثوى رأسه الشريف على كتف عائشة، واشتد منه النزع، وكان آخر ما سمع من كلامه:

الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم...

استوصوا بالنساء خيراً...

لا يبقى في جزيرة العرب دينان...

ثم أرغى فمه بأخر كلمة سمعت منه:

بل الرفيق الأعلى من الجنة!!

وفاضت روحه ﷺ.

ونزل النبا كالصاعقة على أسماع المسلمين، فانطلقت عواطفهم المكتوبة في ثورة جامحة، وصاروا كالقطيع الهائج في الليلة الشاتية. وقام عمر بن الخطاب، فاخترط

سيفه وصعد على المنبر وقال: إن أناساً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات، وإن رسول الله لن يموت حتى يفني المنافقين، وإنما غاب أربعين ليلة كعدة موسى في بني إسرائيل، وأما رجل قال إن محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا!! . . . وكانت ساعة عصبية قاسية.

ثم حضر أبو بكر الصديق وكان بظاهر المدينة في بعض حاجته، وعمر على المنبر، فمشى حتى دخل حجرة عائشة، فكشف الغطاء عن وجهه ﷺ، فقبله من بين عينيه وقال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حياً وميتاً، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن يصيبك بعدها موت أبداً".

ثم خرج حتى أتى المنبر وعليه عمر بن الخطاب يتهدد الناس فقال: على رسلك يا عمر حتى نزل عمر بن الخطاب، وقام أبو بكر على المنبر فقال: "أيها الناس: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت! . . .".

أرسخ الناس في الإيمان أثبتهم في الشدائد  
المؤمن الراسخ: لا تنسيه صدمة الهول  
وقفه الدفاع عن الرسالة.

ثم قرأ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } (1).

(1) سورة آل عمران: 146.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله كأن الآية ما نزلت إلا يومئذٍ، وكأني لم أقرأها من قبل، وقرأ أيضاً: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } (2).

### مبايعة أبو بكر:

وعلى الفور، اجتمع رؤساء الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة ليختاروا خليفة للنبي ﷺ، وكانت الأنصار تحب أن تكون الخلافة فيهم، وقد انتدبوا لها سعد بن عبادة، وقد كان وزير صدق للنبي ﷺ، وكان من أشرف العرب وأجوادهم.

ورأى المهاجرون أن تكون في السابقين الأولين من المهاجرين، لما لهم من طول الصحبة وفضل الهجرة والسبق إلى الإسلام، فاختار أبو بكر الصديق أبا عبيدة بن الجراح، وقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". غير أنا أبا عبيدة قال: أيها الناس، هذا أبو بكر الصديق صاحب رسول الله وخليله، وقد اختار رسول الله لديننا "إماماً في الصلاة" أفلا نرضاه لديننا، وقال: ابسط يدك أبايعك، فبايعه أبو عبيدة، ثم عمر، ثم انبرى المهاجرون والأنصار يبايعونه، فما خرجوا من سقيفة بني ساعدة حتى تمت البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة.

المؤمنون لا تطول شورايم  
حتى يجتمعوا على الحق.

(2) سورة الزمر: 29.

وقد تخلف آل النبي ﷺ عن هذه البيعة، لانشغالهم بتجهيز النبي ﷺ. وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين 12/ربيع الأول/سنة 11 هجرية، وقام بغسله ﷺ علي بن أبي طالب، مع ولدي العباس: قثم والفضل وأسامة بن زيد بن حارثة، وقد تمَّ غسله وتجهيزه ليلة الثلاثاء.

وفي نهار يوم الثلاثاء، أذن للناس، فجعلوا يدخلون للصلاة عليه منفردين لا يؤمهم أحد، وتم دفنه ﷺ مساء الثلاثاء في حجرة عائشة التي قبض فيها، وكان عمره ذلك اليوم قد أكمل ثلاثاً وستين سنة.

وموته ﷺ طويت صفحة من ثلاث وعشرين سنة من النضال غيرت وجه التاريخ، ومضى النبي ﷺ مبتسماً راضياً، عين في الأرض على رسالته ورجاله، وعين في السماء على مقامه ومآله.

وفي يوم الاثنين 12/ربيع الأول/11 هجرية الموافق 23/اللبعثة/الواقع في 6/حزيران/632 ميلادية:

أذن الظهر...

وحمل الراية أبو بكر...

ومضى موكب النور.....

# الجداول الشارحة

## يَوْمِيَّاتُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ

- 54/ق. هـ. وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ.
- 53/ق. هـ. هلاك أصحاب الفيل.
- 53/ق. هـ. ولادة النبي ﷺ بعد خمسين يوماً من حادث الفيل توافق يوم الاثنين 12/ربيع الأول/53 ق. هـ/الواقع في 20/نيسان/م 570.
- 51/ق. هـ. رضاع النبي ﷺ في بني سعد بن بكر عند حليلة السعدية.
- 48/ق. هـ. وفاة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ. وعمره ﷺ 5 سنوات.
- 45/ق. هـ. وفاة عبد المطلب بن هاشم جد النبي. وعمره ﷺ 8 سنوات.
- 45/ق. هـ. النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب. وعمره ﷺ 8 سنوات.
- 28/ق. هـ. زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد. وعمره ﷺ 25 سنة.
- 23/ق. هـ. ولادة زينب بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 30 سنة.
- 18/ق. هـ. قريش تقوم ببناء الكعبة. وعمره ﷺ 35 سنة.
- 18/ق. هـ. ولادة رقية بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 35 سنة.
- 14/ق. هـ. ولادة أم كلثوم بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 39 سنة.
- 13/ق. هـ. ولادة فاطمة بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 40 سنة. (1)

(1) اعتمدنا في مقابلة التواريخ الهجرية والميلادية على برنامج العربي لكمبيوتر صخر "MX170". كما تجدر الإشارة إلى أغلب وقائع السيرة لم يتم الاتفاق على تحديد تاريخها من قبل المؤرخين، وقد اخترنا من أقوالهم ما هو أقرب إلى منطق الأحداث وتسلسلها، أضف إلى ذلك أن بعضها غير

## 12/ق. هـ. الموافق 1/بعد البعثة

-بدء الرؤيا الصادقة. وذلك في ربيع الأول عام 40 بعد الفيل الموافق 609 ميلادية.

-بدء نزول القرآن الكريم. وذلك في 27/رمضان عام 40 بعد الفيل الموافق 17/آب 609 ميلادية.

-إسلام خديجة بنت خويلد.

-وفاة ورقة بن نوفل.

## 11/ق. هـ. الموافق 2/بعد البعثة

-إسلام أبي بكر الصديق.

-إسلام علي بن أبي طالب.

-إسلام زيد بن حارثة.

-بدء الدعوة سراً.

-إسلام عثمان بن عفان.

-إسلام الزبير بن العوام.

-إسلام عبد الرحمن بن عوف.

-إسلام سعد بن أبي وقاص.

-إسلام طلحة بن عبيد الله.

-إسلام أبي عبيدة الجراح.

---

مؤرَّخ إطلافاً، ومن أردا تمحيص الروايات فليرجع إلى كتب السيرة الأصول كما أوردناها في قائمة المراجع.



-إسلام أبي سلمة بن عبد الأسد.

-إسلام الأرقم بن الأرقم.

-إسلام عثمان بن مظعون.

-تسامع قريش بأخبار الإسلام.

### 10/ق. هـ. الموافق 3/بعد البعثة

-استمرار الدعوة سرّاً.

-دعوة العشيرة الأقربين.

-أبو لهب يتخذ موقفاً معادياً للإسلام.

-دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة في الإسلام.

-قريش تعلن غضبها على النبي ﷺ.

-اجتماع المسلمين على صلاة الغداة والعشي.

-أول دم يراق في الإسلام.

### 9/ق. هـ. الموافق 4/بعد البعثة

-إعلان الدعوة في قريش.

-بدء الإيذاء والاضطهاد.

-إعلان أبي طالب عن حمايته للنبي ﷺ.

-وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام.

-وفاة ثويبة الصابرة.

-محاولات قريش مفاوضة النبي ﷺ ليرك الدعوة.

### 8/ق. هـ. الموافق 5/بعد البعثة

- اشتداد أذى قريش.

- الهجرة الأولى إلى الحبشة.

- محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم.

- بدء الدعوة في الحبشة.

**7/ق. هـ. الموافق 6/بعد البعثة**

- إسلام حمزة بن عبد المطلب.

- إسلام عمر بن الخطاب.

- الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن.

- عودة بعض المهاجرين من الحبشة.

**6/ق. هـ. الموافق 7/بعد البعثة**

- الهجرة الثانية إلى الحبشة.

- محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية.

- قريش تصاب بالحيرة في اتخاذ موقف واحد من الإسلام.

**5/ق. هـ. الموافق 8/بعد البعثة**

- دخول المسلمين شعب أبي طالب.

- إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين.

**4/ق. هـ. الموافق 9/بعد البعثة**

- استمرار الحصار الظالم.

- حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين.

- تعاطف عام في جزيرة العرب مع المسلمين عقب انتشار خبر الصحيفة.

-دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام.

3/ق. هـ. الموافق 10/بعد البعثة

-نقض الصحيفة الظالمية.

-وفاة خديجة بنت خويلد.

-وفاة أبي طالب.

-إيذاء النبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب.

-هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.

-إيمان نفر من الجن.

-إيمان عداس النينوي.

-دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي.

-دخول جماعة من أهل المدينة في الإسلام في موسم الحج.

-إسلام جماعة من بني شيبان في موسم الحج أيضاً.

2/ق. هـ. الموافق 11/بعد البعثة

-استمرار الدعوة في جوار المطعم.

-الإسراء والمعراج.

-تشريع الصلوات الخمس.

-أول ردة في الإسلام عقب خبر الإسراء والمعراج.

-بيعة العقبة الأولى.

-إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة.

1/ق. هـ. الموافق 12/بعد البعثة

- بدء دعوة مصعب في المدينة.
- أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.
- إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.
- بيعة العقبة الثانية.
- بدء الهجرة إلى المدينة.

### 1/هـ. الموافق 13/بعد البعثة توافق 622 ميلادية

- أصحاب النبي يهاجرون إلى المدينة.
- مكة تخلو من الصحابة، ولم يبق فيها إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبعض الضعفاء.
- من 1-7 ربيع أول هجرة النبي ﷺ ووصوله إلى قباء.
- بناء مسجد قباء.
- 12 ربيع أول: وصول النبي ﷺ إلى المدينة وإقامته في دار أبي أيوب الأنصاري.
- بناء مسجد المدينة.
- عقد المؤاخاة العظيم.
- موادعة اليهود.
- محالفة القبائل.
- الإذن برد العدوان.
- خروج بعض السرايا لملاقاة عير قريش.

### 2/هـ. الموافق 14/بعد البعثة

- تحويل القبلة.
- سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.

-غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.

-17/رمضان موقعة بدر الكبرى.

-أمر الأسارى ومفاوضات ثقافية بين النبي ﷺ وبين قريش.

### 3/هـ. الموافق 15/بعد البعثة

-ظهور النفاق في المدينة.

-قتل كعب بن الأشرف اليهودي غراب الحرب الماكر.

-وقعد أحد في شوال.

-مقتل حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.

-غزوة حمراء الأسد في آخر شوال.

### 4/هـ. الموافق 16/بعد البعثة

-إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد أحد.

-مأساة يوم الرجيع.

-كارثة بئر معونة.

-إجلاء جرثومة الغدر من المدينة "بنو النضير".

-تحريم الخمر تحريماً قاطعاً.

-غزوة ذات الرقاع.

-استئناف إرسال سرايا الدعوة.

### 5/هـ. الموافق 17/بعد البعثة

-اشتداد النفاق وتفاقمه.

-دخول بني المصطلق في الإسلام عقب زواج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث.

- نزول سورة المنافقين في فضح مكائد النفاق، بعد محاولة فاشلة منهم للإيقاع بين المهاجرين والأنصار.
- حديث الإفك ونزول سورة النور.
- غزوة الأحزاب.
- غزوة بني قريظة.
- وفاة سعد بن معاذ.

### 6/هـ. الموافق 18/بعد البعثة

- استئناف إرسال سرايا الدعاة.
- تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود.
- مقتل أبي رافع اليهودي.
- التفكير في مودعة قريش ومعاهدتها.
- الخروج للحديبية وبيعة الرضوان.
- صلح الحديبية وفيه:

- 1- اعتراف قريش بالدولة الإسلامية.
- 2- وضع الحرب عشر سنين.
- 3- قطع الأحلاف بين قريش واليهود.
- فتح خيبر... آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب.
- نزول سورة الفتح.
- عودة مهاجري الحبشة.

### 7/هـ. الموافق 19/بعد البعثة

- زواج النبي بأُم حبيبة بنت أبي سفيان، وبدء تحول قريش إلى الإسلام.
- إرسال الرسل إلى الملوك.
- قدوم وفد الأشعريين، وبدء دخول اليمن في الإسلام.
- تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب من قريش بعد حركة أبي بصير.
- إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي.
- عمرة القضاء، أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين.
- زواج رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث في حفل كبير، صار نهاية للحقد القرشي.

### 8/هـ. الموافق 20/بعد البعثة

- القبائل المهتدية بسرايا الدعاة ترسل وفودها إلى المدينة.
- إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.
- تمرد الحارث الغساني، وقتله لرسول النبي ﷺ.
- غزوة مؤتة: أول لقاء بين المسلمين والروم.

- مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة.
- نقض صلح الحديبية.
- الفتح الأعظم "فتح مكة" يوم 20 رمضان.
- إسلام أبي سفيان.
- إسلام معظم زعماء قريش.
- الخروج لملاقاة هوزان وغطفان يوم حنين.
- حصار الطائف إلى دخول الشهر الحرام.
- توزيع غنائم حنين.
- عمرة الجعرانة.
- إعلان مكة مدينة إسلامية، وتعيين عتاب بن أسيد والياً عليها.
- عودة النبي ﷺ إلى المدينة.

### 9/هـ. الموافق 21/بعد البعثة

- إرسال السرايا لهدم الأصنام في جزيرة العرب.
- دخول قبائل العرب الكبرى في الإسلام.
- استقبال وفود كافة القبائل العربية تقريباً، وتعيين الولاة والأمراء على أقاليم الجزيرة العربية.
- وفاة النجاشي.
- إسلام ثقيف آخر المدن الكبرى في جزيرة العرب.
- خروج النبي ﷺ لملاقاة جيش الروم في تبوك.



- عقد الأحلاف مع عرب الروم والفرس، وضمان الحدود الشمالية للدولة الإسلامية.

- نزول سورة التوبة، وفضح مخازي المنافقين.
- انحسار النفاق، وموت رأس المنافقين عبد الله بن أبي.
- حج أبي بكر بالناس.

### 10/هـ. الموافق 22/بعد البعثة

- اكتمال دخول جزيرة العرب في الإسلام.
- تشريع أحكام أهل الذمة، وقدم نصارى نجران.
- ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.
- مراجعة جبريل للقرآن الكريم مرتين مع النبي ﷺ.
- حجة الوداع وإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية.

### 11/هـ. الموافق 23/بعد البعثة

- إعداد جيش أسامة لغزو الروم.
- مرض النبي ﷺ.
- تكليف النبي ﷺ لأبي بكر ليكون إماماً في الصلاة بالناس.
- وفاة النبي ﷺ يوم 12/ربيع أول. الموافق 6/حزيران/632 ميلادية.
- مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة.

## جَدْوَلُ أَعْيَانِ الْعَرَبِ

يكشف هذا الجدول عن حقيقة دامغة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فهو يبين أن العرب لم تتحول إلى الإسلام في طفرة عابثة، بل كان تحولها إلى الإسلام منهجاً حركياً مدروساً بإشراف النبي ﷺ.

فهو يعرض لنحو عشرين زعيماً، من أبرز رؤوس العرب ودهاقنتها، أمكن تحويلهم إلى الإسلام عن طريق الدعاة بالحكمة والموعظة الحسنة، فكانت هداية كل واحد منهم مدخلاً لتحويل قومه جميعاً إلى الإسلام.

الصحابي	سنة إسلامه	موقعه في الجاهلية	أهم أعماله في الإسلام
حمزة بن عبد المطلب	7 ق. هـ.	من أسياد مكة.	مستشار النبي ﷺ ومن أعظم المجاهدين.
أبو بكر الصديق	13 ق. هـ.	من رؤساء قريش، وكانت إليه الديّات، ونسّابة قريش.	خليفة النبي ﷺ الأول قمع الردة وبدأ الفتوح
عمر بن الخطاب	7 ق. هـ.	سفير الحرب، ومن أشرف قريش، وكان المنافر والمفاخر بها.	خليفة النبي ﷺ الثاني في عهده فتحت الشام والعراق
العباس بن عبد المطلب	أعلن إسلامه 8. هـ.	كانت إليه السفارة والعمارة، وكان رئيساً في قريش، ومن أجوادها، وكانت إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية.	-هداية أبي سفيان. -المستشار الأمين للنبي ﷺ وللخلفاء الراشدين.
سعد بن معاذ	1 ق. هـ.	سيّد الأوس وزعيمهم	-هداية الأوس، له دور كبير في توطيد أسس الدولة الإسلامية في المدينة.

سعد بن عبادة	1 ق. هـ.	سيّد الخزرج، ونقيب بني ساعدة، ومن أعظم أجواد العرب.	-هداية الخزرج. -الإنفاق على الدعوة.
أسيد بن حضير	1 ق. هـ.	من زعماء الأوس.	-نشر الدعوة في المدينة.
عكرمة بن أبي جهل	9 هـ.	فارس مشهور، وزعيم مكة بعد موت أبيه.	-من قادة فتوح الشام. -استشهد في اليرموك.
عمرو بن العاص	7 هـ.	من دهاة العرب، وأحسن قريش منطقاً وحجة وكلاماً.	-ساهم في فتوح الشام. -فتح مصر.
صدوان بن أمية الجحمي	9 هـ.	كان إليه أمر الأزد والأيسار، ومن أشرف قريش وفصائحها، وأكبر تاجر سلاح في العرب	-تسليح جيش حنين.
سهيل بن عمرو	8 هـ.	خطيب قريش، وأحد أشرفهم وعقلائهم وسادتهم	-حمية مكة من الردة
أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية	8 هـ.	من أشرف قريش، وزعيمها المطلق بعد بدر	-كف الحرب يوم فتح مكة. -قام بهدم أصنام الطائف.

حويطب بن عبد العزى العامري.	8. هـ.	سفير قريش في المفاوضات، ومن أجواد العرب وأغنيائهم.	-تسليح جيش حنين.
خالد بن الوليد	7. هـ.	من أشرف قريش، وكان إليه القبّة وأعتة الخيل وكسوة البيت.	-انتصارات حروب الردة. -فتوح الشام.
عروة بن مسعود الثقفي.	9. هـ.	شريف الطائف، وسيد بني ثقيف.	-ساهم في هداية ثقيف.
المثنى بن حارثة	3. هـ.	شيخ بني شيبان، وصاحب حربهم.	-ساهم في فتوح العراق.
أكثم بن صيفي	حول 7. هـ.	من زعماء تميم، ومن حكماء العرب.	-ساهم في هداية تميم.

## حمزة بن عبد المطلب

مكانته في الجاهلية:

كان حمزة أعز قريش، وأشدّها شكيمة، وكان بعد أخيه أبي طالب يتبوأ مرتبة والده عبد المطلب، سيد مكة بلا منازع.

خبر هدايته:

آمن حمزة بعد جلسة حوار بيان مع النبي ﷺ، وكان قلبه قد مال إلى النبي ﷺ حمية لما بلغه إيذاء أبي جهل للنبي وشمته إياه.

أعماله في الإسلام:

لما أسلم حمزة عز رسول الله ﷺ وامتنع، وكف المشركون عن بعض ما كانوا يتناولون به النبي ﷺ، وأبلى في بدر بلاء عظيماً مشهوراً، وفي أحد استشهاد حمزة وله من العمر 57 عاماً سنة 3 هـ.

## أبو بكر الصديق

مكانته في الجاهلية:

كان من رؤساء قريش في الجاهلية، كان محبباً فيهم مؤلفاً لهم، وكان إليه الأشناق (الديّات) في الجاهلية، كان أنسب العرب وأعلم قريش بأنسابها، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف.

خبر إسلامه:

أسلم على يد رسول الله ﷺ وهو من المسلمين الأوائل.

أعماله في الإسلام:

عمل في الدعوة إلى الله وإلى رسوله في أول إسلامه، وكان الخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ، وقام في قتال أهل الردة مقاماً عظيماً، وتوفي سنة 13هـ. وممن اهتدى على يده: عثمان بن عفان وابن عوف وسعد وأبو عبيدة والزبير وطلحة، وغيرهم من السابقين في الإسلام.

## عمر بن الخطاب

### مكانته في الجاهلية:

كانت إليه السفارة في الحرب، وكان من أشرف قريش، وكان المنافر والمفاخر بها إن نافرهم منافر، وأو فاجرهم مفاخر، وكان ينازع أبا سفيان زعامة مكة. **خبر هدايته:**

اشترك في إسلام عمر بن الخطاب ثلاثة من الدعاة: رجلان وامرأة وهم: خباب بن الأرت وسعيد بن زيد وزوجته أخت عمر فاطمة بنت الخطاب. أما سعيد بن زيد وزوجته فاطمة: فقد أثرا في قلب عمر من خلال تمسكها الشديد برسالة النبي ﷺ رغم غلظة عمر. وأما خباب: فقد كان دوره في بيان دعوة النبي ﷺ وصدقه ورسالته بياناً وقع في قلب عمر.

### أعماله في الإسلام:

كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق، وهو ثاني خليفة بعد رسول الله ﷺ، وفي عهده فتحت أعظم الفتوحات الإسلامية، وصارت الشام والعراق أمصاراً إسلامية، كما يعتبر عمر من أعظم فقهاء المسلمين علماً، وأوفرهم معرفة واجتهاداً.

## العباس بن عبد المطلب

### مكانته في الجاهلية:

كانت إليه في الجاهلية السفارة والعمارة، وكان أجود قريش كفاً وأوصلها، وكان رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية.  
خبر هدايته:

أسلم على يد رسول الله ﷺ سرّاً، وكنم إسلامه عن قومه حتى هاجر قبل الفتح بقليل.

### أعماله في الإسلام:

كان الصحابة يعترفون بفضله ويشاورونه ويأخذون رأيه. مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة 32هـ. وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

## سعد بن معاذ

### مكانته في الجاهلية:

كان سيد الأوس في المدينة. وكان زعيماً عاقلاً مطاعاً لا تنقض له ذمة ولا يخفر له جوار.  
خبر هدايته:

أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير سفير النبي ﷺ في المدينة، وذلك بعد جلسة بيان وحوار. دفعه إليها أسيد بن حضير وشهدها أسعد بن زرارة وقوم من الأنصار.

### أعماله في الإسلام:



بعد أن أسلم سعد قام في بني عبد الأشهل فنادى فيهم: كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تسلموا فأسلموا جميعاً، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام. مات سنة 5هـ.

### سعد بن عبادة

#### مكانته في الجاهلية:

كان سيد الخزرج في المدينة، وكان نقيب بني ساعدة يوم العقبة، وكان وجيهاً في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها، واشتهر بأنه من أعظم أجواد العرب. خبر هدايته:

لا يذكر في سيرة سعد سبب دخوله وتحوّله إلى الإسلام، ولكنه أسلم بين بيعتي العقبة، والمرجح أن إسلامه كان على يد مصعب بن عمير خلال جلسات الحوار والبيان والدعوة التي كان يعقدها مصعب في المدينة.

#### أعماله في الإسلام:

كان مشهوراً بالجود، وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه، وكانت راية رسول الله ﷺ للأنصار في المواطن كلها مع سعد بن عبادة، ورشّحته الأنصار أولاً لخلافة النبي ﷺ ثم عاد الأنصار فدخلوا في إجماع الصحابة على اختيار أبي بكر، مات سنة 15هـ في قرية المليحة بالشام.

### أسيد بن حضير

#### مكانته في الجاهلية:

كان أسيد من زعماء الأوس واقترن اسمه في المجد باسم سعد بن معاذ، فكانا يتقاسمان زعامة الأوس، وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، لذلك فإنه سُمِّيَ الكامل.  
خبر هدايته:

كان سعد بن معاذ قد بلغه مجيء مصعب إلى المدينة، فأرسل إليه أسيد بن حضير ليطرده منها، فلما جاء إليه واستمع منه شرح الله صدره للإسلام، فأسلم ثم احتال على سعد بن معاذ حتى جاء به إلى مصعب، فسمع منه فهداه الله عز وجل.  
أعماله في الإسلام:

كان أحد النقباء الاثني عشر، وكانت له مواقف مشهورة في تأييد النبي ﷺ ونصرته، وتوفي أسيد في سنة 20هـ.

### عكرمة بن أبي جهل

مكانته في الجاهلية:

كان فارساً مشهوراً في الجاهلية وقد تبوأ مكانة أبيه: عمرو بن هشام "أبي جهل" زعيم مكة بعد موته في بدر، وكانت رايته لا تتقدم عليها راية من رايات قريش.

خبر هدايته:

جعل الله هداية عكرمة على يد زوجته ابنة عمه: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، حيث سارت إليه وهو باليمن بأمان رسول الله ﷺ، وكانت أسلمت قبله يوم الفتح فردّته إلى رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه.

## أعماله في الإسلام:

قاتل أهل الردة، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم، واستعمله النبي ﷺ على صدقات هوزان، ثم أبو بكر إلى اليمن لقتال أهل الردة، واستشهد في اليرموك عام 13هـ.

## عمرو بن العاص

### مكانته في الجاهلية:

كان أحد أربعة من دهاة العرب، وكان قد تبوأ مكانة أبيه العاص بن وائل. وكان أحسن قريش منطقاً وحجة وكلاماً، وكان عمر بن الخطاب إذا سمع رجلاً عيباً قال: أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد! .

### خير هدايته:

تأخر إسلام عمرو بن العاص إلى ما بعد الحديبية، وقد أخبر عمرو عن نفسه أنه أسلم في الحبشة على يد جعفر بن أبي طالب سراً، وأن النجاشي هو الذي دعاه إلى الإسلام وذهب معه جعفر، وبعد جلسة من الحوار الهادئ والبيان الحكيم، شرح الله صدر عمرو للإسلام، فدخل فيه سراً على يد جعفر.

### أعماله في الإسلام:

وهو الذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين، وولي إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب بعد أن فتحها الله على يديه، وعزل عن مصر أيام الفتنة، ثم عاد إليها فوليتها من عام 38 إلى 43هـ حيث توفي فيها.

## صفوان بن أمية الجمحي

## مكانته في الجاهلية:

كان إليه أمر الأزد والأيسار في الجاهلية، وكان أحد أشرف قريش، وكان أحد المطعمين، وكان يقال له: سداد البطحاء، وكان من أفصح قريش، وكان يعد أكبر تاجر سلاح في العرب، وقد ورث مجده عن أبيه أمية بن خلف.

## خبر هدايته:

أحضر له ابن عمه (عمير بن وهب) أماناً من النبي ﷺ فحضر إليه، وشهد معه وقعة حنين قبل أن يسلم، ولم يزل النبي ﷺ يكرمه ويحسن إليه ويعرف قدره، ويرسل إليه من أصحابه من يتألفه ويتودده حتى أسلم وحسن إسلامه.

## أعماله في الإسلام:

سخر صفوان ماله وسلطانه في خدمة الإسلام بدءاً من يوم حنين، وكان ناصحاً كريماً لأبي بكر وعمر، ووقف مع ابن الزبير في محنته حتى قتل معه في الكعبة عام 73هـ.

## سهيل بن عمرو

## مكانته في الجاهلية:

خطيب قريش، وأحد أشرفهم وعقلائهم وساداتهم، وكان بخطابته ودهائه يعقد رايات الحرب إن شاء، ويحلها إن شاء.

## خبر هدايته:

أسلم يوم فتح بعد أن تألفه رسول الله ﷺ وأحسن إليه.

## أعماله في الإسلام:

أشهر أعمال سهيل في الإسلام أنه قام خطيباً في أهل مكة أيام الردة فقال: يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من كفر، وكان السبب في ثباتهم على الإسلام، بعد أن هُموا بالردة، ومات سهيل في طاعون عمواس سنة 18هـ.

أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية

مكانته في الجاهلية:

كان من أشرف قريش، وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب، وانتهت إليه زعامة قريش بعد يوم بدر.

خبر هدايته:

هناك عدة أسباب إلى تحول أبي سفيان زعيم قريش إلى الإسلام:

- 1- زواج النبي ﷺ من ابنته أم حبيبة في السنة السابعة.
  - 2- تحول ميزان القوى لصالح النبي ﷺ.
  - 3- دعوة العباس بن عبد المطلب إياه للدخول في الإسلام، وحصوله على الأمان له من النبي ﷺ.
  - 4- وأخيراً جلسات الحوار الطويلة والهادئة بينه وبين النبي ﷺ، والتي أدت به إلى إعلان إسلامه.
  - 5- إكرام النبي ﷺ وعنايته به ومعرفة قدره، الأمر الذي رسخ الإيمان في قلبه.
- أعماله في الإسلام:

أهم أعمال أبي سفيان في الإسلام أنه حقن الدماء يوم الفتح، ومنع حصول مواجهة بين النبي وبين قريش، ومهد الطريق لفتح أبيض في مكة، ثم ساهم في تحول كثير من القرشيين إلى الإسلام، وشارك في فتوح الشام توفي عام 32هـ.

### حويطب بن عبد العزى العامري

#### مكانته في الجاهلية:

كان سفير قريش في المفاوضات، وكان فيمن فاوض النبي ﷺ يومي الحديبية وعمره القضاء، وكان من أجواد العرب وأغنيائهم.

#### خبر هدايته:

أسلم حويطب بن عبد العزى على يد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، وكان قد فر يوم الفتح فلقه أبو ذر فما زال به يتألفه ويتودده ويدعوه إلى الإسلام، حتى شرح الله صدره لذلك، فجاء به إلى النبي ﷺ فأسلم.

#### أعماله في الإسلام:

شارك في حنين بأربعين ألف دينار، وقد تألفه رسول الله ﷺ وأكرمه حتى حسن إسلامه، وفي عهد عمر قام بتحديد أنصاب الحرم.

### خالد بن الوليد

#### مكانته في الجاهلية:

كان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وكانت إليه القبّة وأعنة الخيل، وقد تبوأ في قريش مكانة أبيه الوليد بن المغيرة الذي كان يسمى شريف قريش وحكيمها، وكانت له كسوة البيت.

#### خبر هدايته:

اشترك في هداية خالد عدة دعاة:

1- أخوة الوليد بن الوليد، الذي كان لا يوفر مناسبة إلا ويكتب إليه يدعو إلى الإسلام، وقد ذكرنا إحدى هذه الرسائل.

2- النبي ﷺ الذي كان يرسل إليه من أصحابه في السر والخفاء من يدعو إلى الإسلام، ويكتب إليه يتألفه ويتودده، حتى عرض عليه النبي ﷺ ما يرضي طموحه ويحقق رغبته، فكتب له: يا خالد: "أسلم أعطك أعنة الخيل" الأمر الذي جعل خالد يعيد النظر في موقفه من الإسلام، وفوق ذلك فإن خالدًا - كما روى عن نفسه - كان يطيل الفكرة في أمر الإسلام بعد ما رأى يوم الحديبية، حتى شرح الله صدره للإسلام فجاء إلى الحديبية فأسلم.

### أعماله في الإسلام:

يعتبر خالد بن الوليد أعظم فاتح في تاريخ الإسلام، فقد شارك في غزوة مؤتة وأمن خلاص الجيش، وسماه النبي ﷺ سيف الله المسلول، وفي حرب الردة كان له بلاء عظيم وبه قصم الله فتنة مسيلمة الكذاب. وفي الفتوح شارك في فتح العراق والشام، وكان قائد معركة اليرموك الظافرة، وأغلب الظن أن عمر عزله من قيادة الجيش لما رأى افتتان الناس به، فأحب أن يعلم الناس أن النصر من عند الله لا من عند خالد، ورويت عن خالد مواقف عظيمة في طاعته لعمر تدل على عظمته وحكمته، توفي عام 21هـ ودفن في حمص.

عروة بن مسعود الثقفي

مكانته في الجاهلية:

كان شريف الطائف، وسيد بني ثقيف، وكانت العرب تقول: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" ويريدون بالقريتين: مكة والطائف، ويريدون برجل مكة: الوليد بن المغيرة، وبرجل الطائف عروة بن مسعود.

**خبر هدايته:**

لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف وقع في نفس عروة تصديق النبي ﷺ، فلما فك رسول الله ﷺ الحصار لحقه عروة، وبعد جلسة حوار مع النبي ﷺ شرح الله صدره للإسلام فأسلم.

### **أعماله في الإسلام:**

كانت له اليد البيضاء في تقرير الصلح يوم الحديبية، وكان وقتها مع المشركين، وبعد أن أسلم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فقتله سفاؤهم، ثم لم يلبث عقلاؤهم أن تلاموا في ذلك، ثم مضوا إلى النبي ﷺ فأعلنوا دخولهم في دعوة عروة وأسلموا جميعاً.

### **المثنى بن حارثة**

### **مكانته في الجاهلية:**

شيخ بني شيبان وصاحب حربهم، وكان بنو شيبان يشكلون تحدياً عربياً مقلقاً لأباطرة الفرس.

### **خبر هدايته:**

أسلم المثنى مع أصحابه في مكة خلال موسم الحج في السنة 3 ق. هـ، حيث جاءهم النبي ﷺ داعياً إلى الله. وبعد جلسة حوار مع النبي ﷺ قامت رؤوس بني



شبيان فتشاوروا فيما بينهم حتى شرح الله صدورهم للإسلام، وقد أثار ذلك ضيق المشركين وغضبهم، ولكن لم يكن ذلك ليردهم عما اختاروه من عقيدة ودين.

### أعماله في الإسلام:

كان للمثنى دور عظيم في فتوح العراق، حيث كان قائد حملات الفتح في عهد أبي بكر وعمر حتى استشهد، فخلفه سعد بن أبي وقاص.

### أكثم بن صيفي

### مكانته في الجاهلية:

من زعماء تميم ومن حكماء العرب، ويروي الناس كلامه كأنها المثل السائر.

### خبر هدايته:

اشترك في هداية أكثم بن صيفي اثنان:

-ابن أخيه: حنظلة بن الربيع بن صيفي الصحابي الشهير.

-وابنه: حبيش، وكان أكثم قد سمع بمخرج النبي ﷺ، وبعد بيان ابنه وابن أخيه

لدعوة النبي ﷺ شرح الله صدره للإسلام فأسلم، ودعا قومه فأمن معه مائة من رؤساء تميم منهم الأقرع بن حابس، ثم خرج بهم إلى النبي ﷺ، فأدركه الموت في الطريق وهو الذي أنزل الله فيه:

{ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ

عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }.

### أعماله في الإسلام:

لم يكتب لأكثم لقاء بالنبي ﷺ، ولكنه كنا رأيت كان سبباً في هداية بني تميم

أكبر قبائل العرب.



## جَدُولُ دُعَاةِ الصَّحَابَةِ

لا يمكن حصر أسماء الدعاة من أصحاب النبي ﷺ في جدول واحد، وذلك لأن كل أصحاب النبي ﷺ كانوا دعاة بوجهٍ من الوجوه. وهذا الجدول يبين لك ترجمة نحو ثلاثين من أبرز هؤلاء الدعاة الذين خرجوا من مدرسة النبي ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، وسنرى كيف كانت دعوتهم تؤتي ثمارها الطيبة الحكيمة، وكيف أدوا رسالتهم على أتم وجه. والأمل كبير أن يجد طلاب العلم في سلوك هؤلاء الدعاة قدوة حسنة، يتمثلوها في دعوتهم وجهادهم. وقد أثبتنا أعمار من عرفنا عمره منهم، ليظهر ذلك كيف كان غالبهم في سن الشباب والفتوة.

جدول أعلام الدعاة

الداعي	سنة يوم أسلم	نشاطه في الدعوة
أبو بكر الصديق	39 سنة	هداية الرعييل الأول من الصحابة.
علي بن أبي طالب	9 سنوات	إسلام همدان وغيرها من القبائل.
مصعب بن عمير	24 سنة	إسلام أهل المدينة.
عبد الرحمن بن عوف	22 سنة	إسلام أهل دومة الجندل.
معاذ بن جبل	17 سنة	إسلام أهل اليمن وتعليمهم، ودعوة أهل الكتاب فيها إلى الإسلام.
عمرو بن أمية الضمري		كان السبب في إسلام النجاشي.
العلاء بن الحضرمي		إسلام البحرين مع ملكها المنذر بن ساوى، وإسلام أهل هجر مع واليها المرزبان الفارسي.
أبو ذر الغفاري		إسلام قبيلة غفار وقبيلة أسلم جيرانهم، وإسلام حويطب بن عبد العزى.
خالد بن الوليد		إسلام بني الحارث بن كعب بنجران.
سعد بن معاذ	32 سنة	إسلام عشيرته من بني عبد الأشهل، ومن ثم إسلام الأوس جميعاً.
عمير بن وهب		أسلم على يديه خلق كثير من أهل مكة.
عروة بن مسعود الثقفي		كان السبب في إسلام بني ثقيف بعد قتله.
دحية بن خليفة الكلبي		بعثة رسول الله ﷺ إلى قيصر. ثم ذهب إلى دمشق وأقام فيها يدعو إلى الله أربعين سنة.
حاطب بن أبي بلتعة		أقنع المقوقس زعيم مصر بالإسلام لكنه لم يسلم، وضمن المسلمون بعد ذلك حياض مصر خلال فتوح الشام والعراق بفضل دعوة حاطب.
ضمام بن ثعلبة		إسلام بني سعد بن بكر.
عمرو بن مرة الجهني		إسلام بني جهينة قومه.

مكث داعياً سنين عدة في زبيد وعدن من أقاليم اليمن،  
ومن ثم سكن الكوفة وصار بيته مركزاً لنشر الدعوة والعلم  
في سائر العراق.

أبو موسى الأشعري

إسلام دوس وفيهم أبو هريرة.

الطفيل بن عمرو الدوسي

إسلام قومه صُداء.

زياد بن الحارث الصدائي

إسلام قومه بني باهلة.

أبو أمامة الباهلي

دعوة النجاشي، ونشر الإسلام في الحبشة.

20 سنة

جعفر بن أبي طالب

## أبو بكر الصديق

يعتبر أبو بكر الصديق أعظم داعية في الإسلام، وقد كان من تأثير دعوته إسلام  
الرعييل الأول من الصحابة، فقد اهتدى بدعوة أبي بكر خلق كثير منهم: عثمان  
وابن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة.

وكان أبو بكر رجلاً حسن الخلق حسن العشرة، وكان قومه يأتونه ويألفونه  
ويسمعون منه، وقد تمكن من هداية كل إخوانه وأصحابه إلى الإسلام. وخلال  
حياة النبي ﷺ فقد ظل يقوم بدوره في الدعوة إلى الله، وفي تألف المسلمين وتعليمهم  
وصحبة النبي ﷺ وخدمته، وخرج في عدة سرايا يدعو إلى الله عز وجل.

## علي بن أبي طالب

إلى جانب شهرة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في العلم والجهاد والقضاء،  
فقد كان داعياً من أعظم الدعاة نجاحاً وأثراً.

فقد أرسله النبي ﷺ بعد فتح مكة (سنة 8) إلى اليمن، وبعث معه بعثتاً من  
الدعاة فنزل على أم سعيد البرزخية: وهي أول امرأة أسلمت من أهل اليمن، ثم  
جعل يرسل من أصحابه إلى همدان أكبر قبائل اليمن من يعرض عليهم الإسلام،

ويشرح لهم غاية سرّيته، ثم خرج بأصحابه فصفوا صفواً واحداً فصلى بهم أمام رؤوس همدان، ثم قام إليهم يدعوهم ويتألفهم، ويبين لهم رسالة الحق، وتلا عليهم كتاب رسول الله ﷺ وأسلمت همدان جميعاً، وكان غالب أهل صنعاء من همدان، فمضى إليها علي بن أبي طالب، وكتب إلى النبي ﷺ يخبره فخر الله ساجداً وجعل يقول: "السلام على همدان، السلام على همدان". وكانت طريقة علي في الدعوة إلى الله إظهار الود والحب والترفق، ثم الدعوة بالمنطق والحجة، وكان علي قد أوتي مواهب عظيمة جداً في الفصاحة والبلاغة، فكانت تميل إليه القلوب وتسكن إليه النفوس. وهكذا فإن صنعاء التي تعتبر إلى اليوم أعظم مدائن اليمن، صارت مدينة إسلامية بفضل دعوة رجل حكيم هو علي بن أبي طالب.

### مصعب بن عمير

أسلم مصعب بن عمير قديماً، وآتاه الله عز وجل حجة ومنطقاً حسناً، فكانت القلوب تأنس به وترتاح إليه، ولما امتلأ قلبه إيماناً وعقله علماً، واعتاد قلبه على صبر الدعوة وجهادهم، أرسله النبي ﷺ إلى المدينة رسولاً يدعو إلى الله عز وجل، فنزل بها عند أسعد بن زرارة بعد بيعة العقبة الأولى، ولم يكن في المدينة إلا بضعة عشر رجلاً قد بايعوا النبي ﷺ يوم العقبة، ولم يمض وقت طويل حتى نجح مصعب في دعوته نجاحاً باهراً، وبدأ تحول كبير في المدينة إلى الإسلام، ولم يمض إلا عام واحد حتى كان الأنصار يبايعون النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية، ويهيئون المدينة لتكون دار الهجرة الكبرى بإشراف مصعب بن عمير، وبعد العقبة الثانية بدأ المهاجرون يصلون إلى المدينة، فكان مصعب ينزلهم على إخوانهم من الأنصار فيها.

وكانت طريقة مصعب بن عمير في الدعوة إلى الله اختيار رؤوس الناس وحكمائهم، ودعوتهم بالحجة والموعظة الحسنة، وكان قد أوتي صوتاً حسناً في تلاوة القرآن، وكان صبره ولطفه ورقته من أعظم أسباب نجاحه في دعوته. إن يثرب-القرية التي أكلتها الحرب-قد صارت أفضل مدينة في الأرض، بفضل دعوة رجل واحد هو: مصعب بن عمير.

### عبد الرحمن بن عوف

اشتهر عبد الرحمن بن عوف بكرمه وجوده وإنفاقه في مصالح الإسلام، ولكن عبد الرحمن بن عوف كان أيضاً داعياً ناجحاً من دعاة الإسلام. أرسله النبي ﷺ في سرية من الدعاة إلى دومة الجندل، حيث يقيم قوم الأصبغ بن عمرو الكلبي، فنزل فيهم عبد الرحمن بن عوف، وجعل يلتقيهم ويدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، حتى تحول الأصبغ بن عمرو إلى الإسلام، وكان من حكمة عبد الرحمن بن عوف أن تزوج تماضر بنت الأصبغ بأمر رسول الله ﷺ، مما رسخ الدعوة الإسلامية في منطقة دومة الجندل وما حولها. وهكذا فإن سرية ابن عوف قد أدت رسالتها بنجاح، وجعلت من دومة الجندل واحة إسلامية طيبة.

### معاذ بن جبل

يعتبر معاذ بن جبل نوعاً نادراً من الدعاة إلى الله عز وجل، فقد شغل حياته كلها بالعلم والدعوة، وكان ما آتاه الله من مواهب رفيعة في الموعظة والتأثير وجمال المنطق وجمال الوجه وحسن المحيا وطيب العشرة، كان عظيم الإخلاص أيضاً.

فكان النبي ﷺ يقربه ويدنيه، ويكفله بتعليم الوفود القادمة إلى المدينة شـرّاع الإسلام.

ولما بلغ السابعة والعشرين أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً ومعلماً، حيث شهدت اليمن أعظم تحول لها إلى الإسلام، وكان معاذ حكيماً بارعاً في دعوة أهل الكتاب الذين كانوا في اليمن، وقد أوصاه بهم رسول الله ﷺ في حديث مشهور. وبعد وفاة النبي ﷺ انتقل معاذ إلى الشام حيث صار معلمها ومفتيها، ولم يزل بها إلى أن توفي عام 17هـ، وعمره 34 عاماً فقط!.

### عمرو بن أمية الضمري

لا يعرف الناس هذا الصحابي الجليل، مع أنه من أعظم الناس تأثيراً في تاريخ الدعوة الإسلامية. فقد كتب الله عز وجل على يديه تحول النجاشي إلى الإسلام، وذلك عقب الحديبية سنة يت، فقد أرسله النبي ﷺ إلى النجاشي، فما زال به يستلطفه ويستأنيه ويجب إليه الإيمان، حتى شرح الله صدره للحق فأسلم، وقد ذكرنا صورة دعوته للنجاشي في حوادث السنة السادسة.

كذلك فإن عمراً قد أشار على النبي ﷺ بتزوج رملة بنت أبي سفيان التي كانت مهاجرة في الحبشة، وقد كان لزواجه ﷺ منها أعظم الأثر في تحول أبي سفيان ومن ورائه قريش كلها إلى الإسلام.

### العلاء بن الحضرمي

عرف العلاء بن الحضرمي بوفرة ذكائه وشدة تقواه وورعه، واجتهاده في العبادات، كل ذلك جعل منه داعياً من أنجح الدعاة في الإسلام.



أما مجال دعوته فقد كان في البحرين، حيث أرسله رسول الله ﷺ إلى ملكها المنذر بن ساوى سنة 8هـ، فما زال يدعو إلى الإسلام ويجب إليه الإيمان حتى شرح الله صدره للإسلام، فأسلم وأسلم معه سائر أهل البحرين. كذلك فقد قصد المرزبان الفارسي في البحرين المسمى "سينجت"، وكان والياً لكسرى على هجر في ساحل القطيف، فأسلم وأسلم معه كل أهل هجر، وقد مكث العلاء بن الحضرمي في البحرين داعياً ومعلماً، حتى توفي المنذر بن ساوى فولاه النبي ﷺ على البحرين. إن شرق الجزيرة العربية مدين فيما أكرمه الله من الهدى، لدعوة العلاء بن الحضرمي، وإخوانه من الصحابة الكرام.

### أبو ذر الغفاري

يذكر أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة في الدعاة الكبار من الصحابة مرتين:  
**الأولى:** إسلام قومه غفار وقوم أسلم، فقد مضى أبو ذر بعد إسلامه داعياً إلى الله في قومه، ولم يزل بهم يدعوهم ويعلمهم حتى آمن أكثر قومه من غفار، ثم آمنت قبيلة أسلم جيرانهم، فمضى برؤوسهم إلى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام، فقال النبي ﷺ: "غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله".

**والثانية:** لما قام بدعوة حويطب بن عبد العزى، وكان حويطب سيداً مطاعاً في مكة، وقد كان شديداً على الإسلام، فلما كان يوم الفتح فرَّ بمن معه من مكة فحضر إليه أبو ذر، ولم يزل يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ حتى شرح الله صدره للإسلام، فأسلم وجرى على يديه خير كثير.

إلى ذلك فإن أبا ذر لم يكن ليدع قول كلمة الحق والنصيحة لكل مسلم، وخصوصاً ولاية الأمور من المسلمين، ولم يزل كذلك داعياً صادقاً بالحق حتى لقي الله.

### خالد بن الوليد

خصص خالد بن الوليد في الإسلام للعمل العسكري، ولكنه إلى ذلك كان داعياً ناجحاً اهتدى به خلق كثير، وكان لا يمضي إلى فتح من الفتوح حتى يكون في جيشه من العلماء والدعاة ما يكفي لنشر الدعوة في أي مصرٍ يمضي إليه. وبعثه النبي ﷺ إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام بينهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ثم عاد مع وفد من بني الحارث بن كعب، فأعلنوا إسلامهم أمام رسول الله ﷺ.

### سعد بن معاذ

كان لسعد بن معاذ دور عظيم في إسلام المدينة، وفي هجرة النبي ﷺ. فقد كان سعد سيد الأوس لا ينازعه في زعامتهم أحد، وكان أبرز أعماله في الدعوة إلى الله عز وجل أنه بعد لقائه بمصعب ودخوله في الإسلام، خرج إلى عشيرته جميعاً في الإسلام، ثم لم يزل بالأوس يدعوهم ويأتي بهم إلى مصعب حتى أسلمت الأوس جميعاً.

كذلك فإن سعداً كان وزيراً أميناً للنبي ﷺ، يحضه النصيح ولا يرضن عليه، وقد أوفده النبي ﷺ في سفارات كثيرة في الدعوة إلى الله اهتدى بها خلق كثير.

### عمير بن وهب

أسلم عمير بن وهب المسمى (شيطان قريش) عقب غزوة بدر في المدينة المنورة، فأقام في المدينة زمناً تعلم به الإسلام وتلاوة القرآن، ثم استأذن النبي ﷺ في دعوة أهل مكة إلى الإسلام فأذن له، فمضى إليهم يدعوهم، وقد علموا أنه خرج إلى المدينة ليقتل رسول الله ﷺ، فأدهشهم ما جاء به، فاهتدى به خلق كثير منهم من هاجر ومنهم أقام إلى الفتح...

### عروة بن مسعود الثقفي

هذا داعٍ عظيم من دعاة الإسلام، لم يكتب له النجاح في حياته، ولكن كوته كان مدخلاً لقومه ليدخلوا في الإسلام.

كان عروة من أعز العرب وأشرفهم، وكان يسمى شريف الطائف وهو الذي قالت عنه العرب: لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

أسلم بعد أن فك رسول الله حصار الطائف فهاجر إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة فأعلن إسلامه وتعلم كثيراً من الفقه والقرآن ثم استأذن رسول الله ﷺ في دعوة قومه فأذن له فمضى إليهم.

غير أن النفوس الموترة لم تمهله حتى يكمل دعوته فعدا عليه سفهاء قومه فقتلوه، غير أنهم لم يلبثوا أن ندموا لما رأوا حكيمهم وسيدهم يموت على يد السفهاء. فقذف الله في قلوبهم الهداية، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فدخلوا في الإسلام، فأرسل معهم المغيرة بن شعبه وهو ثقفي وأمره أن يعلمهم الإسلام والأحكام، وأرسل سرية فيهم أبو سفيان بن حرب لهدم صنم ثقيف الأسبق (اللات).

### دحية بن خليفة الكلبي

كان دحية بن خليفة من أجمل الناس وجهاً، وقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على صورته، وإلى ذلك فقد كان دحية ثقفاً لقناً، واضح الحجّة فاختره النبي ﷺ رسولاً له إلى قيصر، وتلك حكمة كبيرة من النبي ﷺ، حيث كانت الروم في مجبوحه من العيش والرغد، فدفع إليهم من يألفهم ويألفونه.

وقد كان دحية موفقاً غاية التوفيق في رسالته، وأمكّنه أن يقنع القيصر بصدق رسالة النبي ﷺ، وقال القيصر وقد أدهشته حجة دحية وبيانه وحكمته: "إن كان محمد كما تقول فإنه سيملك موضع قدمي هاتين".

غير أن بطارقة قيصر وثبوا عليه وثبة رجل واحد وما زالوا به يلومونه ويعاتبونه حتى أخذوا إلى الأرض واتبع هواه، وعاد دحية بعدئذٍ في جيش الفتح، واتخذ لنفسه داراً في دمشق، أمضى فيها نحو أربعين سنة يعلم الناس فيها الإسلام، ويدعوهم إلى الله عز وجل.

### حاطب بن أبي بلتعة

حاطب بن أبي بلتعة من أصحاب النبي ﷺ، شهد بدرًا وغيرها من المشاهد، وكان قد أوتي عقلاً وحكمة وحسن بيان، فاختره النبي ﷺ رسولاً إلى المقوقس زعيم مصر، وقد تمكن حاطب من إقناع المقوقس بصدق رسالة النبي ﷺ، ورغم أن المقوقس كان عاملاً لقيصر على مصر، إلا أنه ما وسعه إلا الإقرار بحجة حاطب والتسليم بالحق الذي جاء به النبي ﷺ.

ومع أن المقوقس لم يسلم إلا أنه أكرم وفادة حاطب وأحسن إليه، وبعث معه هدايا إلى النبي ﷺ فيها جارية اسمها مارية القبطية، فما قدم حاطب بها على النبي

ﷺ حتى عرض عليها الإسلام، وما زال بها حتى شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت، فأحبها النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها.

لقد ضمن المسلمون حياض مصر خلال فتوح الشام والعراق بفضل حجة حاطب، وحسن قيامه بعرض الإسلام والدعوة إليه.

### ضمام بن ثعلبة

قدم ضمان بن ثعلبة على النبي ﷺ فأسلم بين يديه، ثم استأذن النبي ﷺ في دعوة قومه بني سعد بن بكر، وهم الذين استرضع رسول الله ﷺ عندهم، فأذن له فدعاهم إلى الله عز وجل، وكانت قد سبقت منهم مودة النبي ﷺ لما له فيهم من وشيجة الرضاع، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وبنوا المساجد وأذنوا للصلاة.

### عمرو بن مرة الجهني

أسلم عمرو بن مرة الجهني قديماً، وشهد رسول الله ﷺ كثيراً من المشاهد، ولما ملأ الإيمان قلبه وجوارحه استأذن النبي ﷺ في دعوة جهينة، فأذن له النبي ﷺ وكتب له كتاباً، فأوصاه فيه بالرفق والقول السديد وأن لا يكون فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً، فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، ثم خرج عمرو بمن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ، فحيّاهم ورحّب بهم وكتب لهم كتاباً.

### أبو موسى الأشعري

هو عبد الله بن قيس الأشعري، وفد على النبي ﷺ مع قومه الأشعريين من اليمن وذلك بعد فتح خيبر، وصحب النبي ﷺ زماناً تعلم فيه القرآن وكثيراً من

الأحكام، وكان فتى ناشئاً فلما اكتمل له 28 عاماً، أرسله النبي ﷺ داعياً إلى الله في زبيد وعدن من أقاليم اليمن، ومكث معلماً وداعياً سنين عدة، ثم انتقل إلى البصرة معلماً وأميراً عليها في عهد عمر، وشارك في الفتوح ففتح الله على يديه الأهواز وأصبهان.

ثم انقطع للعلم والدعوة، وسكن الكوفة فصار بيته مركزاً لنشر العلم والدعوة في سائر العراق.

### الطفيل بن عمر والدوسي

أسلم الطفيل بمكة قديماً، وكان سيداً مطاعاً في قومه، وكان شديد الحب لهم، فرجع إلى قومه يدعوهم إلى الله عز وجل زمناً، فما استجاب له إلا نفر يسير فيهم أبوه وأهله وأبو هريرة، وأبطأ عليه سائر قومه فجاء بمن آمن معه إلى النبي ﷺ وسأله الدعاء عليهم، فقال: "اللهم اهدِ دوساً" ثم قال للطفيل: "ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم". فرجع فلم يزل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقضى بداراً وأحداً والخندق، ثم قدم على رسول الله ﷺ بمن أسلم معه من قومه ورسول الله بخير، حتى نزل المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس.

لقد كانت هداية دوس كلها حسنة من حسنات الطفيل، ولو لم يكن في صحيفة عمله إلا إسلام أبي هريرة-ذكرة الإسلام-لكفى!....

### زياد بن الحارث الصدائي

يعتبر زياد بن الحارث الصدائي شخصية مغمورة في الإسلام، رغم ما كان له في الدعوة إلى الله من أثر كبير.

فقد قام قومه صداء في اليمن بمنع دعاة النبي ﷺ من نشر الدعوة في اليمن مراراً وتعرضوا لهم بالأذى، حتى أرسل رسول الله ﷺ لهم جيشاً يؤدبهم، فجاء زياد بن الحارث يستأذن النبي ﷺ في دعوة قومه، وكان قد أسلم، فأذن له النبي ﷺ وردَّ الجيش، ولم يمض وقت طويل حتى تحولت صداء كلها إلى الإسلام، وجاء وفدها إلى النبي ﷺ مسلمين طائعين.

وبذلك فإن زياد بن الحارث وفر على قومه حرباً كان وشيكة الوقوع، وتمكن من نقل الهداية إلى نفوس كانت شديدة العداة للإسلام، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

### أبو أمامة الباهلي

هر الصدي بن عجلان أسلم قبيل أحد، ومكث زماناً في المدينة المنورة يتعلم القرآن والأحكام، وشهد مع رسول الله ﷺ عدداً من مشاهده، وحفظ عنه الكثير، ثم أرسله رسول الله ﷺ إلى قومه "باهلة" وذلك على عادة النبي ﷺ في إرسال الدعوة من نفس القوم، لأنه أقرب إليهم وأعرف بهم.

ومضى أبو أمامة إلى قومه، فلم يزل بهم يدعوهم إلى الله عز وجل ويبين لهم فآذوه وعذبوه، وأجرى الله له عدداً من الكرامات فسقاه، وكانوا قد منعه السقيا، فلما رأى قومه ذلك وقع في أنفسهم حسن ما يدعوهم إليه، فأمنت باهلة عن آخرها، وكان أبو أمامة من أعظم الناس بركة على قومه.

### جعفر بن أبي طالب

كان جعفر بن أبي طالب شخصاً مؤهلاً لعظام الأمور، وقد دخل في الإسلام قديماً، واختاره النبي ﷺ أميراً على مهاجرة الحبشة لما كان قد أوتي من الفصاحة

والذكاء واليقين، وموقفه مع النجاشي مشهور، وقد برع في شرح الإسلام شرحاً سالت له دموع النجاشي، وشهد أنه الحق، وبحكمته وحجته بقي المسلمون في الحبشة آمنين، وراح يضرب في الحبشة يدعو إلى الله عز وجل، واهتدت به طائفة من نصارى الحبشة قدموا على النبي ﷺ، ولا شك أن خلقاً كثيراً من أهل الحبشة دخلوا في دعوة جعفر، واهتدوا بهديه، وإن لم تذكر ذلك التاريخ، وفي آخر السنة السادسة للهجرة قدم إلى المدينة ففرح به النبي ﷺ فرحاً عظيماً، وقد كان مهيباً لأعظم الأعمال، لولا أن القدر أعجله يوم مؤتة فاستشهد فيها مقبلاً غير مدبر، وقد قطعت يده فاعتضد الراية بعضديه، وقد قال رسول الله ﷺ: "رأيت جعفر ملكاً ذا جناحين مضرجين بالدماء". ولذلك فقد دعي بجعفر الطيار، ولا بدّ عند ذكر جعفر من ذكر زوجته أسماء بنت عميس التي كانت من أنجح النساء في الدعوة إلى الله عز وجل.



## جَدْوُلُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ

كانت أول كلمة نزلت على قلب النبي ﷺ هي: {اقرأ}.

وكانت ثاني سورة نزلت في القرآن هي {ن، والقلم وما يسطرون} ومن هذه الأصول الأولى انطلقت دعوة النبي ﷺ تنشر العلم والمعرفة، وتفتح العيون والقلوب والأنفس على أسرار هذا الوجود، صادحة في العالمين: {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}.

هذا الجدول يكشف لك عن أكثر من ثمانية عشر عالماً عظيماً، تخرجوا من مدرسة النبي ﷺ، ثم مضوا ينشرون العلم والمعرفة في الآفاق. وبه تعلم أن تلك الحضارة العظيمة التي عمّت بركاتهما كل الشرق طيلة العصور الوسطى، والتي حملت وحدها حضارات الأولين، فأفادت منها وأفادتها، وأثرت فيها وأثرتها، ونقلتها بكل أمانة إلى جيل الحضارة الجديدة، كل ذلك لم يكن إلا أثراً من آثار معلم الناس الخير: محمد ﷺ.

## أبو بكر الصديق

يعدّ أبو بكر الصديق واحداً من أعظم علماء الصحابة، فقد كانت صحبته الطويلة للنبي ﷺ فرصة له لينهل من علمه الشريف ﷺ علماً كثيراً. وقد ظهر نبوغه العلمي في عهد رسول الله ﷺ، فكان يفتي في حياته ﷺ بإذنه ورضاه، ومع قيامه بالخلافة وانشغاله بحروب الردة إلا أن نشاطه العلمي لم ينقطع، وسجل له التاريخ أعظم عمل علمي ألا وهو جمع القرآن الكريم للمرة الأولى، بعد أن كان متفرقاً في صدور وثائقهم.

أما علم أبي بكر فلم يدون بشكل مستقل، ولكنه متناثر في كتب الحديث والفتاوى، قال ابن عمر لما سئل: من كان يفتي الناس في زمان رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر وعمر لا أعلم غيرهما.

## عمر بن الخطاب

كثرت اجتهادات عمر وفتاويه في شؤون القضاء والمعاملات، وإلى جانب نشاطه في بناء الدولة الإسلامية فإن عطاءه العلمي لم ينضب طيلة فترة إسلامه، وكان قيامه على القضاء في زمن أبي بكر فرصة له لتزداد معارفه العلمية والشرعية، إذ إن خير وسيلة لزيادة العلم هي التعليم والممارسة.

وكان عمر ممن يفتون في عهد رسول الله ﷺ، قال جابر: لم أر أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب.

وقال ابن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم الناس في كفة ميزان لرجح علم عمر!.

إن كثيراً من الاجتهادات الفقهية والقضائية التي عاجت مشاكل معقدة جداً في التشريع هي من فقه عمر.

### عثمان بن عفان

سجل التاريخ لعثمان بن عفان أعظم مآثرة علمية يمكن أن تخلد الإنسان، وهي قيامه بجمع القرآن في المصاحف وإرساله في الأمصار.

لقد كان عهد عثمان عهد نشاط علمي كبير، حيث نفر علماء الصحابة في الأمصار يعلمون الناس العلم، ويقرؤونهم القرآن والسنة الشريفة، وكان عثمان ممن يفتي على عهد رسول الله ﷺ.

### علي بن أبي طالب

من أعظم علماء الصحابة إن لم نقل أعظمهم على الإطلاق، هلك فيه اثنان: محبّ غالٍ ومبغض قالٍ.

وكان علي قد أوتي علماً كثيراً، فنقلت عنه اجتهادات فقهية وشرعية، ورويت عنه معارف فلكية وجغرافية وكونية، تدل على سعة علمه ودقة فهمه وحسن ملاحظته، كما كان علي أفصح من نطق بالضاد ما خلا النبي ﷺ، وأبرز شاهد على علمه ومعارفه ما جمعه الشريف الرضي من علمه في كتاب: نهج البلاغة.

روى علي عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عنه الصحابة والتابعون. وكان أقضى أهل المدينة، وما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب.

بعثه رسول الله ﷺ لأهل اليمن لتفقيهم في الدين وتعليمهم السنة.

وروي عن رسول الله ﷺ: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت بابها".

جمع القرآن بعد موت النبي ﷺ، وكان عليّ ممن يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

### عبد الله بن العباس

بالرغم من أن عبد الله بن عباس كان صغيراً لما مات النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يحبّه ويؤثره ويدنيه، ولما مات النبي ﷺ كان عمره لا يتجاوز 14 عاماً، ولكن علائم النبوغ والذكاء كانت ظاهرة في محياه، وبدأ يحصّل العلم في همة لا تعرف الكلل ولا الملل.

استفاد من الظروف التي هيأها الإسلام من الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة واحترام العلماء، فراح يضرب في الأرض وهمه الوحيد تحصيل العلم ونشره، واتخذ لنفسه داراً في الطائف وهي مصيف جميل ليتمكن من نشر العلم في هدوء وصفاء. وقد قيل له يوماً: بم نلت العلم؟ فقال: بلسان سؤال وقلب عقول.

ولد عام 3ق. هـ، دعاه رسول الله ﷺ ومسح على رأسه، وقال: "اللهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل". وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يسمى البحر لسعة علمه.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال: "بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسيبٍ ونائل<sup>(1)</sup>، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم-منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا

(1) السيب والنائل: السيب: هو العطاء المطلق غير المقيد. والنائل: ما نالك من معروف إنسان.

عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أتقف رآياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قطّ جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قطّ سأله إلا وجد عنده علماً".

ولما مات عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- بلغ الخبر جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- فصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق".

وقال رافع بن خديج -رضي الله عنه- مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم".

وقال ابن الحنفية لما دفن ابن عباس رضي الله عنهما: "اليوم مات ربّائنا هذه الأمة".

وسجل لابن عباس علم كثير في الفقه والحديث والتشريع وعلوم الحياة والكونيات.

### عبد الله بن عمر

نشأ عبد الله بن عمر في كنف أبيه، فوضع حب العلم مع حليب أمه، ولما مات النبي ﷺ كان عمره عشرين سنة، وكان قد حصل فيها علماً كثيراً. وبعد موت النبي ﷺ أمضى ابن عمر ستين عاماً يفتي الناس وينشر العلم، واعتزل كل نشاط يصرفه عن العلم، حتى صار بيته محجاً مقصوداً لطلاب العالم من كل الأمصار.

وكان شديد الاحتياط والتوقّي لدينه في الفتوى.

وروى عن النبي ﷺ فأكثر. توفي عبد الله بن عمر سنة 73 هـ.

وكان أحد الذين صار إليهم الفتوى في المدينة من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا. أخرج ابن سعد عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر-رضي الله عنهما- يعد من فقهاء الأحداث.

### عبد الله بن عمرو بن العاص

يعتبر عبد الله بن عمرو بن العاص، أنموذجاً للعالم البحر المتعدد الثقافات، فقد ربي في كنف أبيه عمرو بن العاص، وكان من أعز رجال قريش وأغناهم، مما هيا له جواً ملائماً لتحصيل علم كثير.

وكان النبي ﷺ يسأله كثيراً عن التوراة والإنجيل، وكان قد قرأهما وحفظ منهما فصولاً كثيرة، كما التقى ابن عمرو بالكثير من الرهبان والأحبار، فاستمع منهم وأخذ عنهم.

ولما أسلم عبد الله بن عمرو وانقطع إلى علم الشريعة، وصار علماً من أعلام الرواية عن رسول الله ﷺ، وأخذ نفسه بالشدائد في العلم والعبادة حتى جهد جسده في ذلك.

### عبد الله بن مسعود

كان عبد الله بن مسعود صغير الحجم قصير القامة، لكنه كان شديد الذكاء، قوي الحافظو وقد أحسن النبي ﷺ إذ أمره بالانقطاع إلى العلم والتعليم من أول الأمر، وبالفعل فقد أمضى في صحبة النبي ﷺ نحو عشرين عاماً، لا شغل له إلا تحصيل العلم ونشره، وتصدر عشرين عاماً بعد موته ﷺ، فصار مدرسة علمية متنقلة يتبعه الناس حيثما ذهب ينقلون منه ويروون عنه.

قال ابن مسعود: "ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيته".  
وسئل علي بن أبي طالب عنه يوماً فقال: علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علماً.

كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ.

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا: حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هدياً ودلاً فآخذ عنه ونسمع منه قال: كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله ﷺ ابن مسعود.

وسيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة 32هـ.

### معاذ بن جبل

قال رسول الله ﷺ: "أعلمكم بالحلal والحرام معاذ بن جبل"

لقد أوتي معاذ بن جبل استعداداً خاصاً للعلم والدعوة، ولم يسجل له في حياته أي نشاط إلا في مجال العلم والدعوة، وكان موقفاً في تحصيله للعلم موقفاً في قيامه بالتعليم والدعوة.

وانتشر علمه بشكل كبير في اليمن والشام، حيث تصدّر في كل منهما لنشر ما فتح الله عليه من العلم.

قال رسول الله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة" وقال فيه عليه الصلاة والسلام: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر... وذكر الحديث، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل". وكان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ من الأنصار ثلاثة: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت.

أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلم يزل باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم انتقل إلى الشام بأمر عمر يعلم أهلها القرآن والأحكام. توفي معاذ في طاعون عمواس سنة 18هـ.

### أنس بن مالك

أفاد أنس بن مالك منة خدمة للنبي ﷺ إفادة عظيمة، فقد حصّل من ذلك علماً كثيراً، حيث خدم النبي ﷺ وعمره عشر سنين وسمع منه الحديث، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، .

دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، توفي سنة 91هـ وله من العمر مائة وثلاث سنين. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ودفن هناك. اشتهر أنس برواية أحاديث الرقاق ومناقب النبي ﷺ، وكان اسمه حقيقةً في سلوكه ونشاطه من الأنس واللطف.

### أبو موسى الأشعري

قدم أبو موسى من اليمن في السنة السادسة، وكان نابغة في الفهم والعلم فصحب النبي سنة أو سنتين ثم عاد إلى اليمن، ومعه علم كثير من القرآن والسنة،



وانتقل إلى الكوفة حيث انتدبه عمر بن الخطاب لتعليم أهلها، فأخذ عنه علم كثير، وله روايات ومسانيد كثيرة عن النبي ﷺ. كان حسن الصوت بالقرآن، قال عنه رسول الله ﷺ: "لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود".

كان أحد ثلاثة من الأنصار الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ. توفي أبو موسى بالكوفة سنة 44هـ. وهو ابن ثلاث وستين سنة.

### عبادة بن الصامت

أسلم عبادة بن الصامت يوم العقبة الأولى، وكان نقيباً في العقبة الثانية، ولزم النبي ﷺ حتى حصل له علم كثير، ثم انتدبه النبي ﷺ معلماً لأهل الصفة، فكان يعلمهم الفقه والقرآن.

جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار، كان من بينهم عبادة بن الصامت، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب، وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين، وأقام عبادة بحمص ثم سار عبادة بعد ذلك إلى فلسطين، قال الأوزاعي: أول من تولى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت.

قال خالد بن معدان: لم يبق من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام أحد كان أوثق ولا أفقه ولا أَرْضَى من عبادة بن الصامت وشدّاد بن أوس -رضي الله عنهما-. توفي عبادة سنة 34هـ بالرملة، وقيل ببيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

أبو هريرة

أبو هريرة: ذاكرة الإسلام.

تمكن أبو هريرة خلال سنوات قليلة من حفظ الكثير عن النبي ﷺ ثم قدر له أن يعيش بعد النبي ﷺ 47 عاماً، كان يروي ما حفظه عن رسول الله ﷺ، وكان من أزم الصحابة له، وأحفظهم لحديثه ببركة دعاء الرسول له. وكان أكثر الصحابة رواية للحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عنه أكثر من 800 رجل من أصحاب وتابع، وقد أخرج الحاكم في قوة حافظة أبي هريرة عن أبي الزعيزعة كاتب "مروان بن الحكم" أن مروان دعا أبا هريرة-رضي الله عنه- فأقعدني خلف السرير وجعل يسأله وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعه وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أّخر.

توفي أبو هريرة سنة 57هـ.

وإذا كان أبو هريرة لا يعرف له اجتهاد علمي ولا يذكر في علماء الصحابة، فإنه قد قدّم للعلم خدمة جليلة، حيث قام بنقله بأمانة ودقة عظيمة.

### زيد بن ثابت

كان زيد بن ثابت موهبة نادرة أحسن رسول الله ﷺ توجيهها وتنميتها، فقد برع زيد بن ثابت في تحصيل اللغات وفي أحكام المواريث وحساب التركات، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها.

كان أعلم الصحابة بالفرائض فقال رسول الله ﷺ: "أفرضكم زيد"، فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض عملاً بهذا الحديث، وكان من علماء الصحابة الراسخين في العلم، وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله، وأزمتهم إذا كان في القوم. توفي

سنة 45هـ. ولما توفي قال أبو هريرة: "اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً". وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان.

### أبي بن كعب

صحاب أبي بن كعب أحبار اليهود وعلماءهم، وحصل منهم على علم كثير كانوا يظنون به على طالبيه. ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم أبين فيمن أسلم من الأنصار، وجعل كل ما عنده من علم ومعرفة في خدمة النبي ﷺ.

ثم صحب النبي ﷺ، فاجتمع له علم كثير حتى قال له النبي ﷺ: "ليهنك العلم أبا المنذر، ليهنك العلم أبا المنذر" وكان أقرأ الصحابة بشهادة النبي ﷺ له، وكان أحد أصحاب رسول الله ﷺ. توفي سنة 22هـ في خلافة عمر بن الخطاب. وكان أحد خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في زمان النبي ﷺ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حقه: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب.

وكان أبي أحد ثلاثة من الأنصار كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

### أبو الدرداء

عومر بن ساعدة سماه النبي ﷺ حكيم هذه الأمة لعظيم علمه زدقيق فهمه، وكان امرأ واسع التجارة، فصحب النبي ﷺ فانقطع للعلم حتى نبغ فيه، وأرسله عمر إلى الشام معلماً وفقياً ومحدثاً حتى صار مرجع أهل الشام في العلم.

قال معاذ بن جبل وهو على فراش الموت: ابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعلي، فإن فقدتموهم فابتغوه عند أربعة: عومر، وابن مسعود، وسلمان، وابن سلام.

كان أبو الدرداء: أحد خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، بعثه عمر بن الخطاب إلى دمشق يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين، فلم يزل بدمشق حتى مات.

قال مسروق بن الأجدع الهمداني: شامت أصحاب النبي ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: منهم أبو الدرداء.

### أبو سعيد الخدري

سعد بن مالك بن سنان، من أكثر الأصحاب رواية عن رسول الله ﷺ، زانه العلم فكانت فيه أخلاق العلماء من العفة والوقار والخير والحب، وإتاك لا تجد أخلاق العلماء في أحدٍ كما تجدها في أبي سعيد الخدري.

كان من الذين بفتون في المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، ويحدثون عنه من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا.

وأخرج ابن سعد عن حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه قالوا: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

### سلمان الفارسي

يقال له: سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير لأنه أنكر كل نسب له إلا إلى الإسلام.

كان سلمان ابناً لبعض أحبار فارس، وكان قد سمع بمبعث النبي ﷺ فخرج يضرب في الأرض يبحث عنه، وكان لما اجتمع له من علم قديم يعلم أنه قد آن أوان نبي آخر الزمان الذي بشرت به الكتب الأولى، وأن مبعثه بالحجاز، حتى إذا لقي النبي ﷺ كان من أشد الناس صحبة له وأخذاً عنه، وكتب له بعد موت النبي

ﷺ أكثر من خمس وعشرين عاماً كان يمضيها في العلم والعمل والدعوة. وقد قال معاذ بن جبل عند الموت: ابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعلي فإن فقدتموهم فابتغوه عند أربعة: منهم سلمان. وقال عنه علي بن أبي طالب: أدرك العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزف. توفي سنة 35هـ.

## جَدْوَلُ أَشْبَالِ الصَّحَابَةِ

قصدنا في هذا الجدول تعريف القارئ الكريم أن دعوة النبي ﷺ إنما قامت على أكتاف الشباب، وأن الشباب وحدهم هم الذين يتحملون عبء كل ثورة إصلاحية في التاريخ، وكذلك كان في الإسلام.

بين يديك نحو ثلاثين اسماً من ألمع أسماء الرعيل الأول من الصحابة، يحسبهم الجاهل حين يقرأ أسماءهم رجالاً كباراً من كثرة ما قدموا من عطاء، ثم يقلب صفحات حياتهم فإذا هم ناشئة من الفتية، آمنوا بربهم وزادهم هدى.

إن تلك الأعمال العظيمة التي قامت بها هذه الناشئة الطاهرة، هي أوضح دليل على أثر الإيمان في إعداد الأنفس، وأثر المرابي الناجح في تربية الأجيال، وهي صورة حية لتربية النبي ﷺ العظيمة:

التي جعلت من الأطفال رجالاً . .

ومن الرجال أبطالاً . .

ومن الأبطال عمالقة.

الصحابي	عمره يوم أسلم	عمره يوم مات النبي	أعماله...
علي بن أبي طالب	9	41 سنة	-اهتدت على يده قبيلة همدان كبرى قبائل اليمن. -الخليفة الرابع للنبي ﷺ. -باب مدينة العلم وأعلم الصحابة بالقضاء. -من أعظم المجاهدين سماه النبي ﷺ: أسد الله الغالب.
طلحة بن عبيد الله	15	37 سنة.	-أمره رسول الله على عدة سرايا، وهو من العشرة المبشرين بالجنة. -كان عضواً في لجنة الشورى التي اختارت عثمان خليفة للمسلمين.
الزبير بن العوام	14	38 سنة	-من الرعيل الأول، ومن العشرة المبشرين بالجنة. -حواري رسول الله ﷺ.
الأرقم بن أبي الأرقم	15	35 سنة	-من الرعيل الأول، وصاحب أول دار فتحت للدعوة الإسلامية.
سعد بن أبي وقاص	17	39 سنة	أحد المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله. -قائد القادسية وفتح للدائن أمير الكوفة- كان مجاب الدعوة بلغت مروياته عن النبي ﷺ 270 حديثاً.
جعفر بن أبي طالب	20	مات قبل النبي	أمير المهاجرين في الحبشة- من أعظم الدعاة في الإسلام- استشهد يوم مؤتة وكان أميراً فيها.
عبد الله بن مسعود	17	37	من أكبر علماء الصحابة وفقهائهم. كان أقرب الناس إلى النبي ﷺ حتى عدّوه من أهل البيت. بلغت مروياته عن النبي ﷺ 848 حديثاً
سعيد بن زيد	18	35	-كان سبياً في إسلام عمر.

-من الرعييل الأول ومن العشرة المبشرين.			
-أعلم الصحابة بالحلال والحرام بشهادة النبي ﷺ. -من أنجح الدعاة في الإسلام. كان له دور كبير في إسلام اليمن ونشر العلم في الشام، مات وله من الأحاديث عن رسول الله ﷺ 157 حديثاً عمره 34 سنة فقط.	27	17	معاذ بن جبل
-من أعلم الصحابة وألزمهم بهدي النبي ﷺ. -كان وصياً على الخلافة بعد موت أبيه. -بلغت رواياته عن النبي ﷺ (2630) حديثاً	20 سنة	أسلم طفلاً	عبد الله بن عمر
من أعظم علماء الإسلام، أول من اشتغل بعلم مقارنة الأديان توفي رسول الله ﷺ وعمره 19 سنة بلغت مروياته عن النبي ﷺ 700 حديثاً.	19 سنة	15 سنة	عبد الله بن عمرو
حبر الأمة وترجمان القرآن، ومن أعظم علماء الصحابة، توفي رسول الله ﷺ وسنة 14 سنة.	14 سنة	أسلم طفلاً	عبد الله بن عباس
-من علماء الصحابة، بويع بالخلافة ثماني سنين، توفي رسول الله ﷺ وعمره: 11 سنة	11 سنة	أسلم طفلاً	عبد الله بن الزبير
كاتب رسول الله ﷺ وترجمانه، ومن أوثق علماء الصحابة، أعظم أعماله جمع القرآن الكريم في المصاحف.	17 سنة	أسلم طفلاً	زيد بن ثابت
-حب رسول الله ﷺ وابن حبيبه. كان قائد جيش الشام وعمره 17 سنة. وفي جيشه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة	17	أسلم طفلاً	أسامة بن زيد
-استعمله النبي على مكة وعمره 25 عاماً. كان أميراً للحج في السنة الثامنة.	27	24	عتاب بن أسيد
أول شهيد يوم بدر وكان عمره 16 عاماً.	مات قبل النبي	9	عمير بن أبي وقاص



صهيب بن سنان	19	34	- سابق الروم إلى الجنة. - من أعظم المجاهدين والرماة.
خباب بن الأرت	17	32	من الرعيل الأول السابقين في الإسلام، اشتهر بصبره وتحمله الأذى في سبيل الله.
بلال بن رباح	30	47	من الرعيل الأول السابقين في الإسلام. ثبت على الإسلام رغم مقتل أبويه. وكان مؤذن رسول الله ﷺ، وله دور في نشر العلم في الشام

## جدول زوجات النبي

أثار بعض الكاتبين لغطاً فارغاً حول زواج النبي ﷺ بتسع نسوة، ولم يكن هذا الكلام يستحق أن يسطر له رد خاص، لولا أنه بلغ مبلغه في نفوس بعض الجاهلين، فرأينا من حق الأمانة العلمية أن نرد بكلمة مقتضبة على هذه الفرية الظالمة.

الإسلام لم يأت أصلاً بتشريع التعدد، بل جاء بتقييده، فقد كانت بيئة الحجاز تألف التعدد بلا حدود، وعرف من العرب من له أربعون وخمسون زوجة، وما كان الناس يرون في ذلك خروجاً على المؤلف.

فلما جاء الإسلام أبطل ما كانت العرب تعتاده من التعدد بلا حدود، وأمر بالاكْتفاء بأربعة. ثم جعل التعدد مقيداً بالعدل بين الزوجات، وألح إلى ما في هذا العدل من مشقة بالغة فقال: ﴿وَلَكِنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وبقي تشريع التعدد رحمة من الله عز وجل بكثير من النساء لا يجدن من يحصنهن.

وكان النبي ﷺ إذا جاءه من أصحابه من يجمع أكثر من أربع نسوة قال له: أمسك أربعاً وفارق سائرهنَّ.

أما هو ﷺ فلم يفارق أحداً من نسائه لما نزل التحريم، وحكمة ذلك درء الظلم عن نساء النبي ﷺ، فقد كانت المرأة المطلقة تجد من يخطبها ويحصنها، أما نساء النبي فليس لأحد أن ينكحهن بعده، وذلك حتى لا يضيع ماء الأنبياء، فلو طلقهنَّ النبي ﷺ لأصابهن من الظلم والأذية شيء كثير.

{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا}.  
أما زواج النبي ﷺ بتسع نسوة فلم يكن إرواء لنزوة الجسد، كما يحلو لبعض  
خصوم الإسلام أن يصفوه، بل كان في كل نكاح منها بركة عظيمة عادت على  
الناس بنفع عظيم.

ولن أورد في بيان ذلك إلا حجتين اثنتين فيها مقنع لمن كان يتبغي الحق:  
**الأولى:** أن النبي ﷺ بلغ الثالثة والخمسين وليس له إلا زوجة واحدة تكبره  
بخمسة عشر عاماً، ولا شك أن هذه الفترة هي فترة النشاط الجسدي عند الإنسان  
السوي، حتى إذا ما تجاوزها قلت رغبته وانطفأ ميله إلى النساء.

**الثانية:** إن سائر نساء النبي ﷺ كنّ ثيبات: مطلقات أو أرامل باستثناء عائشة  
بنت أبي بكر وحدها.

فلو كان النبي ﷺ يتبغي من نسائه متعة الجسد لكان له غير هذا الاختيار،  
وكانت البديعة تقضي أن يختار من النساء أفتاهن وأضوأهن وأصباهن، وهو أمر -  
لو أراد - جدد يسير.

وبعد: فهذا فصل خاص قصدنا فيه التعريف بنساء النبي ﷺ، وما هي الحكمة  
التي أثمرها نكاح بل واحدة منهن؟ وكيف عاد هذا النكاح على قوم كل واحدة  
منهن بالخير العميم<sup>(1)</sup>.

---

(1) نشير هنا إلى أن النبي ﷺ لم يجتمع عنده في وقت واحد إلا تسع نسوة، فقد ماتت خديجة بنت خويلد، وزينب بنت  
خزيمة، في حياته ﷺ.

أما مارية القبطية فهناك خلاف مشهور بين أصحاب السير في عدّها من زوجات الرسول ﷺ.

## جَدَوُلُ زَوَجاتِ النَّبِيِّ ﷺ

الزوجة	ولادتها	وفاتها	سنها عند زواج النبي بها	وضعها السابق
1- خديجة بنت خويلد	68 ق. هـ	3 ق. هـ	40 عاماً	أرملة مرتين ولها أولاد
2- سودة بنت زمعة	54 هـ			أرملة، كان زوجها السكران بن عمرو
3- عائشة بنت أبي بكر	9 ق. هـ	58 هـ	9 أعوام	كانت بكرًا وتزوجها رسول الله بكرًا
4- حفصة بنت عمر	18 ق. هـ	45 هـ	21 عاماً	أرملة، كان زوجها حصن بن حذافة
5- زينب بنت خزيمة	26 ق. هـ	4 هـ	30 سنة	أرملة، كانت تحت عبد الله بن جحش
6- أم سلمة بنت أبي أمية		62 هـ		أرملة، كانت زوجة أبي سلمة بن عبد الأسد
7- زينب بنت جحش	30 ق. هـ	20 هـ	35 عاماً	مطلقة، كان زوجها زيد بن حارثة
8- جويرية بنت الحارث	15 ق. هـ	50 هـ	20 عاماً	جارية من سبي للمصطلق، كانت تحت مسافع بن صفوان للمصطلق الذي قتل في غزوة للمريسيع
9- رملة بنت أبي سفيان	30 ق. هـ	44 هـ	37 عاماً	كانت تحت عبيد الله بن جحش
10- صفية بنت حيي	10 ق. هـ	50 هـ	17 سنة	كانت أرملة من سبي بني النضير
11- ميمونة بنت الحارث		51 هـ		أرملة، كان زوجها أبو رهم بن عبد العزى
12- مارية القبطية		16 هـ		جارية، أهلها للقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ

## خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين، وأول زوج للنبي ﷺ، وخير نساءه أجمعين، كان يقول: "والله ما أبدلني الله خيراً منها".

بدأت مع النبي ﷺ في دعوته من الأيام الأولى، فكانت له زوجة رحيمة ورفيدة كريمة، وكانت لما عمر قلبها من الإيمان لا تبالي بما تنفقه من مال وما تلقاه من أذى في سبيل الله.

قال لها رسول الله ﷺ يوماً: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك السلام، وأبشرك ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب".

وكان ﷺ يكثر الثناء عليها بعد موتها، ويحسن إلى صديقاتها، ويكرمهن ويقربهن وفاء لها.

وقد ظلت خديجة مع النبي ﷺ تآزره بنفسها حتى رفق جسدها، وتنصره بما لها حتى افتقرت، وكان النبي ﷺ يعرف ذلك كله، وحزن يوم موتها حزناً شديداً حتى سمي ذلك العام عام الحزن. توفيت خديجة في السنة 10 للبعثة.

## سودة بنت زمعة

خطبها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة وكان زوجها السكران بن عمر وقد توفي، وقصد رسول الله ﷺ من زواجها أن تقوم برعاية الأولاد زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكانت سودة امرأة ثبطة ثقيلة ما لها ما للنساء من جمال وشباب، وكانت صوامة قوامة، ولم يؤثر عنها اشتغال بالعلم والرواية. ماتت عام 54هـ.

## عائشة بنت أبي بكر

أم المؤمنين وأحب نساء رسول الله إليه وآثرهن لديه نشأت في بيت الصديق، ولم تكن في يوم من الأيام غير مسلمة.

**أهم الأعمال التي تركتها:**

**1- في مجال الرواية:** روت عائشة رضي الله عنها نحو (2210) أحاديث، وكان بيتها مركزاً لنشر العلم والدعوة، يقصده خواص العلماء في المسائل المشككة.

**2- في الفقه:** كثرت فتاوى عائشة حتى صار لها فقه خاص، امتلأت به كتب التفسير والفتاوى.

**3- في الطبي:** نبغت عائشة في الطب وكانت تُسأل عن ذلك فتقول: تعلمت الطب من حكماء العرب الذين وفدوا على النبي ﷺ في مرضه.

**4- في مجال تربية النساء:** فقد كانت تعقد المجالس للنساء، تعلمهن ما يلزمهن من أمر دينهن، وتصلح لهن شؤون دنياهن. ماتت عائشة رضي الله عنها عام 58هـ.

**حفصة بنت عمر**

أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد موت زوجها حصن بن حذافة عقب بدر، فكانت تقوم على خدمة النبي ﷺ، كما كان لها أثر في توثيق ما بين النبي وعمر من وشائج الحب والقرى، وكانت صوامة قوامة، عاشت إلى خلافة معاوية وتوفيت عام 45هـ، وروت نحو /221/ حديثاً.

**زينب بنت خزيمة الهلالية**

زوج النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ بعد أن استشهد زوجها عبد الله بن جحش في أحد فأحسن إليها وكرمها، وكانت عظيمة الصدقة والإنفاق على المساكين، لم تلبث مع رسول الله إلا شهرين ثم توفيت بعد ذلك.

### أم سلمة

هند بنت أبي أمية المخزومية أم المؤمنين، وزوجة النبي ﷺ. تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربعة للهجرة بعد موت زوجها أبي سلمة، وكانت امرأة عظيمة الإيمان، عظيمة الإخلاص راجحة العقل.

هاجرت إلى الحبشة ثم هاجرت إلى المدينة رغم ما لقيت من صِدِّ ورط من قومها، ثم حصلت من النبي ﷺ علماً كثيراً وعاشت طويلاً حتى انتفع الناس بعلمها. ومن أعظم مواقفها ما ظهر من عقلها وحكمتها يوم أشارت على النبي ﷺ يوم الحديبية أن يتقدم الناس فيحلق ويحل، بعد أن أوشك الناس أن يعصوا رسول الله ﷺ، ففعل النبي ما أشارت به أم سلمة، فاجتمع الناس على الطاعة، وامتلوا أمر النبي ﷺ، وبها رحم الله المسلمين.

توفيت عام 62هـ. ولها من الروايات عن النبي ﷺ جملة طيبة حدثت بها الناس.

## زينب بنت جحش

كانت زينب بنت جحش من أجمل نساء العرب، وكانت بنت عمّة النبي ﷺ "أميمة بنت عبد المطلب"، وقد تزوجها النبي ﷺ بوحي من الله عزّ وجلّ بعد طلاقها من زوجها زيد بن حارثة، وذلك لإبطال عادة التبني التي كانت شائعة في العرب.

أما أعمال زينب في الخير، فقد كانت صوامة قوامة أواهرة شديدة التبتل، وكانت عظيمة مالإحسان للمساكين، وكانت تغزل بيدها وتخيّط وتتصدق بما أفاء الله عليها من الخير، كما كان لها نشاط في العلم والتعليم، وروت عن النبي ﷺ جملة أحاديث وتوفيت عام 20هـ.

## جويرية بنت الحارث

لما غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق، وقعت جويرية في الأسر وهي بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، فاخترها النبي ﷺ وتزوجها، وأحسن إليها، فكانت من أعظم الناس بركة على قومها، فقد جعل الناس يطلقون السبايا ويقولون أصهار رسول الله ﷺ، وأعتق الله به مائة أهل بيت من بني المصطلق.

ثم كانت جويرية بعدئذٍ صوامة قوامة، واجتهدت بعد النبي ﷺ في نشر العلم والرواية عنه. وماتت عام 50هـ.

## رملة بنت أبي سفيان

تزوجها النبي ﷺ بعد تنصّر زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة، وقد خطبها للنبي ﷺ ملك الحبشة النجاشي، وأصدقها أربعمائة دينار، وزفها إليه مع عمرو بن أمية الضمري.



وكان قصد النبي ﷺ من ذلك التأليف بينه وبين أبي سفيان ومن ورائه قريش، وفيها نزل الله عز وجل: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ}.

أما رملة فكانت حكيمة سالحة واعية، وتمكنت من تحويل أبيها عن كثير من بغضه وعداوته للإسلام، حتى قال في حق النبي لما بلغه خبر زواجه منها: "وهو الفحل لا يجده أنفه".

وأيقن أبو سفيان بعدئذ أن عز محمد عز له، وأن نصره نصر له، فانقطعت كثير من نواياه على الإسلام وأهله.

عاشت رملة حتى عام 44هـ، وروت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة رواها عنها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

### صفية بنت حيي بن أخطب

أبوها حيي بن أخطب زعيم بني النضير من اليهود، وهو الذي كان وراء جموع خيبر التي أضمرت الشر للإسلام، تزوجها رسول الله ﷺ عقب غزوة خيبر، وكانت قد وقعت في السبي، فأحسن إليها وأكرمها وتزوجها ثم عرس بها، وكان مراد النبي ﷺ أن يؤلف بينه وبين اليهود، وقد أبقاهم على مزارعهم في خيبر وفدك، فكانت صفية من أعظم النساء بركة على قومها.

وقد كانت صفية تقية عابدة، وكانت أثيرة عند النبي ﷺ، وكانت حكيمة راشدة عاقلة ولم تقطع اليهود من برها وصلتها، ولا يبعد أن يكون الله قد هدى على يديها قوماً من يهود.

ماتت صافية عام 50هـ، وروت مجموعة من السنن عن النبي ﷺ ومروياتها في الكتب الستة جميعاً.

### ميمونة بنت الحارث

تزوجها النبي ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع، بعد موت زوجها أبو رهم بن عبد العزى، وقد كانت ميمونة عظيمة البركة على قومها في الإسلام. فقد تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، وأقام لها حفلاً ووليمة بسرف، ودعا إليه سائر قريش، فاجتمع الناس فأنس النافر وقرب البعيد وقالوا: "أصهر إلينا محمد".

وعاشت ميمونة حتى انتفع الناس بعلمها وروايتها عن رسول الله ﷺ، وكانت عائشة تقول عن ميمونة: إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

توفيت عام 51هـ، روى لها أصحاب الكتب الستة عدداً من السنن.

### مارية القبطية

أهدى المقوقس عظيم مصر إلى النبي ﷺ جملة هدايا فيها "مارية القبطية"، وكانت مارية قد أسلمت على يد حاطب بن أبي بلعنة فتزوجها النبي ﷺ وأكرمها، وأنجبت له إبراهيم غير أنه لم يكتب له العمر فتوفي صغيراً، وحزن رسول الله ﷺ لموته أشد الحزن...

لم يؤثر عن مارية اشتغال في العلم والرواية. ماتت عام 16هـ.

## جدولُ نساءِ الصَّحَابَةِ

-لم تكن المرأة غائبةً عن صنع التاريخ في الإسلام، بل كان لها دورٌ كبيرٌ فيه. ولم يمنعها عفافها ودينها أن تكون فاعلة في الأحداث، فكانت معلمة وناصحة ومشيرة أمينة، بل ومجاهدة مقاتلة إن اقتضى الأمر وإنَّ أعظمَ عملٍ يسجل لنساء الصحابة هو قيامهن بإعداد ذلك الجيل العظيم الذي صار فيما بعد أعظم جيل شهدته الدنيا.

هذا الجدول يقدم لك بياناً عن نحو 21 من نساء الصحابة كان لهن أعظم الأثر في حركة الأحداث في ذلك الفج الإسلامي العظيم.

## زينب بنت النبي ﷺ

أكبر بناته ﷺ ولدت عام 23 ق. هـ. تزوجها أبو العاص بن الربيع، فلما بُعث النبي ﷺ لم يسلم زوجها أبو العاص، ففارقتة غير آسفة، غير أنها لم تياس من هدايته وإسلامه، وأرسلت له في ذلك، حتى إذا كان يوم بدر وقع زوجها أسيراً في يد النبي ﷺ فأجارته زينب، وأرسلت له قلاذتها لتكون فداءه عندما أسر مع المشركين في معركة بدر، فلما أطلقه النبي ﷺ أرسلت إليه زينب تدعوه إلى الإسلام، فما لبث بمكة إلا أياماً حتى جاء إلى النبي ﷺ مسلماً فرد إليه زينب.

توفيت زينب سنة 8هـ، وتركت بنتاً واحدة هي أمامة؛ وهي التي كان النبي ﷺ يحملها في الصلاة.

### - أشهر أعمال زينب:

- موافقها في الصبر مع النبي ﷺ وإيثارها صحبة النبي ﷺ على زوجها المشرك.
- دورها في هداية زوجها أبو العاص بن الربيع.
- نشاطها العلمي حيث صحبت النبي وروت عنه غير أنها لم تعش حتى يستفاد من علمها وروايتها.

## رقية بنت النبي ﷺ

ولدت رقية قبل بعثة النبي ﷺ بنحو تسع سنين، وتزوجها ابن عمها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة، ولما استعلن النبي ﷺ أمر أبو لهب ولده عتبة أن يطلقها، فطلقها لغير ما ذنب، فكان هذا أول صبر لقيته في سبيل الله، ثم تزوجها عثمان بن عفان فهاجر بها إلى الحبشة، فكان هذا أيضاً جهاداً في سبيل الله، ثم هاجرت مرة ثالثة إلى المدينة المنورة مع زوجها، غير أن ما لقيته من آلام ومحن في ذات الله قد أنهك

جسدها فاستسلمت للمرض، ولم يمض عام ونصف على هجرتها حتى أدركها الموت، ورسول الله ﷺ في بدر.

لقد كانت زينب من أعظم النساء صبراً وجهاداً، وكانت على قدر كبير من العلم والعمل، غير أن الأيام لم تمهلها حتى تنشر ما رزقها الله من علم غزير. لم تعقب رقية، وقيل با ولدت لعتبة ولعثمان ولدين ماتا طفلين، فلم يعيش لها عقب.

### أم كلثوم بنت النبي ﷺ

لا تعرف إلا بكنيتها، وقد تزوجها عتيبة بن أبي لهب، فلما نزل قوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب و تبت يدا أبي لهب ولديه عتبة وعتيبة، فطلقا ابنتي النبي ﷺ رقية و أم كلثوم.

وبقيت أم كلثوم أيما إلى ما بعد وفاة رقية فزوجها النبي ﷺ من عثمان ، وقال : ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحى من السماء.

صبرت أم كلثوم كثيراً، وجمعت علماً كبيراً غير أنها ماتت في السنة التاسعة والرسول ﷺ حي، فلم يؤثر لها رواية.

### فاطمة "رضي الله عنها"

بنت النبي ﷺ وبضعة منه، وهي خير نساء العالمين، لا تحصى فضائلها ولا تعد مكارمها، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وهي أصغر بنات النبي ﷺ وآثرهن لديه. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما رأيت أفضل في الإسلام من فاطمة إلا أباه.

ولفاطمة رضي الله عنها أعمال ليلة نعدّ منها:

-مواقفها في نصره أبيها، والدفاع عنه لما اشتد عليه أذى المشركين.

-تربيتها العظيمة للسبطين الشهيدين الحسن والحسين، حيث صارا أئمة الدنيا في العمل الصالح وفي مكارم الأخلاق.

-رواياتها العلمية لحديث رسول الله ﷺ، حيث روى لها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

توفيت فاطمة عام 11هـ، ولها من العمر نحو 27 عاماً.

### أسماء بنت أبي بكر

"ذات النطاقين"

ولدت أسماء بنت أبي بكر في كنف والدها الصديق رضي الله عنهما قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاماً، وأسلمت مع أبيها طفلة، وتزوجها الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وهاجرت وهي حامل، فولدت بعبد الله بن الزبير في المدينة عند مسجد قباء. وأهم أعمالها في الإسلام:

-دورها الهام في هجرة النبي ﷺ، حيث كانت تؤمن الزاد وتكتم الخبر.

-تربيتها العظيمة لأولادها الذين صاروا قادة كباراً في الفتوحات والإصلاحات، وعلماء عاملين في العلم والرواية: عبد الله ومصعب وعروة.

-مواقفها الشجاعة والجريئة من الحجاج في كشف ظلمه والتحريض عليه.

-مواقفها مع ولدها عبد الله في توجيه ثورته وشد عزيمته.

-رواياتها العلمية الكثيرة التي نقلها لها المؤرخون والمحدثون، وقد روى عنها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

توفيت أسماء عام 74هـ، ولها من العمر نحو 100 عام.

### أسماء بنت عميس

من أول المؤمنات زوجها جعفر بن أبي طالب آمنت معه وهاجرت معه إلى الحبشة، وكانت من أعظم النساء صبراً وكياسة وعقلاً.

ولما مات جعفر تزوجها أبو بكر الصديق، فكانت عنده إلى أن توفي، ثم تزوجها علي بن أبي طالب وماتت بعده، وولدت لهم جميعاً.

**ومن أهم أعمالها:**

هجرت إلى الحبشة مع زوجها، وقد رويت لها مواقف عظيمة وآراء سديدة في تأييد زوجها، وشد أزره وتوجيه موافقه.

- كانت ترى أن التفاضل بالتقوى لا غير، ولا عبرة للأنسب والأجباس، وشكت إلى النبي ﷺ مقالة بعض المهاجرين أنها لا هجرة لها، فقال النبي ﷺ: "لا بل للناس هجرة ولك هجرتان".

- تربيتها العظيمة لأولادها، فقد رووا عنها الحديث، وكان من صلبها حفيدها الكبير القاسم بن محمد الذي صار سيد فقهاء المدينة.

- لما نضجت أسماء بنت عميس صار بيتها داراً للإصلاح بين الناس في المدينة، وقد قصدها عمر وعلي مرة في فك الخصومات.

- روايتها للعلم الشريف، وحفظها عن رسول الله ﷺ، ومروياتها في البخاري والسنن الأربعة كثيرة.

**أسماء بنت يزيد بن السكن**

من خير نساء بني عبد الأشهل من الأوس، بنت عم معاذ بن جبل كانت تكنى أم سلمة وتعرف بـ، "خطيبة النساء".

**ومن أشهر ما روي عنها:**

-مواقفها الجريئة في استبانة أصول دينها من رسول الله ﷺ، وروي لها الكثير من المواقف، حتى أنها طلبت من رسول الله ﷺ مجلساً خاصاً للنساء، فأجابها إليه.

-مواقفها الجريئة في الدفاع عن حقوق المرأة، حتى سميت "خطيبة النساء"، وهي التي قدمت إلى النبي ﷺ فقالت: "يا رسول الله إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، فجعل النبي ﷺ الأمر إليها فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شيء.

-رواياتها العلمية عن النبي ﷺ وقد روى لها البخاري وأصحاب السنن الأربعة.  
-موقفها يوم اليرموك، حيث شاركت في الإمداد والمداواة، ولما اشتبكت الصفوف التحمت مع الصف فقتلت تسعة من الروم بعمود فسطاطها.

### الخنساء

هي تماضر بنت عمرو الشاعرة المخضمة، رباها الإسلام فأحسن تربيتها، وكانت في الجاهلية فقدت أخاها صخرًا، فكتبته ورثته حتى ملأت بشعرها فيه دواوين العرب، وكانت تقول:

ولولا كثرة الباكين حولي | على إخوانهم لقتلت نفسي  
فلما أسلمت صارت امرأة أخرى، وخرجت يوم القادسية بأولادها الأربعة فحضتهم على الجهاد، وكان فيما قالت لهم:

"أي بني، إنكم آمنتم مختارين وهاجرتهم طائعين، فتقدموا في سبيل الله ولا تغرنكم الدنيا، فإنها متاع الغرور". فتقدموا فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً، فلم تزد على أن قالت:

"الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأسأل الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".  
للخنساء من الأعمال:



- هجرتها إلى النبي ﷺ مع بني سليم.
- ماتركته من تراث شعري في الخير ومكارم الأخلاق، وكان النبي ﷺ يحب شعرها ويستنشدتها ويقول: "هيه يا خناس أسمعينا".
- قيامها بتربية أولادها الأربعة تربية جهادية نادرة.

### نسبية بنت كعب المازنية

من نساء النصار من الخزرج وكنيتها أم عمارة، شهدت بيعة العقبة الثانية مع النبي ﷺ، ومع قيامها بواجبها كأم مربية فقد شهدت كثيراً من المواطن مع رسول الله ﷺ.

### أهم أعمالها:

- موقفها الصلب من أخيها عمر حين صدعت أمامه بإسلامها، ودعته إلى الدخول في الإسلام، وكتب الله هدايته للإسلام على يدها.
- رواياتها عن النبي ﷺ، وأوردها الواقدي، ويظهر فيها أن فاطمة كانت معلمة للنساء، وكانت الفواطم تجتمع عندها في طلب العلم.

### أم حرام بنت ملحان

واسمها: الرميضاء، وهي خالة أنس بن مالك. كانت تقوم بخدمة النبي ﷺ كلما جاء قباء، وكان النبي ﷺ إذا جاء قباء نزل عندها، فأصلحت شأنه، وقامت بخدمة أصحابه، توفيت في خلافة عثمان.

### ومن أهم أعمالها:

- اشتراكها في غزوة قبرس مع زوجها عبادة بن الصامت، وكان النبي ﷺ قد قال يوماً وهو عندها:

"أول ناس من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا"، قالت: فادع الله أن أكون منهم يا رسول الله؟! قال: أنت من السابقين، وقد توفيت أم حرام في غزوة قبرس ودفنت فيها.

- صبرها على وفاة أبيها ملحان بن خالد وأخيها حرام بن ملحان، حيث استشهد مع النبي ﷺ وقد مان النبي ﷺ يرق لها ويكثر الدخول عليها ويرحمها.
- نشاطها العلمي، حيث روى لها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.
- قيامها بخدمة النبي ﷺ وأصحابه من الدعاة، حتى صار دارها في قباء مدرسة لنشر العلم والخبر.

### صفية بنت عبد المطلب

- عمّة النبي ﷺ، من أعظم نساء الصحابة، تزوجها العوام بن خويلد بعد موت زوجها الحارث بن حرب، فولدت له الزبير والسائب.
- هاجرت مع النبي ﷺ وجاهدت معه، ولها المواقف المشهورة، وعاشت إلى خلافة عمر معلمة وناصحة وداعية، ومن أشهر أعمالها:
- هجرتها إلى النبي ﷺ وما لقيته من عناء في ذلك.
- جهادها مع النبي ﷺ، حيث شهدت معه المشاهد، وقامت يوم الخندق بالدفاع عن حصن النساء، فقتلت عيناً ليهود، وقطعت رأسه وألقته إلى القوم.
- ما تركته من تراث شعري رفيع نقلته كتب السيرة.
- تربيتها العظيمة لولدها الزبير، حتى صار حوارياً رسول الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.
- نشاطها العلمي، حيث نقلت عنها فتاوى في الحكام والعبادات.

### أم سليم بنت ملحان

أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أسلمت مع الأولين من الأنصار، وأخلصت في إيمانها وصحبتهما، ففارقها زوجها مالك بن النضر إلى الشام فمات بها، وخطبها أو طلحة الأنصاري وكان مشركاً فجعلت صداقها منه أن يدخل في الإسلام، وجعلت تدعوه وترفق به مآمن فتزوجته، وعاشت إلى خلافة عثمان، وأخبارها كثيرة مشهورة.

ومن أشهر أعمالها:

- صبرها وجهادها وإيثارها رسول الله على زوجها أو ولدها.
- نذرها ولدها أنس لخدمة النبي ﷺ، مع أنها كانت خلية عن الأزواج وكانت حاجتها إليه كبيرة.
- سعيها في هداية أبي طلحة، الذي قال عنه رسول الله: "إن سوت أبي طلحة في الجيش بألف رجل"، وقد وفقت لذلك وشرح الله صدره للإسلام.
- شاركت في مواقف جهادية مع النبي ﷺ، واتخذت لنفسها خنجراً كانت تحمله في مواقف الجهاد.
- توفي لها ولد فكنمت ذلك عن زوجها، فجاء وقد ازينت له وتطيبت كأحسن ما تكون، وتركته حتى أصاب منها ونام، فلما أصبح أخبرته بالطف ما يكون الرفيق السفيق، فكانت مثال المرأة الصابرة الحكيمة، وقد سر رسول الله ﷺ لفعالها وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي كصابرة بني إسرائيل، ثم قال: بارك الله لكما في ليلتكما، فأكرمهما الله بولدهما عبد الله بن أبي صلحة، فرزق عشرة من الولد، كلهم جمع القرآن كاملاً.
- تربيتها لولدها أنس حتى صار من كبار علماء الإسلام.
- نشاطها العلمي، حيث روى لها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

## أم رومان بنت عامر

زوجة أبي بكر الصديق، ووالدة عبد الرحمن وعائشة واسمها زينب وقيل وعد. أسلمت قديماً، وكانت مع زوجها أبي بكر في حاجة النبي ﷺ —ولما هاجر تخلفت عنهما حتى هاجرت مع طلحة وأبي رافع، وكانت عظيمة الصبر واليقين، حتى قال رسول الله ﷺ: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان". ولما ماتت سنة ست، نزل النبي ﷺ في قرها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك".

### ومن أهم أعمالها:

- وقوفها مع زوجها أبي بكر إلى جانب النبي ﷺ في أيام الدعوة الأولى، على ما في ذلك من صبر ومشقة، رغم أن ولدها عبد الرحمن لم يدخل فيما دخل فيه أبوه، فكان يقينها بالحق أعظم من عاطفتها وحنانها.
- مضت في هجرتها تاركة ولدها في مكة غير آسفة، حتى هداه الله للإيمان.
- قيامها بتربية ولديها عائشة وعبد الرحمن، حتى صارت عائشة أعلم نساء العالمين، وصار عبد الرحمن بعدئذٍ من أعظم المجاهدين.
- نشاطها العلمي في التعليم والرواية، وقد روى لها البخاري رغم أنها ماتت في عهد النبي ﷺ، وهناك قول بتأخر وفاتها إلى ما بعد خلافة عمر.

### خولة بنت مالك بن ثعلبة

اشتهرت باسم خولة بنت ثعلبة، وقد عرفت بمواقفها الجريئة في نصيحة الأمراء، وهي التي نزل القرآن بخبر جدالها في سورة المجادلة: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}.

لا يعرف لها رواية إلا في سنن أبي داود، وأشهر ما روي عنها أنها برزت على ظهر الطريق، فلما خرج عمر من المسجد سلم عليها، فردت عليه السلام وقالت: هيه يا عمر... عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تزغ الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعبة، وأعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى عليه الفوت، فقال بعض أصحاب عمر: قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة، فقال عمر: دعها أما تعرفها هذه خولة بنت مالك امرأة أوس بن الصامت، التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق والله أن يسمع لها.

### خولة بنت حكيم

أم شريك زوجة عثمان بن مظعون، اشتهر ذكاؤها وعلمها وصلاحتها بين الناس، وكان زوجها عثمان بن مظعون قد هجر النساء وتبتل للعبادة، فقدمت على النبي ﷺ فتأدبت أن تشكو زوجها إلى النبي ﷺ، غير أنها قالت: وقد دخلت بذة الهيئة: يا رسول الله إن عثمان صائم النهار قائم الليل لا أرب له بالنساء، ففهم النبي ﷺ مقصدها، وأمر عثمان أن يرجع عما عزم عليه.

### وأهم أعمالها:

- كانت أعرف الناس بحقوق الأزواج والزوجات، فكانت نساء المسلمين يقدمن عليها فتحدثهن بما يجب عليهن.

- نشاطها العلمي: انقطعت للعلم والعبادة بعد وفاة زوجها أول الهجرة، فأخذ عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب، ورواياتها في الكتب الستة كثيرة.

### رفيدة الأسلمية

لا يعرف الكثير عن رفيدة الأسلمية، ولكنها اشتهرت بين المسلمين بالطب والتداوي، حتى أمر النبي ﷺ بنصب خيمة خاصة لها في المسجد، كانت بمثابة أول مستشفى طبي في الإسلام، وكان لها من أصحابها من يعينها على هذا العمل الكريم، وكان النبي ﷺ يمر برفيدة وصويجباتها قياركهن ويدعو لهن.

كذلك فإن هناك الكثير من النساء، كان لهن دور كبير في بناء المجتمع الإسلامي،  
علماء وتربية ومعارف ونعد منهن:

- **زينب بنت معاوية:** زوجة عبد الله بن مسعود والتي أخرجت رواياتها في  
الكتب الستة.

- **لبابة بنت الحارث:** أم الفضل زوجة العباس، وقد اشتهرت بالعقل والحكمة  
والكياسة، وروى لها أصحاب الكتب الستة كثيراً من أحاديث الأحكام.

- **أم كلثوم بنت عقبة:** أخت الوليد بن عقبة، وكانت عالمة فاضلة عابدة، روى  
لها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

- **أم هانئ بنت أبي طالب:** وهي التي طال عمرها وحسن عملها، وروى لها  
أصحاب الكتب الستة جميعاً.

وبعد...فهذه سيرة ثلاث وثلاثين امرأة، تركز أعمالاً جلييلة في تاريخ الإسلام،  
وذكرت أسماءهن في كتب السيرة النبوية، وظهر بذلك لمن يبتغي الحق أن الإسلام  
لم يجعل المرأة عضواً عاطلاً، بل صارت المرأة في الإسلام جزءاً هاماً من التاريخ  
الإسلامي والثقافة الإسلامية.

بحسبك أن تعلم أن في كتب الحديث المدونة اليوم روايات عن 541 عالمة من  
عالمات الصحابة. .



## جَدُولُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

اعتمدنا في إعداد هذا الجدول على كتاب: الرسول القائد. لمؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب. وذلك لما له في المجال العسكري من خبرة واختصاص. وجملة ما أحصاه من غزوات النبي ﷺ ثمانية وعشرون غزوة شارك فيها رسول الله ﷺ بنفسه.

ولابدّ من الإشارة إلى أن غالب هذه الغزوات لم يحصل فيها التحام حقيقي، وبفضل حكمة رسول الله ﷺ ورحمته أمكن حقن الدماء فيها. ولم يحصل التحام حقيقي إلاّ في أربع غزوات منها فقط وهي: بدر وأحد وخيبر وحنين وما جرى يوم قريظة.

أما في سائر الغزوات فقد كان رسول الله ﷺ يبرم المعاهدات أو يكتفي بفرار القوم أو يخندق حول نفسه.

أما بالنسبة للسرايا التي خرج فيها أصحاب رسول الله ﷺ فعددها خمس وثلاثون سرية، وقد كانت في غالبها سرايا دعوة وبلاغ، فيها العلماء والقراء والحفاظ، ينفرون في الآفاق يبلغون رسالات الله، وكل ما سجل من اشتباك بينهم وبين قبائل المشركين، فقد كان عملاً مشروعاً، بغرض الدفاع عن النفس، أو رد العدوان عن الجماعة المسلمة.

وقد جرينا على عادة المؤرخين في عدد الغزوات، رغم اقتناعنا أن كثيراً منها لم يكن القتال في مقصدها ولا في نيتها، كصلح الحديبية، وعمرة القضاء، وودّان، وبواط، والعشيرة، وغيرها.

وقد أرفقنا الجدول بخارطة: مواقع الوقائع، حيث حددنا فيها مواقع الغزوات الثمانية والعشرين التي خاضها رسول الله ﷺ، وبه تعلم أنها جميعاً لم تتجاوز حدود الحجاز، مع أن الجزيرة كلها دخلت في الإسلام في عهد النبي ﷺ.

## جَدْوُلُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

رقم	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمّل النتائج
1	غزوة ودان (الأبواء)	200 راكب ورجل	-	ودان	صفر	لم يلاق قريش فحلف بني ضمة
2	غزوة بواط	200 راكب ورجل	100 راكب ورجل من قريش	بطان ناحية جبل رضوى	ربيع الأول	لم يدرك قافلة قريش
3	غزوة العشيرة	200 راكب ورجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمة	العشيرة	جمادى الأولى	ودع بني مدلج وحلفائهم بني ضمة
4	غزوة بدر الأولى	200 راكب ورجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفين	جمادى الآخرة	قر للمشركين بما غنموه من المشركين
5	غزوة بدر الكبرى	315 معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	950 منهم من قريش	بدر	رمضان	انتصار المسلمين على قريش
6	غزوة بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من يهود	المدينة	أيلول شوال	تظهر داخل المدينة من يهود
7	غزوة بني سليم	200 راكب ورجل	بنو سليم وغطفان	قوة لكدر بين المدينة ومكة	أواخر شوال	فرار بني سليم وغطفان، وقد تركوا أموالهم للمسلمين
8	غزوة السوق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	200 فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة	فول قريش من مطاردة للمسلمين
9	غزوة ذي أمر	450 بين راكب ورجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو أمر موضع بنجد	محرم	قر بنو ثعلبة ومحارب، وبقي للمسلمون في ديارهم حوالي شهر
10	غزوة بحران	300 راكب ورجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة ومكة	ربيع الأول	قر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
11	غزوة أحد	700 بينهم خمسون فارساً	2900 من قريش وأحبابيها ومائة من بني ثقيف، بين القوة مائتا فارس	جبل أحد في ضواحي المدينة	شوال	استطاع المشركون إيقاع 70 شهيداً من المسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويرها لقوات المسلمين
12	غزوة حمراء الأسد	630 بين راكب ورجل	2978 من قريش وأحبابيها ومن ثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال	طرد للمسلمون قريشاً وحلفائهم إلى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد مباشرة، ولكن للمشركين فضلاً علم قبل المعركة ويسجل إلى مكة
13	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	يهود بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع الأول	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
14	غزوة ذات الرقاع	400 راكب ورجل	بنو محراب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان	فرار بني ثعلبة وبني محراب
15	بدر الآخرة	حوالي ألف راكب ورجل	300 من قريش	بدر	شعبان	عادت قريش أدرأجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب مواعدها

16	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول	السنة الخامسة الهجرية	فرت القبائل
17	غزوة بني المصطلق من خلعة	ألف راكب وراجل	بنو المصطلق	المربع	شعبان		فرّ بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين

رقم	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمّل النتائج
18	غزوة الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش ومن بني سليم وقرظة وأشجع وغطفان عابدهود من بني قريظة	المدينة	شوال	عودة الأحزاب من حصار المدينة خائبين
19	غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم 36 فارساً	600 إلى 700 من قريظة	ضواحي للبية	ذو القعدة	القضاء على بني قريظة
20	غزوة بني لحيان	حوالي 3 آلاف	بنو لحيان	گران	جمادى أولى	فرّ بنو لحيان
21	غزوة ذي قرد	-	غطفان	ذو قرد	جمادى أولى	فرّ بنو غطفان وتركوا الغنائم التي أخذوا المسلمين
22	غزوة الحديبية	1400 راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
23	غزوة خيبر	1400 راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم	سقوط خيبر واستلام يهود فدك ووادي وتيماء فتمّ بذلك القضاء عسكرياً على يهود العربية
24	غزوة عمرة القضاء	1400 راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خر المشركون وهذه معركة معنويات لا ميدان
25	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان	فتح مكة
26	غزوة حنين	1200 بين راكب وراجل	هوزان وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال	اندحار هوزان وثقيف
27	غزوة حصار الطائف	1200 بين راكب وراجل	ثقيف وبعض هوزان	الطائف	شوال	لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون أدراء المدينة
28	غزوة تبوك	ثلاثون ألفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب	فضّل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فأقام في تبوك حوالي عشرين يوماً وصالحوا وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشما بذلك قاعدة أمينة لحركاتهم المقبلة



وبعد .

فهذا آخر ما وفق الله سبحانه إلى تحريره من سيرة سيد العالمين الشاهد والمبشر

والنذير محمد ﷺ { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (1).

وقد اعتمدنا في إعدادها وتربيتها وتنسيقها على كتب السيرة الأصول المعتمدة عند جمهور الأمة وقد أشرنا إليها في قائمة المراجع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا إلى عرض سيرة النبي ﷺ للشباب المسلم، عرضاً يدفعهم إلى المسير على هدي قوله سبحانه:

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (2).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

7/11/1989

(1) سورة الأحزاب: 44-48 .

(2) سورة الأحزاب: 21 .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
أنساب العرب	9
بلاد العرب قبل الإسلام	13
البيت الحرام	17
مكة المكرمة	21
ولادة النبي ﷺ	23
إرهاصات النبوة	31
السنة الأولى للبعثة	33
1- بدء الرؤيا الصادقة (من ربيع الأول إلى رمضان)	33
2- نزول الوحي الشريف (شهر رمضان)	34
3- إيمان ورقة بن نوفل والتبشير بالنبي ﷺ	35
4- إسلام خديجة بنت خويلد	35
السنة الثانية للبعثة	37
1- نزول سورة المدثر وبدء الدعوة	37
2- دخول الرعيل الأول في الإسلام	38
3- تسامع قريش بخبر الإسلام	40
السنة الثالثة للبعثة	43
1- دخول دار الأرقم. أول مدرسة في الإسلام	44
2- الاجتماع على صلاة الغداة والعشي	43
3- أول دم في الإسلام	43
السنة الرابعة للبعثة	45

- 1- إعلان الدعوة في قريش ..... 45
- 2- بدء الآيذاء والاضطهاد ..... 47
- 3- إعلان أبي طالب حمايته للنبي ﷺ ..... 48
- 4- محاولات قريش احتواء رسالة النبي ﷺ عن طريق المفاوضة ..... 48
- 5- وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام على يد أبي جهل بن هشام .... 49
- 6- وفاة ثوية الصابرة ..... 51
- السنة الخامسة للبعثة.....** 53
- 1- اشتداد أذى قريش ..... 53
- 2- الهجرة الأولى إلى الحبشة وفيها عثمان بن عفان ورقية بنت النبي ﷺ ..... 54
- 3- محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم ..... 54
- 4- بدء الدعوة في الحبشة ..... 56
- السنة السادسة للبعثة.....** 59
- 1- إسلام حمزة بن عبد المطلب ..... 59
- 2- إسلام عمر بن الخطاب ..... 61
- 3- الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن ..... 65
- 4- عودة بعض المهاجرين من الحبشة ..... 65
- السنة السابعة للبعثة.....** 67
- 1- الهجرة الثانية للحبشة ..... 67
- 2- محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية ..... 67
- 3- قريش تصاب بالحيرة ..... 67
- السنة الثامنة للبعثة.....** 71
- 1- دخول المسلمين في شعب أبي طالب في مؤامرة ظالمة ..... 71
- 2- إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين ..... 72
- 3- استمرار التربية العقائدية والروحية في مدرسة النبي ﷺ ..... 72



73	السنة التاسعة للبعثة.....
73	1- استمرار الحصار الظالم.....
74	2- حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين.....
74	3- انتشار خبر المقاطعة في العرب.....
75	4- دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام.....
77	السنة العاشرة للبعثة.....
79	1- نقض الصحيفة الظالمة.....
79	2- وفاة خديجة بنت خويلد.....
81	3- وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ.....
83	4- إيذاء قريش للنبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب.....
85	5- هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.....
89	6- إيمان نفر من الجن.....
90	7- إيمان عداس النينوي.....
90	8- دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي.....
93	9- العودة إلى الدعوة في مكة في جوار المطعم.....
94	10- إسلام جماعة من أهل المدينة في موسم الحج.....
94	11- إسلام جماعة من بني شيبان وفيهم المثنى بن حارثة.....
97	السنة الحادية عشرة للبعثة.....
97	1- استمرار الدعوة في جوار المطعم.....
98	2- الإسراء والمعراج.....
100	3- ظهور أول ردة في الإسلام بعد خبر الإسراء والمعراج.....
100	4- تشريع الصلوات الخمس.....
101	5- بيعة العقبة الأولى.....
102	6- إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة.....

- السنة الثانية عشرة للبعثة.....105
- 1- بدء دعوة مصعب في المدينة.....105
- 2- أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.....105
- 3- إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.....106
- 4- بيعة العقبة الثانية.....108
- 5- بدء الهجرة إلى المدينة.....109

### السنة الأولى للهجرة "13 ب"

- 1- بدء الهجرة إلى المدينة.....114
- 2- محاولات قريش لمنع الهجرة.....116
- 3- هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول.....117
- 4- بناء المسجد.....126
- 5- عقد المؤاخاة العظيم.....129
- 6- إعلان دستور المدينة.....130
- 7- موادة اليهود.....132
- 8- محالفة القبائل.....134
- 9- الإذن برد العدوان.....135
- 10- استئناف رحلة الهجرة.....136
- 11- بدء الآذان.....132

### السنة الثانية للهجرة "14 ب"

- 1- الإذن بالجهاد.....137
- 2- تحويل القبلة إلى البيت الحرام.....140
- 3- غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.....138
- 4- سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.....139
- 5- وقعة بدر الكبرى.....140

- 6- تشريع الصيام.....137
- 7- غزوة بني قينقاع.....150
- 8- إرسال الدعاة إلى القبائل المجاورة.....137
- 9- أمر الأسرى.....148
- السنة الثالثة للهجرة "15 ب"**.....153
- 1- ظهور النفاق في مجتمع المدينة.....156
- 2- قتل غراب الحرب اليهودي الماكر: كعب بن الأشرف.....156
- 3- خروج قريش للانتقام من المسلمين.....156
- 4- وقعة أحد.....156
- 5- مقتل حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.....158
- 6- غزوة حمراء الأسد.....165
- 7- سرايا عقب أحد.....168
- السنة الرابعة للهجرة "16 ب"**.....169
- 1- إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد يوم أحد.....169
- 2- إرسال الدعاة ومأساة ويوم الرجيع.....170
- 3- الغدر بالقراء الدعاة يوم بئر معونة.....172
- 4- إجلاء جرثومة الغدر "بني النضير" من المدينة.....173
- 5- تحريم الخمر بشكل نهائي.....175
- 6- غزوة ذات الرقاع.....177
- 7- استئناف إرسال سرايا الدعاة.....172
- 8- غزوة بدر الآخرة.....178
- السنة الخامسة للهجرة "17 ب"**.....179
- 1- اشتداد النفاق وتفاقمه.....179

2- دخول بني المصطلق في الإسلام عقب زواج رسول الله ﷺ بجويرية بنت الحارث 180

3- نزول سورة المنافقين في فضح النفاق في المدينة عقب محاولة فاشلة من المنافقين للإيقاع بين المهاجرين والأنصار..... 183

4- حديث الإفك ونزول سورة النور في براءة عائشة..... 184

5- غزوة الأحزاب (الخدق)..... 196

6- قتل بني قريظة آخر جرثومة غدر في المدينة..... 201

7- وفاة سعد بن معاذ..... 203

السنة السادسة للهجرة "18 ب"..... 205

1- استئناف إرسال سرايا الدعوة..... 205

2- تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود ومقتل أبي رافع..... 206

3- التفكير في موادة قريش ومعاهدتها..... 206

4- الخروج للحديبية وبيعة الرضوان..... 212

5- صلح الحديبية وفيه:..... 207

1- اعتراف قريش بالدولة الإسلامية..... 209

2- وضع الحرب عشر سنين..... 210

3- قطع الاحلاف بين قريش واليهود..... 215

6- فتح خيبر.. آخر معازل الغدر في جزيرة العرب..... 218

7- نزول سورة الفتح..... 217

8- زواج النبي ﷺ بصفية..... 221

9- يهود فدك..... 220

10- خبر أبي بصير..... 221

السنة السابعة للهجرة "19 ب"..... 225

1- عودة مهاجري الحبشة..... 225

- 2- بدء قدوم وفود القبائل المسلمة..... 225
- 3- قدوم الأشعريين..... 225
- 4- تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب قريش..... 225
- 5- زواج النبي ﷺ برملة بنت أبي سفيان وبدء تحول قريش إلى الإسلام..... 226
- 6- إرسال الرسل إلى الملوك..... 227
- 7- إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي..... 234
- 8- عمرة القضاء أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين..... 237
- السنة الثامنة للهجرة "20 ب"..... 243
- 1- إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة..... 244
- 2- سرايا الدعاة..... 246
- 3- غزوة مؤتة..... 247
- 4- نقض صلح الحديبية..... 251
- 5- النبي يتجهز لفتح مكة..... 253
- 6- إسلام أبي سفيان..... 254
- 7- يوم الفتح الأعظم..... 259
- 8- سدانة البيت..... 263
- 9- هدم الأصنام..... 264
- 10- غزوة حنين..... 264
- 11- يوم أوطاس..... 266
- 12- غزوة الطائف..... 266
- 13- غنائم حنين..... 268
- 14- العودة إلى المدينة..... 271
- السنة التاسعة للهجرة "21 ب"..... 273
- 1- سرايا الدعاة..... 275

- 2- قدوم وفود القبائل المهتدية:الأزد- بنو عبد القيس- دوس- طيء- كندة- بنو الحارث- حمير- سعد بن بكر- تجيب- بلي- صداء- غفار- أسلم ..... 279
- 3- موت النجاشي..... 290
- 4- غزوة تبوك..... 290
- 5- موت عبد الله بن أبي ..... 302
- 6- حج أبي بكر..... 304
- السنة العاشرة للهجرة "22 ب" ..... 307
- 1- اكتمال دخول العرب في الإسلام ..... 307
- 2- قدوم نصارى نجران ..... 307
- 3- تشريع أحكام أهل الذمة..... 309
- 4- ظهور مسيلمة الكذاب ..... 309
- 5- حجة الوداع..... 311
- السنة الحادية عشرة للهجرة "23 ب"..... 317
- 1- إعداد جيش أسامة لغزو الروم ..... 317
- 2- مرض النبي ﷺ ..... 318
- 3- صلاة أبي بكر بالناس..... 319
- 4- وفاة النبي ﷺ ..... 320
- 5- مبايعة أبي بكر بعد النبي ﷺ ..... 321
- يوميات السيرة النبوية ..... 327
- جدول أعيان العرب..... 337
- حمزة بن عبد المطلب- أبو بكر الصديق- عمر بن الخطاب- العباس بن عبد المطلب- سعد بن معاذ- سعد بن عبادة- أسيد بن حضير- عكرمة بن أبي جهل- عمرو بن العاص- صفوان بن أمية- سهيل بن عمرو- أبو سفيان- حويطب بن عبد العزى- خالد بن الوليد- عروة بن مسعود- المثني بن حارثة- أكثم بن صيفي.

### 351 ..... جدول أعلام الدعاة.....

أبو بكر الصديق-علي بن أبي طالب-مصعب بن عمير-عبد الرحمن بن عوف-معاذ بن جبل-عمرو بن أمية الضمري-العلاء بن الحضرمي-أبو ذر الغفاري-خالد بن الوليد-سعد بن معاذ-عمير بن وهب-عروة بن مسعود الثقفي-دحية بن خليفة-حاطب بن أبي بلتعة-ضمام بن ثعلبة-عمرو بن مرة الجهني-أبو موسى الأشعري-الطفيل بن عمرو الدوسي-زياد بن الحارث الصدائي-أبو أمامة الباهلي-جعفر بن أبي طالب.

### 365 ..... جدول علماء الصحابة.....

أبو بكر الصديق-عمر بن الخطاب-عثمان بن عفان-علي بن أبي طالب-عبد الله بن عباس-عبد الله بن عمر-عبد الله بن عمرو-عبد الله بن مسعود-معاذ بن جبل-أنس بن مالك-أبو موسى الأشعري-عبادة بن الصامت-أبو هريرة-زيد بن ثابت-أبي بن كعب-أبو الدرداء-أبو سعيد الخدري-سلمان الفارسي.

### 377 ..... جدول أشبال الصحابة.....

### 383 ..... جدول زوجات النبي ﷺ.....

### 391 ..... جدول أعلام النساء.....

زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة بنات النبي ﷺ-أسماء بنت أبي بكر-أسماء بنت عميس-أسماء بنت يزيد-الخنساء-نسيبة بنت كعب-فاطمة بنت الخطاب-أم حرام بنت ملحان-صفية بنت عبد المطلب-أم سليم بنت ملحان-أم رومان بنت عامر-خولة بنت مالك-خولة بنت حكيم-رفيدة الأسلمية.

### 407 ..... جدول غزوات النبي ﷺ.....

### 415 ..... الفهارس.....

الأعلام-الأماكن-القبائل-الخرايط-شجرات الأنساب.

### 437 ..... المراجع.....

### 439 ..... الفهرس العام.....